صور من

حياة الصحابيات

دروس وعبر

عبد العزيز الشناوى

مكتبة الإيمان - المنصورة

ت : ٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النحل الآية : ٩٧] .

مقدمـــة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

وبعـــــد

لقد كان لصحابيات النبى ﷺ دور بارز فى سبيل نصرة هذا الدين ورفعته .

وقد ارتبط دور الصحابيات بنصرة الدين منذ اللحظات الأولى لبعثة النبى ﷺ ، وذلك عندما دخل النبى ﷺ على زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ـ بعدما رأى جبريل فى الغار لأول مرة ـ وهو يرجف فؤاده ويقول : « زملونى زملونى ، دثرونى وصبوا علىَّ ماءً باردًا » لقد خشيت على نفسى فنطقت خديجة رضى الله عنها ـ بكلمات نزلت على فؤاد النبى ﷺ بردًا وسلامًا فقالت : كلا والله ما يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلَّ ، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فيا لروعة هذه الكلمات الممتلئة ثقة بالله وتصديق بوعده .

ولم تكتفى خديجة رضى الله عنها بتهدئة روع النبى ﷺ بهذه الكلمات ، بل أخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ـ وكان عنده علم بكتب التوراة والإنجيل إذ كان قد تنصر فى الجاهلية ـ ولما سمع ورقة من النبى ﷺ ما حدث فى الغار ومجىء جبريل إليه قال له ورقة : إن هذا هو الناموس ـ الناموس هو جبريل عليه السلام ـ الذى نزل الله على موسى فازدادت طمأنينة النبى ﷺ عندما سمع هذا الكلام أيضا من ورقة بن نوفل .

ولما اشتد إيذاء المشركين للرسول ﷺ وعزم على الهجرة هو وصاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كان لأسماء بنت أبى بكر دور مهم فى سبيل إتمام الهجرة ، فعندما مكث النبى ﷺ هو وأبو بكر فى غار ثور كانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام خفية وحدث أن نسيت الخرقة التى كانت تضع فيها الطعام فما كان منها إلا أن شقت نطاقها قطعتين ، فعلقت الطعام بقطعة وانتطقت بالأخرى ، ولذا كانت تسمى بذات النطاقين .

وذهب أبو جهل إلى بيت أبى بكر ليسأل عنه ، فخرجت إليه أسماء وأنكرت معرفتها بمكان أبيها ، فلطمها أبوجهل على خدها حتى سقط قرطها ، وقد تحملت أسماء كل هذه المشاق فى سبيل رفعة دين الإسلام .

وهذه سمية بنت خبّاط أم عمار بن ياسر، كانت من السابقين إلى الإسلام ، وكانت تعذب فى الله عز وجل أشد العذاب ، وكان النبى ﷺ يمر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون فيقول : « صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة » .

واشتد العذاب بسمية وهى صابرة محتسبة حتى جاء أبو جهل إليها وطعنها بحربة فقتلها فكانت أول شهيدة فى الإسلام.

وهذه تماضر بنت عمرو المعروفة بالخنساء تشهد موقعة القادسية ومعها أربعة بنين لها، فقالت لهم : إنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم وهجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فإذا أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، وإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها ، وجللت نارًا على أرواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها ـ يعنى جيشها ـ تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة فخرج بنوها قابلين لنصحها وتقدموا فقاتلوا وأبلوا بلاء حسنا ، واستشهدوا جميعا رحمهم الله فلما بلغها الخبر قالت: الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته.

هؤلاء هن صحابيات رسول الله ﷺ وهذه هى سيرتهم العطرة ، والتى نرجوا أن تكون نبراسا للنساء المسلمات فى هذا العصر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أم سليم بنت ملحان

صداقها الإسلام

*** نسبها :**

هى أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار

اختلف فى اسمها فقيل : سهلة

وقيل : رميلة

وقيل : رميثة

وقيل : مليكة

ويقال : الغميصاء أو الرميصاء

*** إسلامها**

أسلمت الغميصاء مع السابقين من الأنصار وبايعت النبى ﷺ مع قومها

وكان زوجها مالك بن النضر بن ضمضم غائبًا فلما رجع عرضت عليه الإسلام فغضب عليها ، وكانت تلقن ابنها أنس بن مالك وتقول له :

ـ قل لا إله إلا الله ، قل أشهد أن محمدا رسول الله

فقال أنس بن مالك :

ـ لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله

فقال أبوه مالك بن النضر:

ـ لا تفسدى على ابنى

فغضب مالك بن النضر وخرج إلى الشام فلقيه عدو له فقتله ، فلما بلغ الرميصاء

قتله قالت :

ـ لا جرم لا أفطم أنسًا حتى يدع الثدى حيا ، ولا أتزوج حتى يأمرنى أنس فيقول ـ قد قضت الذى عليها ، جزى الله أمى خيرًا لقد أحسنت ولايتى ـ

ولما بلغ أنس بن مالك الثامنة جاء زيد بن سهل ـ أبو طلحة ـ وخطب أم سليم وكان مشركا ، فلما علم أنه لا سبيل إليها إلا بالإسلام أسلم وتزوجها ، **وكان صداقها الإسلام**

*** خادم رسول الله ﷺ**

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صحبت الرميصاء ابنها أنس بن مالك وذهبت إلى النبى الخاتم ﷺ وقالت :

ـ يا رسول الله هذا أنس يخدمك

وكان حينئذ ابن عشر سنين فقبله نبى الرحمة ﷺ، فقالت الرميصاء :

ـ يا رسول الله إنى لى خويصة

فتساءل المبعوث للناس عامة ﷺ :

ـ وما هى يا أم سليم ؟

قالت الغميصاء :

ـ خادمك أنس . . . ادع لأنس

فقال السراج المنير ﷺ :

ـ اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه

*** يوم أحد**

لما أقبلت قريش بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وتهامة ليثأروا ليوم بدر ، فلقيهم صاحب لواء الحمد ﷺ وأصحابه عند جبل أحد ، وكانت أم سليم بنت

ملحان وعائشة بنت أبى بكر ينقلان القرب ثم تفرغانها فى أفواه القوم ، وترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم ، وكانت الرميصاء بعد أن تسقى العطشى من المسلمين تداوى الجرحى .

*** النبى الخاتم ﷺ فى دار أم سليم**

كان رسول الله ﷺ يقيل أحيانا فى بيت الرميصاء ، فكانت تبسط له نطعًا

وذات يوم نام السراج المنير ﷺ القيلولة عند الغميصاء فعرق فجلبت أم سليم قارورة تسلت العرق فيها فاستيقظ أبو القاسم ﷺ فتساءل :

ـ يا أم سليم ما الذى تصنعين ؟

قالت الرميصاء :

ـ هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو أطيب الطيب

ودخل نور الظلمة ﷺ بيت أم سليم ذات ضحى فتناول قربة فشرب منها وهو قائم . فأخذتها الغميصاء فقطعت فمها فأمسكته عندها وكان صاحب الخلق العظيم ﷺ لا يدخل بيتا غير بيت أم سليم بنت ملحن إلا على أزواجه فقيل له :

ـ يا رسول الله إنك لا تدخل بيتا إلا بيت أم سليم

قال نبى الوفاء ﷺ :

- إنى أرحمها قتل أخوها وأبوها معى

*** يوم خيبر**

خرجت أم سليم بنت ملحان مع بعض النسوة فى جيش رسول الله ﷺ يوم خيبر . .

ولما فتح الله خيبر ، أمر الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ بالغنائم فجمعت ، وأصاب أبو القاسم ﷺ سبايا منها زينت بنت حيى بن أخطب من سبط هارون بن عمران أخى موسى عليهما السلام ، فاصطفى النبى الخاتم ﷺ زينب بنت حيى بن أخطب لنفسه

وجعلها عند أم سليم بنت ملحان حتى اهتدت وأسلمت ، ثم أعتقها صاحب الخلق العظيم ﷺ **وتزوجها وجعل عتقها صداقها ، وسماها نبى الرحمة ﷺ صفية**

*** الرميصاء فى الجنة**

ذات ليلة قال الشافع المشفع ﷺ لخادمه أنس بن مالك :

ـ دخلت الجنة فسمعت خشفة ـ الخشف : المر السريع ـ فقلت : ما هذا ؟ فقيل : الرميصاء بنت ملحان

فانطلق أنس بن مالك ببشارة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ إلى أمه

وذات يوم ذهبت أم سليم إلى بيت النبى عليه الصلاة والسلام وهى تشتكى فسألها طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ :

ـ يا أم سليم أتعرفين النار والحديد وخبث الحديد ؟

قالت الرميصاء :

ـ نعم يا نبى الله

قال إمام الخير ﷺ :

ـ فأبشرى يا أم سليم فإنك إن تخلصى من وجعك هذا تخلصى من الذنوب كما يخلص الحديد من خبثه

فلما برئت من مرضها قالت :

ـ يا رسول الله ما أفضل الجهاد ؟

قال خاتم الأنبياء ﷺ :

ـ عليك بالصلاة فإنها أفضل الجهاد واهجرى المعاصى فإنه أفضل الهجرة

*** يوم حنين**

خرجت أم سليم مع جيش رسول الله ﷺ يوم الفتح الأعظم ، وكانت حاملا

وشهدت غزوة حنين فتمنطقت ـ تحزمت ـ وامسكت خنجرًا ، فلقيها أبو طلحة فسألها:

ـ ما هذا ؟

قالت الرميصاء :

ـ خنجر ، إن دنا منى بعض المشركين بقرت بطنه ، أو أقتل به من بعدنا من الطلقاء الذين فروا فكانوا أول من انهزموا

فقال رسول الله ﷺ :

ـ إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم

*** صاحب الخلق العظيم ﷺ يحنك ابن أم سليم**

ولدت أم سليم فقالت لابنها أنس :

ـ اذهب بأخيك إلى رسول الله ﷺ

فذهب أنس إلى الشافع المشفع ﷺ فقال :

ـ ما هذا يا أنس ؟

قال خادم رسول الله ﷺ :

ـ يا رسول الله هذا أخى أرسلتنى به أمى إليك ، وقد كرهت أن تحنكه هى حتى تحنكه أنت .

فقال أبو القاسم ﷺ :

ـ معك شيء ؟

قال أنس بن مالك :

ـ تمرات عجوة

فأخذ صاحب الخلق العظيم ﷺ بعضها فمضغه ثم جمعه فأوجزه إليه فتلمظ

الصبى

فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ حب الأنصار للتمر

فقل أنس بن مالك :

ـ سمه يا رسول الله

فقال سيد ولد آدم ﷺ :

*** روايتها الحديث رسول الله ﷺ**

روت أم سليم عن خاتم النبيين ﷺ أحاديث ، فقد كانت من عقلاء النساء ، وروى عنها ابنها أنس بن مالك ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن وآخرون .

* * *

زينب بنت رسول الله ﷺ

هى كبرى بنات النبى ﷺ ولدت سنة ثلاثين من مولد أبى القاسم ﷺ فلما ترعرعت وبلغت سن الزواج طلبتها هالة بنت خويلد من أختها خديجة لابنها أبى العاص بن الربيع ، وكان رجلا من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانة وتجارة وشرفًا ، وكانت رحلاته إلى الشام واليمن

فزوجها محمد بن عبد الله ﷺ لأبى العاص وذلك قبل أن ينزل عليه الوحى .

وذات يوم رجع أبو العاص بن الربيع من رحلته وقد ملأ سمعه أحاديث الركبان الذين خرجوا من أم القرى :

ـ لقد ظهر نبى هذه الأمة .

فتساءل أبو العاص بن الربيع :

ـ من هو ؟

قالوا : محمد بن عبد الله .

وانطلق أبو العاص بن الربيع إلى بيته فسأل زوجته زينب :

ـ أحقًا ما سمعت ؟

قالت زينب بنت رسول الله ﷺ :

ـ نعم يا ابن الخالة .

ولكنه صمت فسألته :

ـ ما بك يا ابن الخالة ؟

فقال أبو العاص بن الربيع فى صوت خفيض :

ـ إنى خائف .

كانت زينب تعلم ما يدور برأسه كان يخشى إن تبع إمام الخير ﷺ قال له قومه :

- **فارقت دين آبائك إرضاء لزوجتك وحميك ؟**

فقالت زينب بنت رسول الله ﷺ :

- لكنك لم تدع كلام القوم يثنيك عن الحق . . وأنا أسلمت يا ابن الخالة.

فقال أبو العاص بن الربيع فى عجب :

- **أو قد فعلتها يا زينب ؟**

قالت زينب بنت رسول الله ﷺ :

- **ما كنت لأكذب أبى وإنه والله لكما عرفت الصادق الأمين .**

ثم أردفت :

- وكذلك أسلمت أمى وأخوتى وعلى ابن العم أبى طالب وأبو بكر وأسلم من قومك ابن عمك عثمان بن عفان وابن خالك الزبير بن العوام .

فقال أبو العاص بن الربيع فى صوت كأنه آت من الماضى السحيق :

- **فهل فكرت يا زينب حين تبعت دين أبيك فيما يحدث لو أنى بقيت على دين آبائى ؟**

فهزت زينب رأسها وقالت :

- **لا يا ابن الخالة ، بل رجوت أن تسبق إلى الإسلام كما سبق إليه من قومك عثمان ابن عمك والزبير ابن خالك .**

فخرج أبو العاص بن الربيع من داره واجمًا فلقيه رسول الله فدعاه إلى الإسلام **فأبى وثبت على شركه .**

ولما رجع أبو العاص بن الربيع إلى بيته قال لامرأته زينب :

- لقيت أباك اليوم فى الكعبة يا زينب ودعانى إلى الإسلام .

ثم سكت وكان فى جوابه وملامحه وترفع صوته ما يغنى زينب بنت رسول الله ﷺ عن سؤالهم أجاب دعوة أبيها ؟

وحزنت زينب بنت رسول الله ﷺ ، لماذا لم يستجب زوجها لدعوة الحق ؟

ورأى أبو العاص بن الربيع ما تكابده زوجته فقال لها :

ـ والله ما أبوك عندى بمتهم وليس أحب إلى من أن أكون معك يا حبيبة فى شعب واحد لكنى أكره لك أن يقال إن زوجك خذل قومه وكفر بآبائه إرضاء لامرأته فهلا قدرت وعذرت ؟

ومشى سادات قريش وأشرافها إلى أبى العاص بن الربيع فقالوا له :

ـ فارق صاحبتك ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت .

فقال أبو العاص بن الربيع فى إصرار :

ـ لا والله إنى لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش .

ولما بلغ رسول الله ﷺ **قول أبى العاص أثنى عليه خيراً** ، وكانت خالته خديجة تعده بمنزلة ولدها .

وهاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان أبو القاسم ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوبًا على أمره ، وكان الإسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله ﷺ حين أسلمت وبين أبى العاص بن الربيع إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرق بينهما فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه .

ولحق رسول الله بأصحابه . وبقيت زينب فى مكة بعيدة عن أبيها ﷺ وأخوتها رقية وأم كلثوم وفاطمة ، ولم تجد سلوى إلا ابنيها على وأمامة وعمها العباس بن عبد المطلب .

وكانت صرخة ضمضم بن عمرو الغفارى :

ـ يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى

أصحابه لا أرى لكم أن تدركوها الغوث الغوث .

فخرجت قريش بعتادها وعدتها لتحمى عيرها ، وخرج أبو العاص بن الربيع مع جيش المشركين ، فقالت زينب بنت رسول الله ﷺ فى حزن :

- **ليس أمام زينب بنت محمد إلا اليتم أو الترمل**

وطارت إلى مكة أنباء هزيمة المشركين فى بدر . . .

وفرحت زينب بنت أبى القاسم ﷺ . .

ونزل الخبر على أهل مكة نزول الصاعقة . .

ولما علمت زينب أن زوجها أبا العاص بن الربيع قد أصيب فى الأسارى يوم بدر فرحت فإن أباها ﷺ قد أوصى بالأسرى خيراً .

وبعثت زينب بنت رسول الله ﷺ فى فداء أبى العاص بن الربيع الذى أسره خراش بن الصمة .

وأخرج عمرو بن الربيع من ثيابته صرة قدمها إلى خاتم الأنبياء ﷺ **فإذا فيها قلادة لم يكد يراها حتى رق لها رقة شديدة ، فقد كانت قلادة زوجته الطاهرة سيدة نساء قريش خديجة بنت خويلد قد أهدتها إلى ابنتها زينب حين زفتها إلى ابن أختها أبى العاص بن الربيع وأدخلتها بها على أبى العاص حين بنى بها . ثم أطرق نبى الرحمة ﷺ وأطرق أصحابه .. ثم قال ﷺ :**

- إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا (رواه ابن إسحق).

فقال خراش بن الصمة :

- نعم يا رسول الله .

وأدنى رسول الله ﷺ إليه أبى العاص بن الربيع وأخبره أن يبعث إليه ابنته زينب **لأن الإسلام قد فرق بينهما .**

فقال أبو العاص بن الربيع : أفعل .

ثم رحل وانطلق إلى أم القرى .

فلما قدم قال لزينب :

- جئت مودعًا يا زينب .

فقالت ابنة رسول الله ﷺ في عجب :

- هكذا ولما نكد نلتقى ؟

قال أبو العاص بن الربيع

- لست راحلاً يا زينب ولكنك الراحلة هذه المرة .

وأخبرها أن أباها ﷺ طلب منه ذلك .

وعاد أشراف قريش يطلبون من أبى العاص ترك ابنة محمد ﷺ وأن ينكحوه ما شاء من نساء قريش **ولكنه رفض أن يتخلى عن ابنة خالته .**

ولما عاد أبو العاص بن الربيع إلى داره قال لزينب :

- رحمك الله يا حبيبة إن أباك هو الذى طلب أن أردك إليه لأن الإسلام فرق بينى وبينك وقد وعدته أن أدعك تسيرين إليه وما كنت لأنكث عهدى .

فتساءلت زينب بنت رسول الله ﷺ

- وترافقنى إلى دار الهجرة ؟

قال أبو العاص بن الربيع :

- كلا يا ابنة الخالة بل يأتى أخوك زيد بن محمد - زيد بن حارثة كان رسول الله ﷺ قد تبناه قبل البعثة ، ومعه صاحب من الأنصار عند بطن يأجج -

وبعث رسول الله ﷺ زيد بن محمد ورجلاً من الأنصار وقال لهما :

- كونا ببطن يأجج - على بعد ثمانية أميال من مكة - حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيانى بها .

وكان ذلك بعد شهر من وقعة بدر أو شيعة - قريب منه - فانطلق زيد والأنصارى

إلى مكة .

وتجهزت زينب بنت رسول الله ﷺ للحوق بأبيها ﷺ فلقيتها هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان بن حرب فقالت :

ـ يا بنت محمد : ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟

قالت زينب :

ـ ما أردت ذلك .

قالت هند بنت عتبة :

ـ أى ابنة عم لا تفعلى إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك أو بمال تبلغين به إلى أبيك ، فإن عندى حاجتك فلا تضطنى ـ لا تنقبضى ولا تستحى ـ منى فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال .

تقول زينب بنت رسول الله ﷺ :

ـ والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، ولكنى خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك وتجهزت (رواه الطبرى فى تاريخه) .

ولما فرغت زينب بنت رسول الله ﷺ من جهازها قدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيرًا فركبته ، وأخذ كنانة بن الربيع قوسه وكنانته ثم خرج بها نهاراً يقود هودجها .

وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى ، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب ونافع بن قيس فروع هبار بعير زينب برمحه فألقى بها وبهودجها على صخرة ، وكانت حاملاً فبرك كنان بن الربيع ونثر كنانته وقال :

ـ والله لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهمًا .

فتكركر ـ رجع ـ الناس عنه .

وأتى أبو سفيان بن حرب فى جلة من قريش فقال :

ـ أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك .

فكف كنانة بن الربيع . .

فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال :

ـ إنك لم تصب ، خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية على رءوس الناس من بين أظهرنا ، أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التى كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمرى ما لنا بحبسها عن أبيها حاجة ، وما لنا فى ذلك من ثؤر ـ الثأر ـ : طلب الثأر ـ ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سرًا وألحقها بأبيها .

فقال كنانة بن الربيع :

ـ أفعل .

وسمع كنانة بن الربيع توجع بنت رسول الله ﷺ فالتفت إليها فرأى ما رأى . .
إنها تنزف دمًا وقد طرحت جنينها على أديم الصحراء ، فحملها وانطلق عائدًا إلى مكة.

وراح أبو العاص بن الربيع يمرض زوجته الحبيبة أيامًا ، فلما تمالكت قواها خرج بها كنانة بن الربيع وانطلق بها إلى يأجج فوجد زيد بن محمد والأنصارى فأسلمها إليهما .

وظلت زينب بنت رسول الله ﷺ فى بيت أبيها ﷺ سنوات وهى تأمل أن يشرح الله صدر زوجها للإسلام .

وذات ليلة دخل عليها أبو العاص بن الربيع فقالت فى عجب :

ـ أبو العاص ؟

فقال أبو العاص بن الربيع وهو يلهث وكأنه شيطانًا يطارده :

ـ أجل يا أعز من لى أبو العاص ألقت بى المقادير قريبًا من يثرب .

لقد خرج أبو العاص بن الربيع تاجرًا إلى الشام وكان رجلاً مأمونًا بمال له وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية لرسول الله ﷺ فيها زيد بن حارثة فأصابوا ما معه من مال وأعجزهم هاربًا ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص بن الربيع تحت جناح الظلام ، حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها فأجارته وجاء فى طلب ماله .

فقالت زينب بنت رسول الله ﷺ فى صوت ينز حزنًا :

ـ مرحبًا يا ابن الخالة . مرحبًا يا أبا على وأمامة .

وخرجت زينب إلى المسجد فوقفت فى صف النساء ، وكان إمام الخير ﷺ قد صلى الفجر فقالت :

ـ أيها الناس إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع .

فتساءل طبيب القلوب والعقول ﷺ :

ـ أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟

قالوا : نعم يا رسول الله .

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

ثم أردف الشافع المشفع ﷺ :

ـ إنه يجير على المسلمين أدناهم وقد أجرنا من أجارت .

ثم دخل رسول الله ﷺ على ابنته زينب وعندها أبو العاص بن الربيع فقالت :

ـ يا رسول الله إن قرب فابن عم ، وإن بعد فأبو ولد ، وإنى قد أجرته .

فقال نبى الرحمة ﷺ :

ـ أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له (رواه الطبرى فى تاريخه وابن سعد فى الطبقات الكبرى) .

ثم تركهما وخرج فقالت زينب لأبى العاص بن الربيع :

ـ هان عليك فراقنا يا أبا العاص ؟

قال أبو العاص بن الربيع :

ـ معاذ الحب يا زينب . أما والله ما طاب لى من بعدك عيش .

فقالت زينب :

ـ فلم إذن هذا العذاب ؟ وحتام ؟

قال أبو العاص بن الربيع :

ـ حتى يقضى الله فينا أمره .

وبعث رسول الله ﷺ من يصحب أبا العاص بن الربيع إلى المسجد حيث كان بين رجال السرية الذين أصابوا مال أبى العاص .

فقال رسول الله ﷺ :

ـ إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، فأصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له فإنا نحب ذلك وإن أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم فأنتم أحق به .

فقالوا فى صوت واحد :

ـ يا رسول الله بل نرده عليه .

وردوا على أبى العاص بن الربيع ماله بأسره لم يفقد منه شىء ، حتى أن الرجل ليأتى بالدلو ويأتى الرجل بالشنة ـ السقاة البالى ـ حتى أن أحدهم ليأتى بالشظاظ ـ خشبة عقفاء تدخل فى عروتى الكيس وجمعها : أشظة ـ .

ولما حان موعد رحيل أبى العاص بن الربيع إلى مكة قال رسول الله ﷺ :

ـ حدثنى فصدقتنى ووعدنى فوفى لى .

ورأت زينب فى عينى زوجها أمرًا قبل رحيله ، ترى ماذا يدور فى رأسه ؟ هل شرح الله صدره للإسلام ؟

لماذا تأخر هكذا ؟ لقد انصرمت السنة السابعة من الهجرة .

وانطلق أبو العاص بن الربيع إلى أم القرى . . فلما رآه رجال قريش فرحوا بعودته وبتجارتهم الرابحة وأقبلوا عليه يسألونه عن أمر محمد ﷺ وأصحبه ، **ولكنه استمهل سادات قريش حتى يؤدى إلى كل ذى مال منهم ماله ، ومن كان أبضع معه .**

ثم صعد أبو العاص بن الربيع فوق صخرة وقال بصوت مدوى :

ـ يا معشر قريش هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟

قالوا :

لا فجزاك الله خيرًا فقد وجدناك وفيًا كريمًا .

فقلب فيهم بصره ثم قال من أعمق أعماقه :

ـ فأنا أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله .

فنظروا إليه فى عجب فأردف :

ـ والله ما منعنى من الإسلام إلا تخوف أن تظنوا أنى أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها .. أسلمت .

ثم ترك قريشا فى دهش وعجب وركب جواده ، وانطلق إلى مدينة رسول الله ﷺ مهاجرًا إلى الله ورسوله .

ولما لقى أبو العاص بن الربيع زينب بنت رسول الله ﷺ **وأخبرها بإسلامه فرحت فرحًا شديدًا وقالت :**

ـ الحمد لله الذى هداك للإسلام يا ابن الخالة .

ودخل أبو العاص بن الربيع مسجد رسول الله ﷺ ونطق بالشهاد :

ـ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

فهلل أصحاب رسول الله ﷺ .

ورد نبى الرحمة ﷺ على أبى العاص بن الربيع ابنته زينب بعد سنين بالنكاح الأول.

وتوفيت زينب بنت رسول الله ﷺ بعد عام من إسلام زوجها أبى العاص بن الربيع وكان ذلك فى أول عام ثمانية من الهجرة .

قال رسول الله ﷺ لأم عطية الأنصارية وأم أيمن وأم سلمة زوج النبى ﷺ :

ـ اغسلنها وترًا ثلاثًا أو خمسًا واجعلن فى الخامسة كافورًا وشيئًا من كافور وإذا غسلتنها فأعلمنى .

فلما غسلنها أعلمناه فأعطاهن حقوه ـ إزاره ـ وقال الرحمة المهداة ﷺ :

ـ أشعرنها إياه .

ونزل نبى الرحمة ﷺ فى قبر ابنته زينب وهو مهموم محزون . . ولما خرج جلس على شفير القبر وقد سرى عنه فقال ﷺ :

ـ كنت ذكرت زينب وضعفها فسألت الله تعالى أن يخفف عنها ضيق القبر وغمه ففعل وهون عليها .

* * *

خولة بنت ثعلبة

أشرقت الشمس فتأهب رسول الله ﷺ والذين معه لدخول يثرب فى رائعة النهار. ودخل بريدة بن الحصيب بين يدى أبى القاسم - ﷺ - يحمل اللواء إنه دخول كريم لنبى كريم واستشعر أبو بكر الصديق رقة فبللت الدموع روحه وإن لم تطفر من مقلتيه فخر ساجدًا لله عز وجل شكرًا .

وصعد رجال من اليهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه فبصر رسول الله ﷺ وأصحابه فصرخ بأعلى صوته :

يا معشر العرب هذا جدكم - حظكم - الذى تنتظرون ، يا بنى قيلة هذا جاركم قد جاء .

فماج الناس فى فرح واشتد وجيب القلوب وانتشرت البشرى فى الحقول والأسواق فإذا الرجال يعدون إلى ثنية الوداع لاستقبال النبى ﷺ وإذا بخولة بنت ثعلبة - كانت من ربات الفصاحة والبلاغة - والنساء يصعدون إلى الأسطح ليرين الصادق المصدوق - ﷺ - الذى يوحى إليه من السماء ما فيه عز الدنيا وخير الآخرة.

وكان الأنصار فى غمرة الفرح أن هداهم الله عز وجل إلى الإيمان بالنبى الأمى ﷺ - الذى كان اليهود يتوعدونهم به وإن كانوا أسرع منهم إليه .

وبلغ ركب النبى - ﷺ - مشارف المدينة فإذا الرجال قد ارتفعوا على النخل ينظرون، وإذا بطلائع القوم يهرعون مهللين مرحبين بخاتم الأنبياء - ﷺ - وقد نسوا فى غمرة الشر وحرارة الشمس التى تلسع الوجوه بسياط من نار .

واختلف أوس بن الصامت - زوج خولة بنت ثعلبة وابن عمها - مع عبد الله بن رواحة وتنازعا أيهما ينزل عليه رسول الله - ﷺ - ؟ كانا شاعرين فتبسم أبو القاسم وقال :

« أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » .

ونزل رسول الله - ﷺ - بقباء على كلثوم بن الهدم أخى بنى عوف فذاع خبر نزول

أبى القاسم - ﷺ - بقباء بين اليهود فراحوا يهرعون إلى يهود بنى النضير وبنى قريظة وبنى قينقاع بالنبأ العظيم .

وسأل أهل قباء النبى - ﷺ - أن يبنى لهم مسجدًا فقال رسول الله - ﷺ - «ليقم بعضكم فيركب الناقة » .

فقام أبو بكر الصديق فركب الناقة وحركها فلم تنبعث فرجع فقعد فقام الفاروق فركبها فلم تنبعث فرجع فقعد فقام على بن أبى طالب فلما وضع رجله فى غرز الركاب وثبت به فقال خاتم الأنبياء - ﷺ -

« يا على ارخ زمامها »

ثم نظر - ﷺ - نحو أصحابه وقال :

« ابنوا على مدارها فإنها مأمورة » .

تقول خولة بنت ثعلبة :

لما أسس رسول الله - ﷺ - مسجد قباء وقضى فى بنى عوف بضع عشرة ليلة ركب ناقته القصواء فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها - ﷺ - فى مسجد ببطن الوادى - وادى - رانوناء - فكانت أول جمعة صلاها أبو القاسم - ﷺ - بيثرب .

وأتى عتبان بن مالك النبى - ﷺ - فقال : يا رسول الله أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة .

فقال نبى الرحمة - ﷺ - : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة »

فانطلقت ناقة رسول الله - ﷺ - حتى إذا وازت دار بنى بياضة تلقاه زيد بن لبيد وفروة بن عمرو ورجال من بنى بياضة فقالوا : يا نبى الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة .

فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة »

فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضها سعد بن عبادة وأوس بن عبادة والمنذر بن عمرو ورجال من بنى ساعدة فقالوا : يا رسول الله هلم

إلينا إلى العدد والعدة والمنعة .

فقال الصادق المصدوق - ﷺ - : « **خلوا سبيلها فإنها مأمورة** »

فخلوا سبيل القصواء فانطلقت حتى وازت دار الحارث بن الخزرج اعترضها سعد ابن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : **يا نبى الله هلم إلينا إلى العدد والمنعة .**

فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « **خلوا سبيلها فإنها مأمورة** »

فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى النجار وإذا بجوار يضربن بالدفوف ويقلن :

نحن جوار بنى النجار يا حبذا محمد من جار

فقال خاتم الأنبياء - ﷺ - : **أتحبوننى ؟**

فقلن : أى والله يا رسول الله

فقال الذى بعثه الله رحمة للعالمين - ﷺ - : **وأنا والله أحبكم وأنا والله أحبكم يعلم الله أن قلبى يحبكم .**

واعترض سبيل الناقة سليط بن قيس وأبو سليط بن أبى خارجة فى رجال من بنى النجار وقالوا : **يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة .**

فقال إمام الخير - ﷺ - : « **خلوا سبيلها فإنها مأمورة** »

فخلوا سبيل القصواء فانطلقت حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب مربد - محل - **لغلامين يتيمين هما سهل وسهيل ابنا عمرو من بنى مالك** بن النجار وكانا فى حجر معاذ بن عفراء فلم ينزل رسول الله - ﷺ - عن ناقته حتى وثبت فسارت غير بعيد والنبى - عليه الصلاة والسلام - واضع لها زمامها لا يقنيها به ثم التفتت القصواء خلفها **ورجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ثم تحلحلت** ورزمت ووضعت جرانها فنزل عنها النبى - ﷺ - فاحتمل خالد بن زيد - أبو أيوب

الأنصارى ـ رحله وقال :

ائذن لى يا نبى الله أن أنقل رحلك .

فأذن له واحتمل أبو أيوب الأنصارى رحله فوضعه فى بيته

وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام القصواء فكانت عنده وراح الأنصار يتنافسون أيهم يؤوى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال ﷺ : **« المرء مع رحله »**

تقول خولة بنت ثعلبة : أقام النبى ـ ﷺ ـ فى دار أبى أيوب الأنصارى سبعة أشهر حتى بنى مسجده وحجراته .

وقام رسول الله ـ ﷺ ـ يخطب يوم الجمعة فى مسجده فإذا بالطبل يدوى فى جنبات مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ فمال بعض المصلين وكانوا حديثى عهد الإسلام فقالوا : **قدمت عير دحية بن خليفة الكلبى .**

وخرج بعضهم للشراء من طعام تلك العير والتفرج عليها وخرجت بعض النساء من دورهن للنظر إلى وجه دحية الكلبى لفرط جماله ـ كان شبيهًا لجبريل عليه السلام ـ فقد كان إذا قدم يثرب خرج أهلها للقائه بالطبل واللهو .

واستمر أبو القاسم ـ ﷺ ـ فى خطبته :

« كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت لا يعجل الله لعجلة أحد ولا يخف لأمر من أحد يريد الناس أمرًا ويريد الله أمرًا فما شاء الله كان لا ما شاء الناس وما شاء الله ولو كره الناس لا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله ولا يكون شىء إلا بإذن الله.

ورجع بعض الذين انفضوا ليصلوا الجمعة خلف رسول الله ـ ﷺ ـ ..

فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سورة الجمعة : الآية ٩ ـ ١١]

لقد نزل القرآن العظيم ليرشد الذين اصطفاهم الله عز وجل لنصرة نبيه ـ ﷺ ـ

إلى السلوك القويم ويغرس فى نفوسهم الشرائع ويثبت فى صدورهم الإسلام حتى يصبحوا قادرين على حمل أشرف رسالة حملها البشر .

وألف الله عز وجل بين قلوب الأوس والخزرج فانطفأت نار العداوة والحقد والبغضاء التى كانت مشتعلة سنوات طويلة راح ضحيتها آلاف القتلى من الفريقين.

تقول خولة بنت ثعلبة : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وادى الأنصار وشعبهم الأنصار شعار والناس دثار الأنصار كرشى وعيبتى أنا سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم ، الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله ، آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار** »

وشهد أوس بن الصامت بدراً مع النبى - ﷺ - ، وكان أوس شاعراً ومن شعره :

أنا ابن مزيقيًا عمرو وجدى أبوه عامر ماء السماء

عاد يومًا من مسجد رسول الله - ﷺ - فقال : يا خولة حدثنا رسول الله - ﷺ - الليلة عن فضل صلاة الجماعة فقال : « **صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسًا وعشرين ضعفًا وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال أحدكم فى صلاة ما انتظر الصلاة** »

واستأذنت خولة بنت ثعلبة أوس بن الصامت حين تريد أن تخرج إلى مسجد رسول الله - ﷺ لكى تصلى مع جماعة المسلمين فقد وجدت فى ذلك زادًا لها على قسوة زوجها وضنك عيشتها وشعرت بحلاوة الإيمان عندما سمعت رسول الله - ﷺ - يقرأ قوله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [سورة البقرة : الآية ٤٥] ، وكان ذلك يفتح فى قلبها طاقات نور من الإيمان تدبر بها حياتها وتعود إلى بيتها بعد الصلاة وقد قوى عزمها على التصدى لقسوة الأيام واحتمال فظاظة زوجها .

وحرصت خولة بنت ثعلبة على الصلاة خلف رسول الله - ﷺ - وأصبح قلبها معلقًا بمسجده أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال فقد كان رسول الله ﷺ - يقود المجتمع الإسلامى إلى كل خير .

وذات يوم صلى رسول الله - ﷺ - بأصحابه فخفف فسأله أصحابه: يا نبى الله ما هذا ؟

قال النبى - ﷺ - : « بادروا الوسواس » .

فقال أبى بن كعب الأنصارى : يا رسول الله والذى بعثك بالحق إنه ليعرض فى صدرى الشىء وددت أن أكون حممًا .

فقال الصادق المصدوق - ﷺ - : « الحمد لله الذى يئس الشيطان أن يعبد بأرضكم هذه مرة أخرى ولكنه قد رضى بالمحقرات من أعمالكم »

وسأل أوس بن الصامت النبى - ﷺ - عن الوسوسة فقال - ﷺ - : « ذاك محض الإيمان » .

فقال عبد الله بن مسعود : يا نبى الله الرجل يجد الشىء لو خر من السماء فتخطفه الطير كان أحب إليه من أن يتكلم به .

قال إمام الخير - ﷺ - : « ذاك محض الإيمان أو صريح الإيمان » [رواه الإمام أحمد عن عائشة] .

ثم أردف النبى - ﷺ - : « إن امرأة فى بنى إسرائيل فأخذها الشيطان فألقى بها فى قلوب أهلها أن دواءها عند راهب كذا وكذا وكان الراهب فى صومعة فلم يزالون يكلمونه حتى قبلها ثم أتاه الشيطان فوسوس إليه حتى وقع بها فأحبلها ثم أتاه الشيطان فقال : الآن تفضح - تفتضح - يأتى أهلها فاقتلها وادفنها فإن أتوك فقل : ماتت ودفنتها فقتلها ودفنها فأتى أهلها فألقى فى قلوبهم أنه قتلها ودفنها فأتوه وسألوه فقال : ماتت ودفنتها فأتاه الشيطان فقال : أنا الذى أخذتها وألقيت فى قلوب أهلها أن دواءها عندك

وأنا الذى وسوست إليك حتى قتلتها ودفنتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها أنك قتلتها وفتنتها فأطعنى تنجو اسجد لى سجدتين ففعل فهو الذى قال الله تعالى : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ » [سورة الحشر : الآية ١٦] .

فقال عبيد بن رفاعة الزرقى : يا رسول الله إن مكائد الشيطان كثيرة ولكن كيده ضعيف لقد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها على .

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ـ ﷺ ـ « **ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسست به فاتفل عن يسارك ثلاثًا وتعوذ بالله من شره** » .

وجاء إبليس إلى عيسى ـ عليه السلام ـ فقال له : ألست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك ؟

قال ابن مريم ـ عليه السلام ـ : بلى .

قال إبليس : فارم بنفسك من هذا الجبل فإنه إن قدر لك السلامة تسلم .

فقل عيسى ـ عليه السلام ـ : **يا ملعون إن الله عز وجل له أن يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه عز وجل** .

وذات ليلة قال أوس بن الصامت لخولة بنت ثعلبة : جهزى لى راحلة وزادا فإنى سأذهب إلى محل كذا .

فقالت خولة بنت ثعلبة : قل إن شاء الله فإن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه : قل إن شاء الله فلم يقل : إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة جاءت بشق إنسان ـ نصف إنسان ـ والذى نفس محمد بيده لو قال : إن شاء الله لم يحنث وكان دركًا لحاجته يجاهدون فى سبيل الله فرسانًا أجمعون** » .

فقال أوس بن الصامت : غدًا إن شاء الله سأسافر إلى محل كذا .

فضحكت خولة بنت ثعلبة وقالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « **يأيها الناس اثتنوا**

ولو بعد شهر » .

وسمعت خولة بنت ثعلبة أحد جيرانها يتلو القرآن فى جوف الليل فقالت : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما عمل .

واستشعرت خولة بنت ثعلبة ندمًا أترى ذلك حسدًا ؟ إن المسلم لا يدخل الجنة وفى صدره ذرة حسد . . لقد سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** » .

ولما أشرقت الشمس انطلقت خولة بنت ثعلبة إلى مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ واخبرته فقال الذى لا ينطق عن الهوى : « **لا حسد إلا فى اثنين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جاره فقال : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما عمل ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه فى الحق فقال رجل : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل** » (رواه البخارى والإمام أحمد عن أبى هريرة) .

وشهد أوس بن خولى كل المشاهد مع رسول الله ـ ﷺ ـ فقد كان يتطلع شوقًا ولهفة للجهاد فى سبيل الله .

تقول خولة بنت ثعلبة : حدثنا رسول الله ـ ﷺ ـ يومًا فقال : « **من جمع الله له أربع خصال جمع الله له خير الدنيا والآخرة** » . فقلنا : ما هى يا رسول الله ؟ قال ـ ﷺ ـ « **قلبًا شاكرًا ولسانًا ذاكرًا ودارًا قصدًا ـ وسطا بين الطرفين ـ وزوجة صالحة** » (رواه ابن البخار عن أنس)

وذات يوم اختلف أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ حين تذاكروا الصلاة الوسطى فقال بعضهم : إنها صلاة المغرب ، وقال بعضهم : إنها صلاة الظهر ، وقال آخرون : إنها صلاة الفجر .

وكان أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة معهم فقال : أنا أعلم لكم ذلك .

فأتى رسول الله - ﷺ - وكان جريئًا عليه فاستأذن فدخل عليه ثم خرج وقال: قال رسول الله - ﷺ - : « إنها صلاة العصر »

وساء خلق الشيخ الشاعر أوس بن الصامت وأصبح ضجراً ولم تعد خولة بنت ثعلبة تحتمل قوله أو تصبر على إساءته فكم تعدى عليها بالضرب وصبرت .

وذات يوم طلب منها ماء ليتوضأ فاقبلت تحمل إناء الماء فعثرت قدمها فوقع الإناء منها فأخذ أوس بن الصامت يرغى ويزبد ويسب ابنة عمه .. ثم طلب منها طعامًا فذهبت وأحضرت قليلاً من الزيت وكسر يابس من الخبز فنظر الشيخ إلى الطعام وقال: - ما هذا ؟

فقالت خولة بنت ثعلبة : يا أوس يجب أن تحمد الله على نعمه فغيرنا لا يجد ما نجد من فضل الله علينا .

فانفجرت مراجل غضبه وقال : ويل لك يا امرأة أكلت الطعام وحدك وتقولى لى: احمد الله ؟ **أنت على كظهر أمى .**

صعقت كلمات أوس بن الصامت ابنة عمه لقد كان الرجل إذا قال لزوجته فى الجاهلية : **أنت على كظهر أمى ، حرمت عليه .. هل طلقها طلاق الجاهلية ؟** ظاهرها حين قال ما كانوا يقولونه فى الجاهلية لمن يريدون فراقها ؟ : أنت على كظهر أمى .

ووقفت خولة بنت ثعلبة حائرة ماذا تفعل ؟ وأفاقت من بحر حيرتها على صوت باب الحجرة يصفع خلف زوجها عندما خرج إلى نادى قومه .

لماذا لا تذهب إلى طبيب القلوب والعقول - ﷺ - وتستفتيه فى الأمر ؟

وقبل أن تهم بالخروج عاد زوجها أوس بن الصامت وفى يده تمرات فقال لها : **- خذى فاطعمى يا خولة .**

فنظرت إليه فى عجل وقالت : أنا بحمد الله لا أشعر بجوع .

فدفع بها إلى فمه وقال : إذن آكلها أنا .

ثم لاكها ولفظ النوى على الأرض . . وامتدت يده نحو يدها فقبض عليها ثم جذبها نحو فراشه فانتفضت وابتعدت ولكنه مضى وراءها يريد أن ينزع عنها ثوبها **فقالت له : إنى محرمة عليك لقد ظاهرتنى وقلت : أنت على كظهر أمى .. أنت على كظهر أمى ؟ والله لا تخلص إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا.**

ولكن أوس بن الصامت واثبها فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به الضعيف فألقته بعيدًا عنها . . ثم انطلقت نحو بيت رسول الله ـ ﷺ فجلست بين يديه وقالت : يا نبى الله قد نسخ الله سنن الجاهلية وإن زوجى ظاهر منى .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : **« يا خولة ابن عمك شيخ كبير فاتقى الله فيه »**

فقالت خولة بنت ثعلبة : **يا رسول الله أكل شبابى ونشرت له بطنى حتى إذا كبرت سنى وانقطع ولدى ظاهرنى ؟**

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **ما أوحى إلى فى هذا شىء**

فقالت خولة بنت ثعلبة :

يا رسول الله أوحى إليك فى كل شىء وطوى عنك هذا؟

كان أوس بن الصامت أول من ظاهر فى الإسلام وكان به لمم .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **هو ما قلت لك**

قالت خولة بنت ثعلبة: إلى الله أشكو لا إلى رسوله .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : **حرمت عليه**

قالت خولة بنت ثعلبة : **يا نبى الله والله ما ذكر طلاقًا .**

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

قالت خولة بنت ثعلبة : **أشكو إلى الله فاقتى ووحدتى ووحشتى وفراق زوجى**

وابن عمى وقد نفضت له بطنى .

وما زالت تراجع النبى ـ ﷺ ـ ويراجعها . . .

وأرسل رسول الله ـ ﷺ ـ إلى أوس بن الصامت فأتاه فسأله رسول الله ـ ﷺ ـ **ماذا تقول ابنة عمك ؟**

قال أوس بن الصامت : صدقت قد تظهرت منها وجعلتها كظهر أمى فما تأمر يا رسول الله فى ذلك ؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ـ ﷺ ـ : **لا تدن منها ولا تدخل عليها حتى آذن لك .**

فقالت خولة بنت ثعلبة :

يا رسـول الله ماله من شـىء وما ينفـق عليه إلا أنا ، وكان بينـهم فى ذلك كلام ساعة ... ثم أذن النبى ـ ﷺ ـ لأوس فانصرف ..

تقول أم المؤمنين عائشة : تبارك الذى وسع سمعه كل شىء إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلب ويخفى على بعضه وهى تشكى زوجها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهى تقول: يا رسول الله ظاهر حين كبرت سنى ورق عظمى . اللهم أنزل على لسان نبيك لنا فيه الفرج .

وتقول أم المؤمنين عائشة : فلقد بكيت وبكى من كان معنا من أهل البيت رحمة لها ورقة عليها فبينما هى كذلك بين يدى رسول الله ـ ﷺ ـ تكلمه وكان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا نزل عليه الوحى يغط فى رأسه ويتربد وجهه ويجد بردًا فى ثناياه ويعرق حتى ينحدر منه مثل الجمان ـ اللؤلؤ ـ .

فلما رأت عائشة ذلك قالت : يا خولة إنه لينزل عليه ما هو إلا فيك .

فقالت خولة بنت ثعلبة : اللهم خيراً فإنى لم أبلغ من نبيك إلا خيراً

تقول أم المؤمنين عائشة : فما يرى عن رسول الله ـ ﷺ ـ حتى ظننت أن نفسها تخرج فرقًا من أن تنزل الفرقة .

فسرى عن أبى القاسم - ﷺ - وهو يتبسم فقال : **يا خولة !**

قالت خولة بنت ثعلبة : لبيك .

ونهضت قائمة فرحًا بتبسم رسول الله - ﷺ - فقال : **يا خولة أنزل الله فيك وفى صاحبك قرآنًا**

فهتفت خولة بنت ثعلبة من أعمق أعماق قلبها فرحًا : الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات . . ماذا قال السميع العليم يا نبى الله ؟

قال رسول الله - ﷺ - : **﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ① الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ② وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ③ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [سورة المجادلة : الآية ٣٤] .

سمعت خولة بنت ثعلبة ما نزل من فوق سبع سموات من لدن العليم الخبير فى قضيتها لقد سمعها الله عز وجل وهى المرأة الضعيفة ما أكرمك يا حى يا قيوم ما أعظمك يا رب العالمين وما أعدلك سمعت خولة بنت ثعلبة من إمام الخير - ﷺ - ما نزل بشأنها من آيات كريمة تتلى إلى يوم يبعثون فدمعت عيناها إن الله الرحيم بعباده لا ينسى أحدًا منهم حتى لو كانت امرأة فقيرة لا يتجاوز صوتها من يقف أمامها فهو يسمع ويرى سبحانه وتعالى .

قال رسول الله - ﷺ - بعد أن نزل حكم العادل : **يا خولة مريه ـ زوجك أوس بن الصامت ـ فليعتق رقبة**

سمعت خولة بنت ثعلبة قول رسول الله - ﷺ - وهى تعلم أن زوجها فقير لا يملك شيئًا فقالت : والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق وما له خادم غيرى .

فقال نبى الرحمة - ﷺ - : **مريه فليصم شهرين متتابعين**

إنها تعلم ضعف زوجها وعجز مقدرته فقالت : يا نبى الله إنه لشيخ كبير ما به من طاقة .

قال نبى الإسلام - ﷺ - : **فليطعم ستين مسكينًا وسقا من تمر**

فعادت خولة بنت ثعلبة تدافع عن زوجها فقالت : يا رسول الله ما ذاك عنده .

فتبسم نبى الرحمة - ﷺ - وقال : **فإنا سنعينك بعذق من تمر مريه فليأت أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق تمر فيتصدق به على ستين مسكينًا**

فنهضت خولة بنت ثعلبة وقالت :

وأنا سأعينه بعذق آخر .

قال الصادق المصدوق - ﷺ - : **فقد أصبت وأحسنت فاذهبى فتصدقى به عنه ثم استوصى بابن عمك خيرًا**

ما أعظم سماحة الدين الحنيف وما أيسره . إن الإسلام الدين السمح السهل يسر وليس عسر . .

انطلقت خولة بنت ثعلبة إلى بيتها فوجدت ابن عمها جالسًا على الباب ينتظرها فلما رآها أوس بن الصامت هب واقفًا وتساءل : ما وراءك يا بنت العم ؟

قالت خولة بنت ثعلبة : خيرًا وأنت دميم قد أمرك رسول الله - ﷺ - أن تأتى أم المنذر بنت قيس فتأخذ منها شطر وسق تمر فتتصدق به على ستين مسكينًا .

فقال أوس بن الصامت : ما أكرمك يا رب العالمين وما أعظم فضلك

وانطلق أوس بن الصامت يعدو كشاب فى العشرين من عمره ثم عاد يحمل على ظهره شطر وسق تمرًا .

تقول خولة بنت ثعلبة : عندما ذهب أوس إلى أم المنذر كان عهدى به لا يحمل خمسة أصوع فعاد يحمل شطر وسق تمرًا .

وجعل أوس بن الصامت يطعم مدين من تمر لكل مسكين .

وخرج أوس بن الصامت إلى الشام مجاهدًا فى سبيل الله فى عهد الفاروق فقيل

له : أنت شيخ كبير عليل .

فقال أوس بن الصامت : قد أمرنا بالنفر خفافًا وثقالاً فإن لم يمكنى الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع ، وذات ليلة كان القمر يغمر مدينة رسول الله - ﷺ - بنوره الفضى فخرج أمير المؤمنين عمر من المسجد ومعه الجارود بن المعلى العدوى . . فلما رأت خولة بنت ثعلبة أبا حفص برزت على الطريق فلما رآها قال : السلام عليكم يا أم عامر .

قالت خول بنت ثعلبة : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

ثم أردفت : هيهات يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرًا فى سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك فلم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله فى الرعية واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشى عليه الفوت .

فعجب الجارود بن المعلى من المرأة العجوز التى تجرأت على أمير المؤمنين وقال فى عجب : **لقد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين .**

فأشار الفاروق بيده وقال : ويلك . . دعها أما تعرفها ؟

قال الجارود بن المعلى : من تكون . . إذن ؟

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : هذه خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت سمع الله عز وجل شكواها من فوق سبع سموات فأنزل الله تعالى فيها:﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ فعمر أحق أن يسمع لها .

ودنا الفاروق عمر : من خولة بنت ثعلبة وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وهمت بالانصراف فقال عمر لمن معه :

والله لو لم تنصرف عنى إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضى حاجتها .

أسماء بنت سلامة

نشر الليل رداءه الأسود على أم القرى فاستشعرت أسماء بنت سلمة قلقًا وخوفًا لماذا تأخر زوجها عياش بن أبى ربيعة هكذا ؟ هل رآه أخوه أبو جهل وهو مع محمد ابن عبد الله - ﷺ - ؟ هل أخبر أحد أمه أسماء بنت مخرمة أن ابنها قابل ابن عبد الله - ﷺ - وسمع منه ؟

ولمحت أسماء بنت سلمة شبحا يقترب ... فخفق قلبها .. إنه زوجها عياش فقالت فى لهفة :

- ما وراءك ؟ هل قابلته ؟

قال عياش بن أبى ربيعة :

- لا إن عيون - جواسيس - قريش ترصد داره .

فقالت أسماء بنت سلامة :

- لقد راودتنى فكرة .

فقال عياش :

- ما هى ؟

قالت أسماء بنت سلمة :

- اذهب إلى أبى بكر بن أبى قحافة أو زيد بن محمد - ابن حارثة - أو عثمان بن عفان والذين تبعوا محمدًا .

فضرب عياش قبضة يده اليمنى فى بطن يده اليسرى وقال :

- نعم الرأى

وانطلق عياش بن أبى ربيعة إلى دار أبى بكر فتلفت حوله .. ولما اطمأن قلبه أن

أحداً لم يتبعه طرق الباب ، رحب أبو بكر بعياش ثم راح يحدثه عن نبى الإسلام فقال عياش :

ـ ما الإسلام ؟

قال أبو بكر :

ـ أن تسلم لله قلبك وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك .

قال عياش بن أبى ربيعة :

ـ ما النبى ؟

قال أبو بكر :

ـ هو الذى يوحى إلية من السماء فينبئ به أهل الأرض .

فتساءل عياش :

ـ أيكلم الله بشراً ؟

قال أبو بكر :

ـ لقد كلم الله رسوله ونبيه موسى بن عمران تكليماً .

وقرأ أبو بكر آيات من القرآن . . فسعد عياش بعذوبته . ولما خرج عياش بن أبى ربيعة من دار أبى بكر لقى عثمان بن عفان فسأله :

ـ أى الإسلام أفضل ؟

قال عثمان بن عفان :

ـ الإيمان .

فقال عياش بن أبى ربيعة :

ـ وما الإيمان ؟

قال عثمان بن عفان :

- أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

وعاد عياش بن أبى ربيعة إلى داره فلقيته أسماء بنت سلمة فسألته ؟ .

- هل لقيت أحدا منهم ؟

قال عياش :

- نعم .

قالت أسماء بنت سلمة :

- ماذا قالوا ؟

قال عياش :

- سمعت عجبًا .. وأصبحت على يقين مما كنت فى شك منه .

قالت أسماء بنت سلمة : لقد مرت بى أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب ودعتنى إلى الإسلام . . لقد أسلمت خديجة بنت خويلد زوج محمد وأم الفضل وبركة الحبشية امرأة زيد بن محمد . . لقد تلت على آيات من القرآن . . ارتجف لها قلبى وسما بوجدانى وارتاح له ضميرى .

فتساءل عياش بن أبى ربيعة :

- وماذا ترين ؟

قالت أسماء بنت سلامة :

- الرأى رأيك .

قال عياش بن أبي ربيعة :

- غداً . . سنلقى محمداً .

ونامت أسماء بنت سلمة . . فرأت فى المنام أنها ألقيت فى النار ولكنها فرت منها إلى وادى أخضر معشب وماء . فقامت من نومها ترتجف فسألها زوجها عياش :

ـ ما بك ؟

فروت له ما رأت فى منامها .. فقال عياش :

ـ وهل تحتاج رؤياك إلى تأويل ؟ ... أبشرى .. إنه الإسلام أنقذك من النار

وقبل أن يطل وجه الشمس من خلف جبل أبى قبيس قال عياش لامرأته أسماء بنت سلمة :

ـ هيا إلى رسول الله فما أشوقنى إلى لقائه .

فقالت أسماء بنت سلمة : شوقك بعض ما عندى

وخرجا مستخفين يبحثان عن النبى عليه الصلاة والسلام فوجداه يصلى مع على بن أبى طالب فى شعب أبيه .. فانتظرا حتى فرغ من صلاته .. فتقدم عياش وأسماء فجلسا بين يديه ... فعرض النبى عليه الصلاة والسلام عليهما الإسلام .. وتلا عليهما آيات من الذكر الحكيم .. فأنصتا إلى كلام الله حتى انبلجت لقلوبهما الحقيقة فأشرقت بالأنوار .. ونطق عياش وامرأته بالشهادتين .

وأخذ عياش بن أبى ربيعة لا يفارق رسول الله ﷺ .. حتى صارت دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى مقرا لرسول الله ﷺ وأصحابه فالتفوا حوله ليتلقون أشرف علم ويحيون قلوبهم بنور حكمة رسول الله ﷺ وكلام الله عز وجل .

وكانت أسماء بنت سلمة تلقى زوجها إذا رجع من بيت الإسلام فتقول له :

ـ ماذا قال رسول الله ﷺ ؟ ماذا أنزل الله على نبيه ؟

فيخبرها عياش بن أبى ربيعة .. فيجلسان ويتدارسان ما قاله النبى عليه الصلاة والسلام وما جاء به جبريل عليه السلام .. ويقرنا القول بالعمل .

وذات يوم جاءت أسماء بنت مخرمة بن جندل إلى بيت ابنها عياش فقالت له :

ـ بلغنى أنك صبأت وتبعت محمداً .

فقال عياش :

ـ بل أسلمت .

فنظرت أسماء بنت مخرمة نحو ابنة أخيها أسماء بنت سلمة وقالت :

وأنت ؟

فقالت أسماء بنت سلامة :

ـ نبذت عبادة الأصنام وآمنت بالله الواحد القهار .

فهزت أسماء بنت مخزوم رأسها وقالت لابنها عياش :

ـ ألم تعلم ما ينزله أبناء مخزوم بمن تبع محمدا من اضطهاد وتعذيب ؟ فما بالك ما سينزلونه بمن صبأ منهم ؟

قال عياش بن أبى ربيعة :

فى سبيل الله ما نلقى .

قالت أمه : عد إلى دين آبائك واهجر ما جاء به محمد إنه يفرق بين الأم وابنها والمرء وزوجه والصاحب وصاحبه .

فقالت أسماء بنت سلمة :

ـ لقد جاء نبى الله بخير الدنيا وهناءة الآخرة .

فقالت أسماء بنت مخرمة :

أترددان ما يقوله محمد عن البعث والحساب ؟

قال عياش بن ربيعة :

لقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾[سورة النجم : الآية ٣٩ ـ ٤٢] .

فقالت أمه :

ـ أرضعك لبان قرآنه ؟

فقالت أسماء بنت سلامة

بل قرآن الله ؟

فنظرت أسماء بنت مخرمة نحو ابنها وتساءلت :

ـ ألم ينه دينك عن عقوق الوالدين ؟

قال عياش بن أبى ربيعة :

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة لقمان : الآية ١٥] .

فصرخت أمه وقالت : كف عن قراءة شعر محمد وإلا دعوت أحابيش أبيك وأمرتهم بتعذيبك عذابًا لم يعذبه أحد من قبل .

فتساءل عياش :

ـ يا أمه لم لا تتبعى رسول الله ﷺ وتخلعى من عنقك عبادة أصنام وأوثان لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ؟

قالت أسماء بنت مخرمة مغضبة :

ـ لقد حذرتك وأنذرتك .

فقال عياش بن أبى ربيعة :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿الم ① تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ② هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ③ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة لقمان : آية ١ ـ ٦] .

فوضعت أمه أصبعيها فى أذنيها وتوقفت عن السير فى الحجرة وصرخت :

ـ حسبك . . حسبك ، واللات والعزى لأخلى بينك وبين قومك ليقتلوك بعد أن جلبت لنا العار والهوان .

ووثبت بنو مخزوم على من تبع محمد ﷺ وأخذ أبو جهل بن هشام يؤنب أخاه عياشًا أشد تأنيب وأنزل به وامرأته عذاب الهون ، ولكن عياش بن ربيعة وامرأته أسماء بنت سلمة صبرا . . ثم ذهبا إلى رسول الله ﷺ فوجد عثمان بن عفان

وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبو سلمة المخزومى وأم سلمة يشكون للنبى اضطهاد وأذى قريش لهم .. فأذن النبى عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالهجرة مرة أخرى إلى الحبشة .

وهاجر عياش بن أبى ربيعة وامرأته أسماء بنت سلمة إلى الحبشة وتركا مالهما وعشيرتهما فرارا بدينهما وعاشا فى دار الغربة وولدت أسماء بنت سلمة ولدا فسماه عياش بن أبى ربيعة عبد الله .

ثم عاد عياش وأسماء وابنهما عبد الله إلى مكة لعلهم يجدون مستقرا بعد طول غياب ولكن أشراف قريش كانوا لمهاجرى الحبشة بالمرصاد .

وبايع الأنصار رسول الله ﷺ . وأخذ أصحاب رسول الله ﷺ يهاجرون إلى يثرب فذهب عياش وهشام بن العاص إلى عمر بن الخطاب وواعداه أن يهاجرا معه .. كان عياش يخشى أن يعلم أخواه أبو جهل والحارث بن هشام فيمنعاه من الهجرة . وكان هشام يخشى قومه . فقالا للفاروق :

الميعاد بيننا التناصب من أضاة بنى غفار أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه .

ووجد عياش عمر بن الخطاب عند التناصب فأدركا أن هشام بن العاص قد حبس.. فهاجر عمر وعياش إلى يثرب

وانطلق أبو جهل والحارث ابنا هشام إلى يثرب فلقيا عياش بن أبى ربيعة ـ أخوهما لأمه ـ فقالا له :

ـ إن أمك نذرت أن لا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك.

فقال عياش بن أبى ربيعة لأخويه :

ـ هى حرة ، تختار لنفسها ما يحلو .

فقال الحارث بن هشام :

ـ أنت تعلم كم تحبك .

فقال عياش :

ويعلم الله كم أحبها ولكن دينى أحب إلى .

فقال أبو جهل :

ـ ألا يحث دينك على بر الوالدين ؟

قال عياش بن أبى ربيعة : بلى .

قال الحارث بن هشام :

ـ فلم لا تبر أمك لقد ابيضت عيناها من الحزن عليك ؟

فتساءل عياش :

ـ وكيف أبرها ؟

قال أبو جهل بن هشام :

ـ تراها قبل أن تموت فإن لم تكن تحب أن تراها فإنها تحب أن تراك

فنظر عياش إلى أخويه نظرة توشى بالريبة فقالا :

ـ لا تخف شيئا فأنت من أنت سيادة فى قومك وما كان لنا أن نسوى بينك وبين غيرك .

ـ ونسى عياش عداوة أخيه أبى جهل للإسلام والمسلمين ورق قلبه لأمه وقرر العودة مع أخويه ليراها ثم يرجع إلى يثرب . . فقال :

ـ انتظرا حتى أذهب إلى رسول الله ﷺ .

ولقى عيش الفاروق فأخبره بأمر أمه فقال عمر بن الخطاب :

ـ إن أبا جهل والحارث سيخدعانك ويفتنانك عن دينك ، فو الله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت .

فقال عياش بن أبى ربيعة :

ـ أبر قسم أمى ولى هناك مال فآخذه وأعود .

فقال عمر بن الخطاب :

- والله إنك لتعلم أنى من أكثر قريش مالاً فلك نصف مالى ولا تذهب مع أبى جهل والحارث .

لم ينظر عياش إلى شطر مال الفاروق وقال :

- لابد أن أبر قسم أمى .

فلما رأى عمر منه إصرارًا على العودة إلى مكة مع أبى جهل والحارث فقال :

أما إذا فعلت فخذ ناقتى هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها فإن رأيت من أمر أبى جهل والحارث ريب . فانج عليها .

وركب عياش ناقة عمر بن الخطاب وسار مع أخويه وهو لا يخشى غدرا . . وفى الطريق قال أبو جهل :

- أتعبنى بعيرى هذا ... ما رأيك يا عيش لو تبادلنا الدابتين ؟

فقال عياش :

- حبًا وكرامة .

ثم أناخ عياش ناقته وعندما وطأت قدماه الأرض وثب عليه أخواه أبو جهل والحارث وطرحاه أرضا وأوثقاه رباطا فتساءل فى عجب :

- ماذا تصنعان ؟

قال أبو جهل والحارث :

- فى مكة سنرمى بك فى محبس ولن نكف عن تعذيبك حتى تعود إلى رشدك .

ودخلا به مكة نهارا موثقا . . ونادى أبو جهل قريشا وقال :

- يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا .

وألقى بعياش بن أبى ربيعة فى محبس لا سقف له مع هشام بن العاص مكبلين فى

الحديد .

وكانت أسماء بنت سلمة ترسل إليهما طعاما وشرابا فى محبسهما .

وأقبلت أسماء بنت مخرمة فقالت :

ـ لقد سحركم محمد .

فقال عياش :

ـ معاذ الله أن يكون رسول الله ساحرا .

فقالت أسماء بنت مخرمة :

ـ يا بنى عد إلى عبادة اللات والعزى .

فقال عياش :

ـ والله لا أعود لكفر بعد أن ذقت حلاوة الإيمان .

فقالت أسماء بنت مخرمة :

ـ أنحن كفار ؟

قال عياش :

ـ نعم كفار بأنعم الله . . أنتم أصنام تعبدون وتبتهلون إلى أصنام

فنظرت أسماء بنت مخرمة نحو الجلاد وقالت له :

ـ عذبه ولكن لا تقتله . قطعه ولكن لا تميته

فقد نسيت ولا أكاد أذكر أن كان لى ولد يسمى عياش .

وتركت ابنها عياشًا وهشامًا فى محبسهما ينزل بهما صنوف العذاب والهول .

وعلمت أسماء بنت سلمة بهزيمة المشركين فى بدر . فبعثت إلى زوجها عياش فى محبسه . . فهلل عياش وهشام .

ـ الله أكبر . . الله أكبر ورب الكعبة إننا لنراه أول بشائر النصر بعد هلكة أعداء الإسلام أبى جهل وعتبة وشيبة ابنا ربعية وأمية

وفرحت أسماء بنت سلمة بإسلام عمير بن وهب ـ بعد أن كان شيطان قريش وفارسها صار حوارى الإسلام ـ والوليد بن الوليد بن المغيرة .

وذات ليلة جاء الوليد بن الوليد منقبا فطرق باب أسماء بنت سلمة . . فلما عرفته سألها عن محبس عياش وهشام فدلته عليه . . فقال لهما :

ـ إن رسول الله ﷺ لم ينس المستضعفين من المؤمنين كعياش وهشام

وحملت أسماء حجرا فوقف عليه ثم تسلق الجدار وضرب بسيفه قيد عياش فقطعه ثم ضرب قيد هشام فشطره . وانطلق الوليد بن الوليد وهشام بن العاص وعياش وأسماء بنت سلمة وابنها الجلاس . . إلى مدينة رسول الله .

* * *

صفية بنت عبد المطلب

قاتلة اليهودى

هى عمة النبى الخاتم ﷺ

وهى أخت حمزة بن عبد المطلب

أمها هالة بنت وهب خالة النبى ﷺ

كان أول من تزوج صفية بنت عبد المطلب الحارث بن حرب بن أمية ، فلما هلك خلف عليها العوام بن خويلد بن أسد فولدت له الزبير بن العوام والسائب وعبد الكعبة .

ولما بعث الله عز وجل المبعوث للناس كافة ﷺ وأسلم الزبير بن العوام قالت له أمه :

ـ اثبت إن أحق من آزرت وعضدت ابن خالك ، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه وذببنا عنه ـ دافعنا عنه ـ

كان قلبها مع ابن أخيها ، وكثيراً ما كانت تنهر أخاها أبا لهب بن عبد المطلب إذا عرض لرسول الله ﷺ أو آذاه .

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء الآية : ٢١٤ ـ ٢١٥] .

وأراد محمد بن عبد الله ﷺ أن ينذرهم فقام فقال :

ـ يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار

يا معشر بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار

يا معشر بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار

يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار

يا صفية بنت عبد المطلب أنقذى نفسك من النار ، لا أملك لكم من الله شيئا ، سلونى من مالى ما شئتم .

ولما أسلم حمزة بن عبد المطلب رجع إلى بيته فأتاه الشيطان فقال له :

- أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك ؟ للموت خير لك مما صنعت

فأقبل حمزة على نفسه وقال :

- ما صنعت اللهم إن كان رشدًا فاجعل تصديقه فى قلبى وإلا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجًا

فبات ليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان

فلما أصبح لقى أخته صفية بنت عبد المطلب فحدثها ففرحت بإسلامه وقالت له:

- ائت ابن أخيك واثبت

فانطلق حمزة بن عبد المطلب إلى السراج المنير ﷺ فقال له :

- يا ابن أخى إنى قد وقعت فى أمر ولا أعرف المخرج منه ، وإقامة مثلى على ما لا أدرى ما هو أرشد أم هو فى شديد ؟ فحدثنى حديثًا فقد اشتهيت يا ابن أخى أن تحدثنى .

فأقبل الصادق المصدوق ﷺ على عمه فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله فى قلب حمزة الإيمان بما قال إمام النبيين ﷺ فقال حمزة :

- أشهد أنك لصادق شهادة الصدق فاظهر يا ابن أخى دينك فو الله ما أحب أن لى ما أظللته السماء وأنى على دينى الأول

فكان حمزة بن عبد المطلب ممن أعز الله به الدين

وأسلمت صفية بنت عبد المطلب وهاجرت مع ابنها الزبير بن العوام

*** يوم أحد**

لما علم رسول الله ﷺ أن قريشًا قد أقبلت بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل العرب وكنانة وتهامة وغيرهم ليدركوا ثأرهم يوم بدر ، خرج إلى أحد وقد خلف نساءه وعمته صفية بنت عبد المطلب فى أطم - بناء مرتفع - يقال له فارع عند المسجد فأدخلهن فيه ومعهن شاعره حسان بن ثابت .

فرقى يهودى من اليهود حتى أطل عليهن فلما رأته صفية بنت عبد المطلب قالت لحسان بن ثابت :

- دونك يا ابن الفريعة ، قم إليه فاقتله

فقال شاعر رسول الله ﷺ :

- لا والله لا أستطيع القتال !

وصعد اليهودى إلى الأطم فقالت صفية بنت عبد المطلب لحسان بن ثابت :

- قم إليه فاقتله

قال حسان بن ثابت :

- ما ذاك فى لو كان ذلك فى لكنت مع رسول الله ﷺ

فقالت صفية بنت عبد المطلب :

- شد على يدى السيف ثم برئت

فربط حسان بن ثابت السيف على ذراع صفية بنت عبد المطلب . فقامت إلى اليهودى وقطعت رأسه

ثم قالت لحسان بن ثابت :

- خذ رأسه وارم به إليهم

فرمى حسان برأس اليهودى فسقطت إليهم ، فلما رأى اليهود رأس صاحبهم انكشفوا وقالوا :

- لقد ظننا أن محمدا لم يكن ليترك أهله خلوفا لا رجل معهم

ولما انهزم المسلمون يوم أحد جاءت صفية بنت عبد المطلب وبيدها رمح فراحت تضرب به وجوههم وتقول :

- انهزمتم عن رسول الله ﷺ ؟

وكان أخوها حمزة بن عبد المطلب قد قتل ومثل به ، فلما رآها نبى الرحمة ﷺ مقبلة قال لابنها الزبير بن العوام :

- القها فارجعها حتى لا ترى ما بأخيها

فليقيها الزبير بن العوام وقال لها :

- أى أمه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى

فتساءلت صفية بنت عبد المطلب :

- ولم ؟ لقد بلغنى أنه مثل بأخى ، وذاك فى الله فما أرضانا بما كان من ذلك لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله

فرجع الزبير إلى أبى القاسم ﷺ فأخبره بقول عمته صفية بنت عبد المطلب فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

- خل سبيلها

فأتت صفية بنت عبد المطلب فنظرت إلى أخيها حمزة بن عبد المطلب وقد بقرت بطنه وقطعت مذاكيره فاسترجعت واستغفرت له

ولما ذكر ما كان من أمر صفية وحسان بن ثابت واليهودى لرسول الله ﷺ فضحك النبى عليه الصلاة والسلام حتى بدت نواجذه ، وما رأت صفية بنت عبد المطلب ابن

أخيها ﷺ ضحك من شيء قط ضحكه منه

وضرب خاتم النبيين ﷺ بسهم لصفية بنت عبد المطلب كما ضرب للرجال

*** صفية بنت عبد المطلب ترثى أخاها حمزة بن عبد المطلب**

قالت أم الزبير :

دعاه الإلـه الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يحيا بها وســـــرور

فذاك ما كنا نرجو ونرتجـــــــى ... لحمزة يوم الحشر خير مصيـــر

فوالله لا أنساك ما هبت الصبـــا ... بكاء وحزنا محضرى ومسيرى

على أسد الله الذى كان مدرهـــا ... يذود عن الإسلام كل كفـــور

*** يوم الخندق**

ولما علم رسول الله ﷺ بمقدم الأحزاب أشار عليه الصحابى الجليل سلمان الفارسى بحفر خندق واسع عميق حول المدينة

ورفع خاتم النبيين ﷺ أزواجه مع النساء والصبيان إلى أطم حسان بن ثابت

تقول صفية بنت عبد المطلب :

كان حصن حسان بن ثابت من أحسن الآطام بالمدينة ، وكان شاعر رسول الله ﷺ مع النساء والصبيان فى الحصن ، حيث خندق النبى عليه الصلاة والسلام فمر بنا رجل يهودى فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة مع الأحزاب وقطعت ما بينها وبين خاتم الأنبياء ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدافع عنا ، ورسول الله ﷺ والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم ، وإن آتانا آت فقلت :

ـ يا حسان إن هذا اليهودى يطوف بالحصن كما ترى ولا آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود فانزل إليه فاقتله

فقال حسان بن ثابت :

ـ يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا

تقول أم الزبير :

ـ فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت وأخذت عمودا ونزلت من الحصن إلى اليهودى فضربته بالعمود حتى قتلته ، ثم رجعت إلى الحصن

فقلت لحسان بن ثابت :

ـ انزل فاسلبه فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل

فقال حسان بن ثابت :

ـ ما لى بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب

فكانت صفية بنت عبد المطلب أول من قتلت رجلاً من المشركين ـ يوم أحد ويوم الخندق ـ

*** يوم خيبر**

خرجت عمة الرسول ﷺ مع بعض النساء فى جيش رسول الله ﷺ يوم خيبر

وعندما خرج ياسر اليهودى يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى ياسر شاكى السلاح بطل مغـاور

إذا الليوث أقبلت تبـادر إن حمـاى فيه موت حاضر

ثم طلب المبارزة . . فخرج إليه الزبير بن العوام فقالت صفية بنت عبد المطلب لرسول الله ﷺ :

ـ يا نبى الله إنه يقتل ابنى

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ

ـ بل ابنك يقتله إن شاء الله

وصدقت نبوءة النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ فقد ضرب الزبير ياسر - مرحب - اليهودى بسيفه فقتله

ولما فتح الله خيبر أطعم رسول الله ﷺ صفية بنت عبد المطلب أربعين وسقا

*** لما قبض رسول الله ﷺ**

لما انتقل خاتم النبيين ﷺ إلى الرفيق الأعلى خرجت أم الزبير تلمع بردائها وهى تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة   لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب

ثم قالت :

لفقد رسول الله إذ حان يومه   فيا عين جودى بالدموع السواجم

*** روايتها لحديث رسول الله ﷺ**

روت صفية بنت عبد المطلب عن رسول الله ﷺ

*** وفاتها**

ماتت عمة رسول الله ﷺ فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ودفنت بالبقيع بفناء دار المغيرة بن شعبة عند الوضوء .

* * *

زينب بنت أبى سفيان

زوج عروة بن مسعود الثقفى . وابنة أبى سفيان بن حرب . وأخت أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ .

رجع أبو سفيان من اليمن فاقبلت قريش لاستقبال سيد بنى أمية وكبير تجار قريش ويسألون عن بضائعهم وجاء محمد ـ ﷺ ـ وهند بنت عتبة عنده تلاعب أبناءها معاوية ويزيد وعتبة فسلم عليه وسأله عن سفره ومقامه ولم يسأله عن بضاعته ثم قام أبو القاسم - ﷺ ـ فقال أبو سفيان لزوجه هند بنت عتبة :

ـ والله إن هذا ليعجبنى . ما من أحد من قريش له معى بضاعة إلا وقد سألنى عنها وما سألنى هذا عن بضاعته

فقالت هند بنت عتبة وهى مستمرة فى ملاعبة صبيانها :

أو ما علمت شأنه ؟

فقال أبو سفيان فى دهشة :

ـ ما شأنه ؟

قالت هند بنت عتبة :

ـ يزعم أنه رسول الله .

فهز أبو سفيان رأسه وقال :

ـ إن هذ لهو الباطل لهو أعقل من أن يقول هذا .

فقالت هند بنت عتبة :

ـ بلى والله ليقولن ذلك ويدعو إليه وأن له لصحابة على دينه فقد آمن به أبو بكر ابن أبى قحافة وعلى بن أبى طالب وزيد بن حارثة وعثمان بن عفان والزبير بن العوام

وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وخباب وصهيب وعمار وبلال .

فقال أبو سفيان بن حرب فى غضب :

ـ هذا هو الباطل .

إن أبا سفيان سيد قومه إذا أسلم فسيكون تابعًا لمحمد ـ ﷺ ـ فكيف يرضى بذلك؟ فجحد وكذب دعوته . . وحاربها .

وسخر عروة بن مسعود وقال :

هلا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ـ مكة والطائف ـ ؟

فنزل قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [سورة الزخرف الآية : ٣١، ٣٢]

ورأى عروة بن مسعود الثقفى أن دعوة محمد بن عبد الله ـ ﷺ ـ ستقضى على جاه وسلطان أحد الأكابر من قومه فأبى اتباعه.

ولما كان يوم الحديبية صدت قريش محمدا ـ ﷺ ـ وأصحابه عن البيت الحرام وبعثوا بديل بن ورقاء الخزاعى ثم مكرز بن حفص ثم الحليس بن علقمة سيد الأحابيش . . ولما أرادوا أن يبعثوا عروة بن مسعود قال :

ـ يا معشر قريش إنى رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد وإنى ولد وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى أسيتكم بنفسى .

فقال سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص : صدقت ما أنت عندنا بمتهم .

فخرج عروة بن مسعود حتى أتى محمدًا ـ ﷺ ـ فجلس بين يديه ثم قال:

ـ يا محمد أجمعت أوباش الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ يا محمد

أرأيت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإنها لقريش قد خرجت معها العوذ المطافيل - جمع مطفل وهى ذات الطفل - قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها - مكة - عليهم عنوة أبدا . وإنى لأرى وجوهًا وأوباشًا - أخلاط - من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك وايم الله لكأن بهؤلاء قد انكشفوا غدًا عنك .

وكان أبو بكر الصديق جالسا خلف رسول الله ﷺ فقال لعروة بن مسعود :

- اغضض بظر اللات أنحن ننكشف عنه ؟

وغضب عروة فاللات إله الطائف وهو سيد بنى ثقيف وإنها لكلمة تحط من شأنه وشأن معبوده فقال فى حنق :

من هذا يا محمد ؟

فقال رسول الله ﷺ :

هذا ابن أبى قحافة .

فقال عروة بن مسعود للصديق :

لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها .

ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه - وهذه عادة العرب الرجل يتناول لحية من يكلمه عند الملاطفة - وكان المغيرة بن شعبة ابن أخى عروة واقفًا على رأس النبى ﷺ وقد لبس درعه وغطت خوذته ولم يكن يبدو منه إلا عيناه فلما رأى عمه يتناول لحية رسول الله ﷺ ولا يرى رسول الله ﷺ يصنع كما يفعل عروة فجعل يقرع يد عمه إذا تناول لحية أبى القاسم ﷺ بنعل سيفه ويقول :

اكفف يدك عن مس لحية رسول الله ﷺ فإنه لا ينبغى لمشرك ذلك .

فالتفت إليه عروة وقال :

- ويحك ما أفظك وما أغلظك ليت شعرى من هذا الذى أذانى من بين أصحابك؟

والله إنى لا أحسب فيكم ألأم منه ولا شر منزلة .

فتبسم رسول الله ﷺ وقال :

ـ هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة .

فقال عروة بن مسعود : يا غدر والله ما غسلت عنك غدرتك بعكاظ إلا بالأمس وقد أورثتنا العداوة من ثقيف إلى آخر الدهر .

وراح رسول الله ﷺ يخبر عروة أنه لم يأت لحرب .

ورأى عروة بن مسعود ما يصنع به أصحابه إذا تكلم خفضوا أصواتهم وإذا سقطت منه شعرة أسرعوا وأخذوها ولا يحدون إليه النظر تعظيما له .

ورجع عروة بن مسعود إلى قريش فقال لهم :

ـ يا معشر قريش : إنى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه والله ما رأيت ملكا فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه ولقد رأيت قومًا لا يسلمونه لشيء أبدًا فسروا رأيكم فإنه عرض عليكم رشدا فاقبلوا ما عرض عليكم فإنى لكم ناصح مع أنى أخاف أن لا تنصروا عليه .

فقال سادات قريش :

لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور ولكن نرده عامنا هذا ويرجع إلى قابل.

فقال عروة بن مسعود :

ـ ما أراكم إلا ستصيبكم قارعة ـ داهية مفاجئة ـ

ثم انصرف عروة ومن معه إلى الطائف .

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وهزم المشركين فى حنين سار إلى الطائف فحاصرها وكان عروة بن مسعود غائبًا عنها .

فلما رجع إلى المدينة خرج عروة بن مسعود فى أثره حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم .

وأحس عروة بن مسعود أنه أعطى مع سلطان المال إيمانًا راسخً وازداد شرفًا ورفعة .

قال رسول الله ﷺ :

عرض على الأنبياء عليهم السلام فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى ابن مريم فإذا أقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود ورأيت إبراهيم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم يعنى نفسه ﷺ ورأيت جبريل عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية الكلبى (رواه مسلم والترمذى عن جابر) .

وكان عروة بن مسعود فى قومه محببا مطاعا وكان عنده عشر نسوة فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعا فكان من الأربع اللاتى اختار زينب بنت أبى سفيان .

واستأذن عروة بن مسعود أن يرجع إلى قومه فقال له الصادق المصدوق ﷺ :

- إنى أخاف أن يقتلوك .

قال عروة بن مسعود :

- لو وجدونى نائما ما أيقظونى يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبصارهم .

فأذن له .. فانطلق إلى الطائف فدعا زوجاته الأربع فأسلمت زينب بنت أبى سفيان والنساء الثلاث .

يقول عروة بن مسعود :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الخطايا» .**

ودعا عروة بن مسعود قومه إلى الإسلام ونصح لهم فعصوه وأسمعوه من الأذى . فلما كان من السحر قام عروة على غرفة له فأذن فرماه رجل من ثقيف بسهم - أوس ابن عوف أو وهب بن جابر - فسقط على الأرض فقيل له :

- ما ترى فى دمك ؟

قال عروة بن مسعود :

ـ كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الله إلى فليس فى إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع النبى ﷺ قبل أن يرحل عنكم ـ يوم حصار الطائف ـ فادفنونى معهم.

فلما مات عروة بن مسعود دفنوه مع أصحاب رسول الله ﷺ الشهداء .

ولما بلغ رسول الله ﷺ ما حدث لأبى يعفور قال :

مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه [أخرجه الحاكم فى المستدرك والطبرانى فى المعجم الكبير عن عروة] .

* * *

فاطمة بنت محمد ﷺ

يؤذيني من آذاها

سيدة نساء العالمين فى زمانها

البضعة النبوية

كانت تكنى أم أبيها

أم ريحانتى رسول الله ﷺ الحسن والحسين

ولدت قبل البعث بقليل عندما كانت قريش تجدد الكعبة

*** لماذا سميت فاطمة ؟**

سماها الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ بإلهام من السماء

يقول الصحابى الجليل أبو هريرة :

- قال رسول الله ﷺ : إنما سميت فاطمة لأن الله فطمها وحجبها عن النار، واشتقاقها من الفطم أى القطع ومن فطم الصبى إذا قطع عنه اللبن

ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ تسعة أسماء :

فاطمة المباركة ، والزكية ، والصديقة ، والراضية ، والزهراء - لأنها زهرة المصطفى ﷺ - والطاهرة ، وكان يطلق عليها أم النبى أو أم أبيها .

كما لقبت بالبتول ، لأن الله عز وجل قطعها عن النساء حسنًا وفضلاً وشرفًا ، أو لأنه لا شهوة لها للرجال أو لانقطاعها إلى الله وتفرغت لعبادته .

*** إسلامها**

لما بعث الله محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا كانت امرأته خديجة بنت خويلد أول من آمن من النساء وبناتها : رقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة ونطقن بشهادة الحق .

*** دفاعها عن أبيها ﷺ**

لما اشتدت عداوة قريش للمبعوث للناس كافة ﷺ ، كانت الزهراء تدافع عنه ما يلقى من كيد وأذى المشركين وسفهاء قريش

فذات يوم جلس أبو القاسم ﷺ مع بعض أصحابه المستضعفين : عبد الله بن مسعود ، وصهيب بن سنان الرومى ، وعمار بن ياسر ، وبلال بن رباح فى ظل الكعبة . . ثم قام إمام الخير ﷺ عند المقام ، وكان أبو جهل بن هشام وشيبة وعتبة ابنا ربيعة وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف والنضر بن الحارث وأبى بن خلف يجلسون فى الحجر فلما سجد خاتم النبيين ﷺ قال أبو جهل :

ـ أيكم يأتى بفرث جزور ـ ما فى كرش الجمل ـ فتكفيه ـ أكفأ : أمال وقلب ـ على محمد ؟

فانطلق أشقاهم عقبة بن أبى معيط فأتى بفرث الجزور فألقاها على كتف نبى الرحمة ﷺ وهو ساجد

يقول الصحابى الجليل ابن مسعود :

ـ وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ليس عندى منعة تمنعنى إذ سمعت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فأقبلت حتى زلقت ذلك عن عاتقه ـ ما بين المنكب والعنق ـ ثم استقبلت قريشًا تسبهم ، فلم يرجعوا إليها شيئا

فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال لهم :

ـ اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش . اللهم عليك بعتبة وعقبة وأبى جهل وشيبة ثم خرج رسول الله ﷺ من المسجد ودخل داره (أخرجه البزار والطبرانى عن عبد الله بن مسعود) .

وذات ضحى كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فى طريقها إلى البيت فسمعت

سادات قريش فى الحجر يذكرون أبا القاسم ﷺ فقالوا :

- ما صبرنا لأمر كصبرنا لأمر هذا الرجل قط ، إذا مر محمد فليضربه كل واحد منا ضربة

فانطلقت الزهراء إلى أبيها ﷺ وقالت وهى تبكى :

- تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا فى الحجر فحلفوا باللات والعزى ومناة وإساف ونائلة إذا هم رأوك يقوموا إليك فيضربرك بأسيافهم فيقتلوك

فقال إمام الأنبياء ﷺ :

- **أى بنية لا تبكين فإن الله مانع أباك** (أخرجه البيهقى)

*** زواج على بن أبى طالب من فاطمة**

عرف ربيب رسول الله ﷺ **بعد وقعة بدر بفارس الإسلام فقد فعل بمشركى قريش** الأفاعيل ، وكانت لأبى بكر الصديق والفاروق عمر بن الخطاب منزلة عظيمة عند نبى الرحمة ﷺ ، فقد كانا وزيريه يستشيرهما فى مهام أموره . وكان كل من الصديق والفاروق يسعى جاهدًا أن يوثق عرى صلته بسيد الخلق ﷺ فقد سبقهما عثمان بن عفان وتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ ، ولما ماتت رقية - أثناء وقعة بدر - تزوج **عثمان بن عفان أم كلثوم فسمى بذى النورين - أول إنسان تزوج ابنتى نبى -**

تقدم أبو بكر إلى النبى ﷺ وطلب منه أن يزوجه فاطمة . فقال الصادق المصدق ﷺ :

- **إنى أنتظر أمر الله فيه** (رواه ابن جرير)

وتقدم الفاروق وطلب الزهراء . . فأعرض عنه السراج المنير ﷺ يقول أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ :

- كنت قاعدًا عند النبى ﷺ فغشيه الوحى ، فلما سرى عنه قال عليه الصلاة والسلام :

ـ أتدرى يا أنس ما جاء به جبريل من عند صاحب العرش ؟

قال أنس بن مالك :

ـ بأبى وأمى وما جاء به جبريل من عند صاحب العرش ؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ إن الله أمرنى أن أزوج فاطمة من على (رواه الخطيب ، وابن عساكر ، والحاكم عن أنس) .

لقد كان زواج على بن أبى طالب من فاطمة بأمر من السماء .

*** فضلها**

كانت فاطمة بنت رسول الله أعز أبناء أبى القاسم ﷺ وبناته عنده فعن مكانتها يقول المسور بن مخرمة :

ـ قال النبى ﷺ : فاطمة بضعة منى ، فمن أغضبها فقد أغضبنى (رواه الطبرانى ، وأخرجه البخارى فى المناقب) .

ويقول صاحب الخلق العظيم ﷺ :

ـ إنما فاطمة بضعة منى يؤذينى ما آذاها وينصبنى ما أنصبها ـ يغضبى ما أغضبها ـ (رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، والحاكم عن عبد الله بن الزبير) .

وقال الرحمة المهداة ﷺ :

ـ إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار (رواه البزار وأبو يعلى عن عبد الله بن مسعود)

وقال صاحب الشفاعة ﷺ :

ـ أنا وعلى وفاطمة والحسن والحسين يوم القيامة فى قبة تحت العرش (رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى موسى)

*** الصابرة :**

عاشت الزهراء على قدرها وشرف نسبها عيشة ضنك ، فقد جرت يدها بالرحى حتى أثرت فيها ، واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها ، وكنست دارها حتى أغبرت ثيابها ، هذا وقد كفاها أبو الحسن الخدمة خارج البيت

ولما علم على بن أبى طالب أن النبى عليه الصلاة والسلام قد جاءه خدم قال للزهراء :

ـ لو أتيت أباك فسألتيه خادمًا

فأتت فاطمة أباها ﷺ فسألها :

ـ ما جاء بك بنية ؟

قالت الزهراء :

ـ جئت لأسلم عليك

واستحيت أن تسأله خادمًا ورجعت إلى بيتها فقال أبو الحسن :

- هل سألت رسول الله ﷺ خادمًا ؟

فقالت الزهراء :

ـ استحييت أن أسأله

وأتاها نبى الرحمة ﷺ من الغد فقال :

ـ ما كانت حاجتك ؟

فسكتت فقال على بن أبى طالب :

ـ أنا أحدثك يا رسول الله : جرت الرحى حتى أثرت فى يدها ، وحملت القربة حتى أثرت فى نحرها ، فلما جاءك الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمها خادمًا تقيها حر ما هى فيه .

فأخدمها النبى عليه الصلاة والسلام **فضة النوبية**

*** أى شىء خير للمرأة ؟**

سأل النبى العربى الأمى القرشى الهاشمى ﷺ أصحابه يومًا :

ـ أى شىء خير للمرأة ؟

فسكتوا ، فلم يكن عندهم لذلك الجواب ولما رجع على بن أبى طالب إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ قال لها :

ـ يا بنت محمد إن رسول الله ﷺ سألنا عن مسألة فلم ندر كيف نجيبه ؟

قالت الزهراء :

ـ وعن أى شىء سألكم ؟

قال على بن أبى طالب :

ـ قال : أى شىء خير للمرأة ؟

قالت فاطمة بنت رسول الله ﷺ :

ـ فما تدرون ما الجواب ؟

قال أبو الحسن :

ـ لا

قالت الزهراء

ـ ليس خير من أن لا ترى رجلاً ولا يراها

فلما كان العشيُّ جلسوا إلى رسول الله ﷺ فقال أبو الحسن :

ـ يا رسول الله إنك سألتنا عن مسألة فلم نجبك فيها ، ليس للمرأة شىء خير من أن لا ترى رجلاً ولا يراها

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ ومن قال ذلك ؟

قال على بن أبى طالب :

ـ فاطمة

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ صدقت إنما فاطمة بضعة منى (رواه البزار ، والدارقطنى فى الأفراد) .

* بنت رسول الله وبنت عدو الله

خطب أبو الحسن جويرية بنت أبى جهل إلى عمها الحارث بن هشام واستشار على النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

ـ أعن حسبها تسألنى ؟

قال أبو الحسن :

ـ قد أعلم ما حسبها ولكن أتأمرنى بها ؟

قال نبى الرحمة ﷺ :

ـ لا فاطمة بضعة منى ولا أحب أنها تحزن أو تجزع

فقالت فاطمة لأبيها :

ـ يزعم الناس أنك لا تغضب لبناتك وهذا أبو الحسن قد خطب ابنة أبى جهل وقد وعد النكاح

فصعد خاتم النبيين ﷺ المنبر وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال :

إن عليا قد خطب الجويرية بنت أبى جهل ولم يكن ذلك له ، والله لا تجتمع بنت نبى الله وبنت عدو الله ـ فى بيت واحد ـ وإنما فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما أذاها

فترك على بن أبى طالب الخطبة رعاية لها ، فما تزوج على الزهراء ولا تسرى ـ

ولم يتخذ مسرية ـ وقال أبو السبطين :

(رواه أبو يعلى فى مسنده عن سود بن غفلة)

* مرحبًا بابنتى

جاءت فاطمة تمشى ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقام إليها أبو القاسم ﷺ وقال :

ـ مرحبًا بابنتى (رواه أبو داود والترمذى)

ثم سارها فبكت . ثم سارها الثانية فضحكت

فلما قام النبى ﷺ قالت عائشة للزهراء :

ـ خصك رسول الله ﷺ بالسر . أنت تبكين . عزمت عليك من حق لما أخبرتنى مم ضحكت ؟ ومم بكيت ؟

قالت الزهراء :

ـ ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ

فلما توفى النبى ﷺ قالت لها عائشة :

ـ عزمت عليك بما لى من حق لما أخبرتنى

فقالت الزهراء :

ـ أما الآن فنعم ، فى المرة الأولى حدثنى أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، وأنه عارضنى العام فى هذه السنة مرتين ، وأنى لا أحسب ذلك إلا عند اقتراب أجلى فاتقى الله واصبرى ، فنعم السلف لك أنا ، فبكيت ، فلما رأى جزعى قال : أما ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء هذه الأمة ؟ فضحكت (رواه البخارى ومسلم) .

* * * *

كبشة بنت كعب بن مالك

أبوها الشاعر اللبيب كعب بن مالك. شهد بيعة العقبة ولما سمع رسول الله ـ ﷺ ـ اسمه قال ﷺ :

كعب بن مالك الشاعر ؟

وكان كعب بن مالك يكنى بأبى بشير فكناه الرسول (عليه الصلاة والسلام ـ أبا عبد الله .

وتخلف كعب بن مالك عن بدر فقد ظن أن رسول الله ـ ﷺ ـ خرج لعير قريش ولن يلقى حربًا .

وشهد كعب بن مالك غزوة أحد . . ولما زعم المشركون أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد قتل . . رأى كعب بن مالك النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فعرف عينيه تزهوان من تحت المغفر ففرح فرحًا شديدًا ونادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ـ ﷺ ـ .

فأشار رسول الله ـ ﷺ ـ أن اصمت . . فسكت .

وشهد كعب بن مالك مع رسول الله ـ ﷺ ـ وقعة الخندق ، ويوم العسرة ـ غزوة تبوك ـ كان كعب بن مالك **أحد الثلاثة الذين خلفوا** . . كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فقد قعدت بهم همتهم فى أول أمرهم فلم يخرجوا مع رسول الله ـ ﷺ ـ ثم عادوا فاستشعروا الندم وأحسوا ما تورطوا فيه فهموا باللحاق بالنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، ولكن ثناهم الخجل وصرفهم التردد . ولم يجدوا في مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ إلا رجلاً مغموصًا ـ مطعون عليه ـ بالنفاق والرياء أو ممن عذرهم الله من الضعفاء فتتصاعد أشجانهم وتتحدر شئونهم ـ تتساقط دموعهم ـ إذ لم يكونوا منافقين ولا مرائين ـ ولا مستضعفين ولا معذورين ولم يكونوا أقل حبًا فى الجهاد ممن

سبقهم ولا أرغب فى الموت فى سبيل الله ممن تخلفوا عنهم.

وعاد رسول الله ـ ﷺ ـ من جهاده ـ رجع من تبوك ـ وذهب إلى مسجده فصلى ركعتين ثم استقبل الناس فجاءه قوم مخلفون أخذوا يبسطون له المعاذير وينتحلون الأسباب ويقسمون بالله جهد أيمانهم فقبل علانيتهم وبايعهم ووكل إلى الله سرائرهم.

وأقبل شاعره كعب بن مالك يتعثر فى مشيته فتبسم له رسول الله ﷺ ـ تبسم العاتب المغضب ثم قال :

ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك ـ ما تركب ـ ؟

قال أبو عبد الله : بلى يا رسول الله والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى ـ سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلاً ولكن والله لقد علمت أنى لئن حدثتك حديثًا فيه كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد ـ تغضب ـ على فيه إنى لأرجو عفو الله . . والله ما كان لى عذر والله ما كنت أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ :

أما هذا فقد صدق . فقم حتى يقضى الله فيك .

وجاء مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فتحدثا بمثل ما تحدث به كعب بن مالك . فتركهما رسول الله ـ ﷺ ـ لقضاء الله وقدره كما ترك أبا عبد الله .

ونهى رسول الله ـ ﷺ ـ الناس عن كلامهم والاختلاط بهم حتى يفصل الله فى أمرهم يعذبهم إن شاء ويتوب عليهم . ومرت عليهم بعد ذلك أيام تقسمتهم فيها الهموم ولقوا من جفوة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مشقة وبلاء ومن عزلة أصحابه عنتا وعناء . .

أما مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فإنهما استكانا إلى بيتهما يبكيان وينتحبان انتظارًا لقضاء الله .

أما كعب بن مالك فقد كان شابًا يخرج إلى الأسواق ويغشى الطرقات ويشهد الصلاة ولكن لا يكلمه أحد .. حتى ابنته كبشة زوجة ابن عمه وأحب الناس إليه أبى قتادة - الحارث بن ربعى - ويقبل كعب على رسول الله - ﷺ - بعد أن ينفلت من الصلاة فيلقى - عليه الصلاة والسلام - ولا يدرى من اضطرابه أتوجه إليه أم أعرض ؟ رد عليه أو سكت ؟

وضاق به الأمر واشتدت به جفوة الناس فمشى إلى زوج ابنته كبشة وتسور الحائط وقال له : السلام عليك يا أبا قتادة .

فلم يرد عليه السلام .

فعاد كعب بن مالك يقول : يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمنى أحب الله ورسوله؟

فسكت أبو قتادة . فقال كعب بن مالك : يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟

فقال أبو قتادة : الله ورسوله أعلم .

ففاضت عيناه وتولى .. وبينما كعب بن مالك يمشى بسوق المدينة إذا بنبطى من أنباط أهل الشام قدم بالطعام ليبيعه فى المدينة ويقول : أين كعب ؟

فطفق الناس يشيرون إليه .. فدفع إليه كتابًا من ملك غسان ملفوفًا فى حرير ففتحه فإذا فيه .. أما بعد فقد بلغنى أن صاحبك - يعنى رسول الله ﷺ - قد جافاك ولم يجعلك الله بدار أهون ولا مضيعة .. فالحق بنا نواسك .

فلما قرأ كعب هذه الرسالة بكى هل هان أمر ؟ هل انحط أمره ؟ هل أصبح ممن يطمع فى دينه ؟ هل صار ممن يرجى تنصره ؟

وأخذ كعب بن مالك رسالة ملك غسان وألقى بها فى التنور - الفرن - ، وتفارطت أربعون يومًا لم يتلق الصادق المصدوق - ﷺ - فى هؤلاء الثلاثة شيئًا من الوحى ولم

يفصل أمرهم بشىء .

وأرسل رسول الله - ﷺ - إلى كعب بن مالك أحد أصحابه فقال له : يا كعب إن رسول الله - ﷺ - يأمرك أن تعتزل امرأتك .

فتساءل كعب بن مالك : أأطلقها أم ماذا أفعل ؟

فقال رسول رسول الله - ﷺ - : يقول النبى - عليه الصلاة والسلام - : اعتزلها ولا تقربها

وقال رسول الله ﷺ - إلى مرارة بن الربيع وهلال بن أمية مثل ذلك .

قال كعب بن مالك لامرأته : الحقى بأهلك فتكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر .

وجاءت امرأة هلال بن أمية النبى - عليه الصلاة والسلام - فقالت : يا نبى الله إن هلالاً شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟

فقال نبى الرحمة - ﷺ - : لا ولكن لا يقربك .

فقالت امرأة هلال : إنه والله ما به من حركة إلى شىء وإنه ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى اليوم .

وظل أمر الثلاثة الذين خلفوا معلقًا وحديث الناس معهم محظوراً حتى انقضت عليهم خمسون ليلة ...

وأقبل رسول الله - ﷺ - على أصحابه متهلل الوجه منشرح الصدر وأعلن فيهم أن الله عز وجل قد قبل توبة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فاندفعوا إليه مهنئين مبشرين : أبشر يا كعب .

فنزع كعب بن مالك ثوبيه - كان لا يملك غيرهما - وقدمهما إلى البشير واستعار ثوبًا وجرى إلى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فوجده جالسًا وحوله أصحابه فى مسجده فقال : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك .

ثم أقبل هلال بن أمية ومرارة بن الربيع فهنأهما وتلا قوله تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة التوبة : الآية ١١٧ ، ١١٨] .

وعاد كعب بن مالك وأبو هريرة وعمرو بن حزم مريضًا فقال أبو هريرة : قال رسول الله - ﷺ - « **يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار ؟ قلت : بلى بأبي وأمي قال : فاعلم أنك إذا أصبحت لم تمس وإذا أمسيت لم تصبح وإنك إذا قلت ذلك في أول مضجعك من مرضك نجاك الله من النار أن تقول لا إله إلا الله يحيى ويميت وهو حي لا يموت وسبحان الله ربنا العباد والبلاد والحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على كل حال الله أكبر كبيرًا كبرياء ربنا وجلاله في أرواح من سبقت له منك الحسنى وأعذني من النار كما أعذت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى فإن مت في مرضك ذلك فإلى رضوان الله والجنة وإن كنت قد اقترفت ذنوبًا تاب الله عليك** » .

فقال كعب بن مالك : قال حبيبي رسول الله - ﷺ - « **من عاد مريضًا خاض في الرحمة فإذا جلس عنده استنقع فيها** » (رواه الطبراني في الكبير)

فقال عمرو بن حزم : قال أبو القاسم - ﷺ - « **فإذا نهض من عنده - من عند المريض - فلا يزال يخوض فيها - الرحمة - حتى يرجع من حيث خرج** » .

وسكبت كبشة بنت كعب وضوءًا لزوجها أبي قتادة فجاءت هرة فأصغى أبو قتادة لها الإناء حتى شربت . . فنظرت كبشة بنت كعب إليه في عجب فقال : أتعجبين يا ابنة أخي ؟

فقالت كبشة بنت كعب : نعم .

فقال أبو قتادة : إن رسول الله - ﷺ - قال : « **إنها ليست بنجس إنها من**

الطوافين عليكم والطوافات »

يقول كعب بن مالك فى وصف رسول الله ـ ﷺ ـ : كان إذ سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة من قمر .

* * * *

جويرية بنت الحارث

أعظم امرأة بركة على أهلها

*** نسبها**

هى برة بنت الحارث بن أبى ضرار بن حبيب بن جذيمة الخزاعية المصطلقية

كانت تحت مسافح بن صفوان المصطلقى

*** غزوة بنى المصطلق**

علم رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون الجموع لمحاربته ، فخرج إليهم وهزمهم ووقعت برة بنت الحارث عندما وزعت الغنائم فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى

تقول أم المؤمنين عائشة :

- كانت - برة بنت الحارث - امرأة جميلة عليها حلاوة وملاحة لا يكاد يراها أحد إلا وقعت فى نفسه - كانت من أجل النساء - ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه على كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى **فكرهتها وعرفت أن سيرى فيها ﷺ ما رأيت**

وقفت أم المؤمنين عائشة حيالها لتحول بينها وبين دخولها على أبى القاسم ﷺ الذى كان وقتئذ يستريح ، ولكن برة بنت الحارث ألحت فى الاستئذان على خاتم النبين ﷺ فلم تملك أم عبد الله إلا أن تأذن لها وهى كارهة.

قالت برة بنت الحارث :

- يا رسول الله أنا برة بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه وقد أصابنى من الأمر ما لم يخف عليك ، فوقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته عن نفسى وجئت أستعينك

فتساءل المبعوث للناس كافة ﷺ :

ـ هل لك فى خير من ذلك ؟

قالت برة بنت الحارث :

ـ وما هو يا رسول الله ؟

قال أبو القاسم ﷺ :

ـ أقضى كتابك وأتزوجك

فقالت برة بنت الحارث بن أبى ضرار فى فرح :

ـ نعم

قال إمام الخير ﷺ :

ـ قد فعلت

وسماها صاحب الخلق العظيم ﷺ جويرية .

وكان صداقها عتق كل أسير من بنى المصطلق (رواه عبد الرزاق)

ولما خرج الخبر إلى بنى المصطلق أن النبى ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث قالوا :

ـ أصهار رسول الله ﷺ

فأرسل أصحاب إمام النبيين ﷺ ما فى أيديهم من سبايا بنى المصطلق

تقول أم المؤمنين عائشة :

ـ فلا نعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها

لقد أعتق زواج أبى القاسم ﷺ إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق

فكانت حقًا أيمن امرأة على قومها

*** ألا أعلمك كلمات ؟**

أتى إمام الخير ﷺ على أم المؤمنين جويرية بنت الحارث وهى تسبح غدوة ثم انطلق لحاجته ، ثم رجع قريبًا من نصف النهار فوجدها ما زالت فى مصلاها فقال عليه الصلاة والسلام :

قالت جويرية بنت الحارث :

ـ نعم

قال نبى الرحمة ﷺ :

ـ ألا أعلمك كلمات لو عُدِلُن بهن عدلتهن ، أو وزن بهن وزنتهن ـ يعنى جميع ما سبحت : سبحان الله عدد خلقه ثلاث مرات ، سبحان الله زنة عرشه ثلاث مرات ، سبحان الله رضا نفسه ثلاث مرت ، سبحان الله مداد كلماته ثلاث مرات

*** أزواجك يفخرون على**

ذات يوم قالت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث :

ـ يا رسول الله إن أزواجك يفخرون على ويقلن : لم يتزوجك رسول الله ﷺ

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ **أو لم أعظم صداقك ؟ ألم أعتق أربعين من قومك ؟** (رواه عبد الرزاق عن مجاهد)

وضرب عليها المبعوث للناس كافة ﷺ الحجاب وكن يقسم لها كما يقسم لنسائه

*** الصيام يوم الجمعة**

دخل رسول الله ﷺ على أم المؤمنين جويرية بنت الحارث يوم الجمعة **فوجدها صائمة فسألها :**

ـ أصمت أمس ؟

قالت جويرية بنت الحارث :

ـ لا

فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ أفتريدين الصيام غدا ؟

قالت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث .

ـ لا

قال إمام الخير ﷺ :

ـ فأفطرى

فهل أراد معلم البشرية ﷺ أن يخبرنا ويعلمنا أن من أراد صوم يوم الجمعة نافلة أن يسبقه أو يتبعه بصيام يوم ؟

*** وفاتها**

توفت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث فى ربيع الأول سنة ست وخمسين من الهجرة وهى ابنة خمس وستين سنة

وصلى عليها مروان بن الحكم عامل معاوية بن أبى سفيان على المدينة ودفنت فى البقيع مع أمهات المؤمنين

* * * *

أم الخير

هى زوجة الصحابى الجليل جندب بن جنادة ـ امرأة أبى ذر الغفارى ـ كان أبو ذر وأخوه أنيس جالسين أمام الدار فأقبل رجل من مكة فسأله أبو ذر : هل فيها من خبر؟

قال الرجل :

ـ نعم إن رجلا بمكة يزعم أنه نبى رغب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها

فشغل أبو ذر بذلك النبأ . . فلما انصرف الرجل التفت إلى أخيه أنيس وقال له:

ـ اركب إلى هذا الوادى وانطلق إلى هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله وكلمه وأتنى بخبره .

فركب أنيس بعيرا وانطلق إلى أم القرى وبقى أبو ذر الغفارى يرقب عودة أخيه فى لهفة . . حتى إذا جاء هرع إليه وسأله : ما عندك ؟

قال أنيس : والله رأيت رجلاً يأمر بالخير وينهى عن الشر ويزعم أن الله أرسله ورأيته يأمر بمكارم الأخلاق .

فقال أبو ذر الغفارى :

ـ فما يقول الناس فيه ؟

قال أنيس :

يقولون : شاعر . كاهن . ساحر . مجنون . . والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون.

فقال أبو ذر : ما شفيتنى مما أردت . . اكفنى حتى أذهب إلى مكة وأنظر .

فقال أنيس محذرا : نعم . . وكن على حذر من أهل مكة .

وتزود أبو ذر فحمل جرابا به تمرا وشنة ـ قربة ـ فيها ماء وعصا وانطلق إلى أم القرى فأتى المسجد فالتمس النبى عليه الصلاة والسلام وهو لا يعرفه وكره أن يسأل

عنه حتى أدركه الليل فاضطجع فرآه على بن أبى طالب فعرف أن جندب بن جنادة غريب فقال على بن أبى طالب :

ـ كأن الرجل غريب ؟

قال أبو ذر الغفارى :

ـ نعم .

فقال على بن أبى طالب :

ـ انطلق إلى المنزل .

فانطلق على به إلى حيث ينزل الضيفان بدار خديجة بنت خويلد لا يسأل أحدهما صاحبه عن شىء حتى أصبح فرجع أبو ذر الغفارى إلى المسجد يبحث عن رسول الله ﷺ لا يسأل أحدًا ولا يخبره أحد عنه بشىء ، فلما أمسى سار إلى مضجعه فمر على ابن أبى طالب فقال : أما آن للرجل أن يعرف منزله بعد ؟فقال أبو ذر الغفارى : لا.

فقال على بن أبى طالب : فانطلق معى .

فانطلقا وبات أبو ذر ليلته ثم خرج إلى المسجد يبحث عن النبى عليه الصلاة والسلام . . وتصرم النهار وأرخى الليل سدوله وجاء على ومر بأبى ذر فقال : تعالى معى.

فصارا صامتين ثم قال على : ألا تحدثنى ما الذى أقدمك هذا البلد ؟

قال أبو ذر الغفارى : إن أعطيتنى عهدا وميثاقا لترشدنى فعلت .

قال على بن أبى طالب : فإنى أفعل .

فقال أبو ذر الغفارى : بلغنا أنه خرج هنا رجل يزعم أنه نبى فأرسلت أخى ليكلمه فرجع ولم يشفنى من الخبر فأردت أن ألقاه .

فقال على بن أبى طالب :

إنه حق وإنه رسول الله ﷺ .. أما إنك قد رشدت . هذا وجهي إليه فاتبعني **أدخل حيث أدخل فإن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي فامض أنت .**

فانطلقا حتى دخل أبو ذر الغفاري على رسول الله ﷺ فقال : السلام عليكم . وكانت أول تحية ألقيت في الإسلام فقال النبي عليه الصلاة والسلام :

« **وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .. من أنت ؟** »

فقال أبو ذر الغفاري : رجل من غفار .

فجعل رسول الله ﷺ يرفع بصره ويصوبه تعجبا فقال أبو ذر لنفسه : كره أن انتميت إلى غفار ؟ .

وتساءل النبي عليه الصلاة والسلام : « **متى كنت هنا ؟** »

قال أبو ذر الغفاري : كنت ههنا من ثلاث .

قال رسول الله ﷺ : « **فمن كان يطعمك ؟** »

قال أبو ذر الغفاري : ما كان إلا ماء زمزم .

قال رسول الله ﷺ : « **إنها مباركة إنها طعام طعم** »

فقال أبو ذر الغفاري : أنشدني ما تقول .

فقال رسول الله ﷺ : « **ما هو بشعر فأنشدك ولكنه قرآن كريم** »

فقال أبو ذر الغفاري : اقرأ علي .

وراح رسول الله ﷺ يقرأ على جندب بن جنادة ما أنزل عليه من ربه وأبو ذر يصغي وهو مأخوذ .. وعرض عليه النبي عليه الصلاة والسلام الإسلام فقال أبو ذر الغفاري : **أشد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .**

وامتدت يده تصافح يد رسول الله ﷺ الشريفة .. وبايع بلسانه وقلبه .

فقال رسول الله ﷺ : « **ارجع إلى قومك فأخبرهم واكتم أمرك عن أهل مكة فإنى أخشاهم عليك** » .

فقال أبو ذر الغفارى :

ـ والذى بعثك بالحق لأصرخن بهذا بين ظهرانيهم .

وخرج أبو ذر الغفارى حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : يا معشر قريش . .

فأقبلوا فقال : يا معشر قريش . . إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فقام إليه القوم فضربوه حتى أضجعوه وأقبل العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فأكب عليه وقال لهم : ويلكم تقتلون رجلا من غفار وتجارتكم وممركم على غفار ؟

فقال سادات قريش :

ـ لا نريد أن تقطع غفار علينا تجارتنا إلى الشام ولا نود أن يكون لأحد من غفار عندنا ثأر .

وراح العباس يواسى أبا ذر بعد أن أنقذه منهم ولكن أبا ذر عاد من الغد إلى زمزم فاغتسل وانطلق إلى الحرم ونادى بأعلى صوته : يا معشر قريش . . يا معشر قريش إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

فقام إليه رجال من قريش وأشبعوه ضربا فخر مغشيا عليه وأكب عليه العباس بن المطلب . . ولما أفاق تبسم وعاد إلى حيث النبى عليه الصلاة والسلام فجلس راضى النفس ثم استأذن فى العودة إلى غفار فقال له رسول الله ﷺ :

« **إنى وجهت إلى أرض ذات نخل فلا أحسبها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عنى قومك لعل الله عز وجل ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟** » .

فقال جندب بن جنادة : نعم أفعل .

وخرج أبو ذر الغفارى من مكة وأتى أخاه أنيسا فسأله : ما صنعت ؟.

قال أبو ذر الغفارى : قد أسلمت وصدقت .

قال أنيس : مالى رغبة عن دينك فإنى أقد أسلمت وصدقت .

فأتيا أمهما فقالت لأبى ذر : ما رأيت ؟

قال جندب بن جنادة : رأيت رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأمانة وأصدقهم حديثا وأبعدهم عن الفحش والأذى وما رئى ملاحيا أبدا ولا مماريا أحدا حتى سماه قومه بالأمين يدعو إلى الله بالحسنى وينهى عن الفحشاء والمنكر فشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وأسلمت وأسلم أخى أنيس .

فقالت أمهما : مالى رغبة عن دينكما فإنى قد أسلمت وصدقت .

وروى أبو ذر لزوجته أم الخير ما حدث فى أم القرى فراحت تسب أشراف قريش ثم قالت : هنيئا لك يا أبا ذر لقد رأيته ﷺ وكلمته .. لن نراه حتى يبلغنا ظهوره فنقبل عليه . وشهدت أم الخير شهادة الحق .

وأتى أبو ذر الغفارى قومه فالقاهم جالسين عند خفاف بن رحضة سيد القوم فأخذ يتحدث عن الصادق المصدوق ﷺ وحبب أهله فى الإسلام حتى أسلم خفاف بن رحضة وتبع كثير من القوم سيدهم وأطمع أبو ذر فى إسلام غفار كلها ولكن بعض الناس قال :

ـ إذا قدم محمدا أسلمنا .

وراح أبو ذر يتحسس أخبار رسول الله ﷺ فيسأل الركبان القادمين من مكة .. وملأت الفرحة صدره وقلب امرأته أم الخير لما علما أن رسول الله ﷺ قد بايع الأنصار وأن أصحابه قد هاجروا إلى يثرب .

وخرجت غفار يتقدمها أبو ذر الغفارى لما علموا أن رسول الله ﷺ قد خرج مع

صاحبه الصديق من مكة وهما فى طريقهما إلى غفار . . فوقفوا على جانبى الطريق ينتظرون مقدمه ﷺ . . وسلم مسلمو غفار على أبى القاسم ﷺ وجلس أبو ذر وخفاف بن رحضة بجانب النبى عليه الصلاة والسلام فأخذ يقرأ القرآن ويدعو الناس إلى الإسلام فدخل بقية أهل غفار فى الإسلام .

وهاجر أبو ذر وامرأته أم الخير وكان أبو ذر يخدم رسول الله ﷺ . . وسمع أبو ذر النبى عليه الصلاة والسلام يقرأ قوله تعالى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة المائدة : الآية ١١٨] وهو يصلى فلما انتهى من صلاته اقترب منه وسأله : يا رسول الله مازلت تقرأ هذه الآية تركع وتسجد بها ؟

فقال رسول الله ﷺ : « فإنى سألت الله الشفاعة فأعطانيها وهى نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله عز وجل »

وسأل رسول الله ﷺ أصحابه ذات ليلة : « أيكم يلقانى على الحال الذى أفارقه عليها ؟ »

فسكت أصحاب رسول الله ﷺ . . وقال أبو ذر : أنا .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : « صدقت »

ثم قال رسول الله ﷺ : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر »

وذات صباح أتى أبو ذر رسول الله ﷺ فقال : ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة

فقال أبو ذر الغفارى : وإن زنا وسرق ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

« وإن زنا وإن سرق »

فعاد أبو ذر يتساءل : وإن زنى وإن سرق ؟.

فقال رسول الله ﷺ :

« **وإن زنا وإن سرق** »

فقال أبو ذر الغفارى فى عجب : وإن زنى وإن سرق ؟

فقال رسول الله ﷺ :

« **وإن زنى سرق رغم أنف أبى ذر** » (رواه ابن حبان ، وابن عساكر)

وسأل أبو ذر رسول الله ﷺ عن الصلاة فقال : خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر .

فقال أبو ذر الغفارى : يا رسول الله أيهما أفضل ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

« **جهد من مقل أو سر إلى فقير** »

فقال أبو ذر الغفارى : يا رسول الله أى الأنبياء كان أول ؟ .

قال رسول الله ﷺ : « **آدم** »

فتساءل أبو ذر الغفارى : يا رسول الله ونبى كان ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : « **نبى مكلم** »

فقال أبو ذر الغفارى : كم المرسلون ؟.

قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثمائة وبضعة عشر جمعًا غفيراً** »

فقال أبو ذر الغفارى : يا نبى الله آى ما أنزل عليك أعظم ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : « **آية الكرسى** »

وكان أبو ذر الغفارى لا يترك مجلسا يغترف العلم والحكمة من معين رسول الله ﷺ الذى لا ينضب . . وعندما يعود إلى داره يحدث امرأته بما سمع .

سأل أبو ذر رسول الله ﷺ يوما : يا نبى الله أى الأعمال أفضل؟؟.

قال رسول الله ﷺ **« إيمان بالله عز وجل وجهاد فى سبيله »** .

فقال أبو ذر الغفارى : **فأى المؤمنين أكملهم إيمانا ؟**

قال النبى عليه الصلاة والسلام : **« أحسنهم خلقا »**

فتساءل أبو ذر الغفارى : يا رسول الله : **فأى المؤمنين أسلم ؟**

قال أبو القاسم ﷺ : **« من سلم الناس من لسانه ويده »**

فقال أبو ذر الغفارى : **يا نبى الله فأى الهجرة أفضل ؟ .**

فقال الصادق الصدوق ﷺ : **« من هجر السيئات »**

فقال أبو ذر الغفارى : **يا رسول الله فأى الصلاة أفضل ؟ .**

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : **« طول القنوت »** .

قال أبو ذر الغفارى : **يا نبى الله فما الصيام ؟**

قال نبى الرحمة ﷺ **« فرض مجزى وعند الله أضعاف كثيرة »**

فقال أبو ذر الغفارى : **يا رسول الله فأى الجهاد أفضل ؟ .**

قال رسول الله ﷺ **« من عقر جواده وأهريق دمه »**

فتساءل أبو ذر الغفارى : **يا رسول الله فأى الرقاب أفضل ؟ .**

قال أبو القاسم ﷺ : **« أغلاها ثمنا وأنفسها عند ربها »**

فقال أبو ذر الغفارى : يا رسول الله أوصنى .

قال النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام : **« أوصيك بتقوى الله فهى رأس الأمر كله»** .

فقال أبو ذر الغفارى : يا نبى الله زدنى .

فقال رسول الله ﷺ : **« عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه نور لك فى الأرض وذكر لك فى السماء »**

فقال أبو ذر الغفارى : يا رسول الله زدنى .

قال النبى عليه الصلاة والسلام : « **إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه** » .

قال أبو ذر الغفارى : « يا رسول الله زدنى .

قال رسول الله ﷺ : « **عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشياطين عنك وعون لك على أمر دينك** » .

فقال أبو ذر الغفارى : يا رسول الله زدنى .

فقال الصادق الصدوق ﷺ : « **أحب المساكين وجالسهم** » (رواه ابن عساكر) .

فقال أبو ذر الغفارى : يا نبى الله زدنى .

قال رسول الله ﷺ :

« **انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر ألا تزدرى نعمة الله عنك**» .

قال أبو ذر الغفارى : يا نبى الله زدنى .

قال النبى عليه الصلاة والسلام : « **صل قرابتك وإن قطعوك** »

قال أبو ذر الغفارى : يا نبى الله زدنى .

قال النبى عليه الصلاة والسلام : « **قل الحق ولو كان مرا ، لا تخش فى الله لومة لائم** » (رواه ابن حبان) .

قال أبو ذر الغفارى : يا رسول الله زدنى .

قال رسول الله ﷺ : « **يردك عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتى وكفى به عيبا أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجد عليهم فيما تأتى**» .

ثم ضرب رسول الله ﷺ بيده على صدر أبى ذر وقال : « **يا أبا ذر لا عقل**

كالتدبير ولا ورع كالكف ـ الكف عن المحارم ـ ولا حسن كحسن الخلق »

حفظ أبو ذر وصية معلمه وعاد إلى بيته ليعلمها لامرأته .

وسأل رسول الله ﷺ أبا ذر يوما : « يا أبا ذر كيف أنت إذا أدركت أمراء يستأثرون بالفيء ؟ »

فقال أبو ذر الغفارى بلا تردد : إذا والذى بعثك بالحق لأضربن بسيفى.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : « أفلا أدلك على خير من ذلك ؟».

قال أبو ذر الغفارى : بلى يا رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ : « أصبر حتى تلقانى »

فقال أبو ذر الغفارى : يا رسول الله أوصنى .

فقال رسول الله ﷺ :

« أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وإذا أسأت فأحسن ولا تسألن أحدا شيئا وإن سقط سوطك ولا تقبض أمانة »

فقال أبو ذر الغفارى : زدنى يا رسول الله .

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

« اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » [رواه الترمذى والإمام أحمد] .

فقال أبو ذر الغفارى : يا نبى الله زدنى .

قال رسول الله ﷺ :

« زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزن فى ظل الله يتعرض كل خير» (رواه الحاكم فى المستدرك)

فقال أبو ذر الغفارى : يا رسول الله زدنى .

فقال رسول الله ﷺ : « **يا أبا ذر أحكم السفينة فإن البحر عميق واستكثر الزاد فإن السفر طويل وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود وأخلص العمل فإن الناقد بصير** »

فقال أبو ذر الغفارى : يا نبى الله أوصنى .

فتساءل رسول الله ﷺ : « **يا أبا ذر أترى كثرة المال هو الغنى ؟** »

فقال أبو ذر الغفارى : نعم يا رسول الله .

قال النبى عليه الصلاة والسلام : « **فترى المال هو الفقر ؟** »

قال أبو ذر الغفارى : نعم يا رسول الله .

قال رسول الله ﷺ : « **إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب** »

ثم قال رسول الله ﷺ

« **اسمع وأطع ولو لعبد مجدوع الأنف فإن صنعت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل جيرانك فأصبهم منها بمرقتك وصل الصلاة لوقتها** » (رواه مسلم والإمام أحمد)

وسأل أبو ذر رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

« **ادخالك السرور على مؤمن أشبعت جوعته أو سترت عورته أو قضيت له حاجته** »

فقال أبو ذر الغفارى : يا رسول الله ذهب بالأجور أصحاب الدثور ـ أصحاب الثياب يعنى الأغنياء ـ نصلى ويصلون ونصوم ويصومون ولهم فضول أموال يتصدقون بها وليس لنا ما نتصدق .

فقال نبى الرحمة ﷺ : « **يا أبا ذر ألا أعلمك كلمات تقولهن تلحق من سبقك ولا يدركك إلا من أخذ بعملك ؟** »

قال أبو ذر الغفارى : بلى يا رسول الله .

قال النبى ﷺ : « **تكبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتسبح ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتختم بلا إلـه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير** »

فأخبر الآخرون - الأغنياء - بذلك فأتوا النبي ﷺ فكبروا وسبحوا وحمدوا . .
فقال أبو ذر الغفارى : يا رسول الله إنهم قد قالوا مثل ما قلنا - يعنى الأغنياء -

فقال رسول الله ﷺ :

« **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وعلى كل نفس فى كل يوم صدقة فضل بصرك للمنقوص بصره صدقة وفضل سمعك للمنقوص سمعه صدقة وفضل شدة ذراعيك للضعيف لك صدقة وفضل شدة ساقيك الملهوف صدقة وإرشادك سائلا أين فلان فأرشدته صدقة ورفعك العظام والحجر عن طريق المسلمين لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر لك صدقة ومباضعتك أهلك لك صدقة** »

وتفاخرت اليهود والمسلمون فقالت اليهود : **بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة** لأنه مهاجر الأنبياء وفى الأرض المقدسة .

وقال المسلمون : **بل الكعبة أفضل** .

فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٩٦] . بكة : موضع البيت ومكة سائر البلد . فبكة المسجد ومكة الحرم كله .

وسأل أبو ذر رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض فقال: **الحرام** »

ثم تساءل أبو ذر : ثم أى ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : « **المسجد الأقصى** »

فقال أبو ذر الغفارى : كم بينهما ؟

قال رسول الله ﷺ : « **أربعون عاما ثم الأرض لك مسجدًا فحيثما أدركتك الصلاة فصل** ».

وجاء أبو ذر الغفارى رسول الله ﷺ يوما فقال له : يا رسول الله أريد أن أكون على اللقاح - الإبل ذات اللبن القريبة الولادة -

فقال رسول الله ﷺ : « **لا تأمن عيينة بن حصن وذويه يغيروا عليك** » فأخذ أبو ذر يلح على النبى عليه الصلاة والسلام فقال أبو القاسم ﷺ : « **لكأنى بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك** »

وأصر أبو ذر الغفارى على طلبه رغم تحذير رسول الله ﷺ . . فكان هو وابنه وأم الخير راعيها يثوب - يرجع بلبن اللقاح - كل ليلة عند المغرب إلى مدينة رسول الله ﷺ.

وذات ليلة أغار نفر من بنى فزارة على اللقاح وقتلوا ابن أبى ذر وأخذوا امرأته أم الخير . . فانطلق الصحابى الجليل سلمة بن الأكوع خلفهم ثم لحق به رسول الله ﷺ والمقداد بن عمرو وعباد بن بشر وسعيد بن زيد ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ فرجعوا اللقاح . . وأقبل أبو ذر الغفارى يتوكأ على عصا فقال :

- يا رسول الله : عجبا لى ونبى الله يقول : كأنى بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك . . وقد جئت تتوكأ على عصاك فكأن والله ما قال رسول الله ﷺ لقد أحدقوا بنا وهم قيام على رءوسنا . .

فتبسم نبى الرحمة ﷺ. . وقدم أبو قتادة الأنصارى أم الخير إلى أبى ذر الغفارى .

وشهد أبو ذر مع النبى الخاتم ﷺ المشاهد . . كلها ويوم تبوك خرج رسول الله ﷺ لمحاربة بنى الأصفر - الروم - فركب أبو ذر الغفارى بعيرا أعجف عجز عن السير فتخلف عن الركب فلما رأى بعيره لا يسعفه نزل عنه وحمل متاعه على ظهره وسار

فى أثر جيش رسول الله ﷺ . . فقال الناس : يا رسول الله تخلف أبو ذر .

فقال رسول الله ﷺ

« دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك فيه غير ذلك فقد أراحكم الله منه »

ونظر ناظر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله هذا الرجل يمشى على الطريق وحده

فقال رسول الله ﷺ : **« كن أباذر »**

فلما اقترب تأمله القوم وقالوا : يا رسول الله والله أبو ذر .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

« رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده »

وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يبتسم قال لأبى ذر :

« يا أبا ذر حدثنى ببدء إسلامك »

فيقول أبو ذر الغفارى : كان لنا صنم يقال له نهم فأتيته فصببت له لبنا ووليت فحانت منى التفاتة فإذا كلب يشرب ذلك اللبن فلما فرغ رفع رجله فبال على الصنم فانشأت أقول :

أرب يبــول الثعـلبان بـرأســه ... لقد ذلت من بالت عليه الثعالب

فلـو كـان ربا كان يمنــع نفســه ... فلا خـير فى رب تأتـه المطـالـب

برئت من الأصنام يا رب كلها ... وآمنـت باللـه الـذى هـو غالب

فسمعتنى أم ذر فقالت :

لقد أتيت جرما وأصبت ... عظما حين هجوت نهما

فخبرتهما الخبر فقالت :

ألا فابغينا ربا كريما جوادا ... فى الفضائل يا ابن وهب

فما من سامه كلب حقير فلم يمنع يداه لنا بـــــرب

فما عبد الحجارة غير غاو ركيك العقل ليس بذى لب

فقال رسول الله ﷺ : « **صدقت أم ذر فما عبد الحجارة غير غاو** »

ومضى عهد رسول الله ﷺ ومن بعده الخليفة الأول وعصر أمير المؤمنين عمر فى تفوق كامل على مغريات الحياة ودواعى الفتنة فيها .. حتى اتسعت الفتوحات الإسلامية فى عهد عثمان بن عفان فخرج أبو ذر . الغفارى بصدقه . وشجاعته فى وجوه الأمراء والأغنياء الذين استأثروا بالفىء .. لم تأخذه فى الله لومة لائم فأعلن على الملأ : ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** (٣٤) **يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ** ﴾ [سورة التوبة : الآية ٣٤ ـ ٣٥]

وغضب معاوية بن أبى سفيان وأخبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان فنفى أبا ذر إلى الربذة ..

نظرت أم الخير يوما إلى الشمس وهى تغرب فسألت أبا ذر الغفارى . يا أبا ذر أين تذهب الشمس ؟

فقال جندب بن جنادة : يا أم الخير قال رسول الله ﷺ لى يوما : « أتدرى أين تذهب الشمس ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم قال : « **فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها ارجعى من حيث جئت** » .

واشتد الألم بأبى ذر الغفارى فراحت أم الخير تسهر عليه وتمرضه .. فلما حلت الساعة الأليمة وأخذ أبو ذر يعانى سكرات الموت وتطلع إلى امرأته فوجدها تبكى فسألها : ما يبكيك ؟

قالت أم الخير : ألا أبكى وأنت تموت بفلا ـ صحراء ـ من الأرض ولا يد لى للقيام بدفنك وليس عندى ثوب أكفنك فيه ؟ .

فقرأ أبو ذر الغفارى قوله تعالى : ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** ﴾ [سورة النساء : الآية ٧٨] ثم قال لامرأته : أبشرى فإن خليلى ﷺ وعدنى أن تشهد موتى عصابة من المؤمنين فأبصرى الطريق.

فقالت أم الخير : وقد ذخب الحجاج ـ كان الحجاج يمرون بالزبدة ؟

فقال أبو ذر الغفارى :

اذهبى وتبصرى فلن يخلف الله تعالى وعد نبيه عليه الصلاة والسلام فذهبت أم الخير إلى كثيب ـ مكان مرتفع من الرمال ـ وقامت عليه تنظر . . ثم رجعت تمرضه فقال أبو ذر الغفارى : اذهبى وتبصرى .

ثم ذهبت ونظرت ثم رجعت تقول : أنى وقد انقطع الحجاج ؟ فسكت أبو ذر ولكنه لم يقطع الأمل فقد كان على يقين أن عصابة من المؤمنين سيشهدون موته . . كما قال رسول الله ﷺ يوم تبوك :

« **تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك** » وطلب أبو ذر من أم الخير أن تذهب وتنظر إلى الطريق . . فذهبت ورجعت تقول فى فرح : لقد أبصرت أناسا قادمين .

فقال أبو ذر وقد امتلأت عيناه بالدمع : الحمد لله ألم أخبرك أن الله عز وجل لن يخلف وعد نبيه ؟

وذهبت أم الخير فأشارت إلى ركب قادم فلما رآها الناس تساءلوا : ما خطبك ؟ مالك يا أمة الله ؟ قالت أم الخير : امرؤ من المسلمين يموت تكفونه وتدفنونه ؟ قالوا: نعم . . من هو ؟ قالت أم الخير : أبو ذر الغفارى صاحب رسول الله ﷺ .

وكان بين الركب الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود فأقبل مسرعا . . فلما رآه أبو ذر تبسم وقال : أبشروا لقد وعدنى خليلى ﷺ أن أموت بفلاة من الأرض فتشهدنى عصابة من المؤمنين .

وصعدت روح أبى ذر الغفارى إلى بارئها .. وكانت على شفتيه بسمة من مات قرير العين بلقاء ربه وخروجه من دنيا لم تغيره بزخرفها وكان له الغلبة عليها .

ولما دفن .. بكى عبد الله بن مسعود وقال : صدق رسول الله ﷺ : « يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده »

* * * *

ضباع بنت الزبير بن عبد المطلب

بنت عم رسول الله ﷺ .

كان الزبير بن عبد المطلب بن هاشم شاعر بنى هاشم ولم يكن له عقب من زوجته عاتكة بنت أبى وهب المخزومية إلا ضباعة وأختها أم الحكم . ولما مات الزبير حمل لواء الشعر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .

ولما بعث الله محمداً ﷺ بشيرا ونذيرا أقبلت قريش إلى النبى ﷺ فقال لهم:

« **ما يمنعكم من الإسلام فتسودوا العرب ؟** »

فقالوا : يا محمد ما نفقه ما تقول ولا نسمعه وإن على قلوبنا لغلفا

وأخذ أبو جهل ثوبًا فمد فيما بينه وبين النبى ﷺ وقال : يا محمد : قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب .

فقال رسول الله ﷺ : « **أدعوكم إلى خصلتين : أن تشهدوا أم لا إله إلا الله** »

فولوا على أدبارهم نفورا وقالوا : ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾ [سورة ص : ٥] .

وقال أبو سفيان بن حرب لسادات قريش : ﴿ **امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ** ﴾ [سورة ص : الآية ٦ ، ٧] .

وهبط جبريل عليه السلام وقال : « **يا محمد : إن الله يقرئك السلام ويقول : أليس يزعم هؤلاء أن على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا فليس يسمعون قولك كيف وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا؟ لو كان كما زعموا لم ينفروا ولكنهم كاذبون يسمعون ولا ينتفعون بذلك كراهية له** » .

فلما كان من الغد أقبل منهم سبعون رجلاً إلى النبى ﷺ فقالوا : يا محمد أعرض

علينا الإسلام .

فلما عرض عليهم أبو القاسم ﷺ الإسلام فأسلموا عن آخرهم فتبسم خاتم الأنبياء ﷺ ثم قال :

« الحمد لله بالأمس تزعمون أن على قلوبكم غلفا وقلوبكم فى أكنه مما ندعوكم إليه وفى آذانكم وقر أصبحتم اليوم مسلمين ؟ »

فقالوا : يا رسول الله كذبنا بالأمس لو كان كذلك ما اهتدينا أبدا ولكن الله الصادق والعباد الكاذبون عليه وهو الغنى ونحن الفقراء .

وأسلمت ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب وشهدت شهادة الحق . . هى وزوجها المقداد بن عمرو . ولقى أبو جهل بن هشام النبى ﷺ فقال له : إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به .

فأنزل العليم الخبير : **﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾** [سورة الأنعام : الآية ٣٣] .

وقال رسول الله ﷺ : **« يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير»** .

فقالوا : يا محمد ألست تزعم أن عيسى عليه السلام كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا فقد كان يعبد من دون الله ؟

فأنزل الله عز وجل : **﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾** [سورة الزخرف : الآية ٥٧] .

تقول ضباعة بنت الزبير : أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار بن ياسر وأمه سمية وصهيب الرومى وبلال بن رباح والمقداد بن عمرو فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله تعالى بعمه أبى طالب وأما أبو بكر فمنعه الله تعالى بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد ثم صهروهم فى الشمس .

ونال المقداد بن عمرو نصيبه من العذاب ولكنه لم يرجع إلى الكفر بعد أن ذاق حلاوة الإيمان .

تقول ضباعة بن الزبير : قال رسول الله ﷺ : إنه لم يكن نبى إلا أعطى سبعة نجباء ووزراء ورفقاء وإنى أعطيت أربعة عشر : حمزة وجعفر وأبو بكر وعمر وعلى والحسن والحسين وعبد الله بن مسعود وسلمان وعمار وحذيفة وأبو ذر والمقداد وبلال .

ولم يقدر المقداد بن عمرو على الهجرة إلى المدينة ظاهرًا فأتى مع المشركين من قريش هو وعتبة بن غزوان فلقيهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وأصحابه ـ بعثه رسول الله ﷺ على رأس ثمانية أشهر من الهجرة ـ ببطن رابغ ـ يقال ودان ـ فلم يكن بين الفريقين إلا المناوشة برمى السهام ـ لم يسلوا السيوف ـ ولم يصطفوا للقتال وكان أول من رمى من المسلمين سعد بن أبى وقاص فكان سهمه أول من رمى به فى الإسلام . . ثم انصرف الفريقان فقد ظن المشركون أن للمسلمين مددا فخافوا وانهزموا ولم يتبعم المسلمون وانتهزها المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان نهزة وفرا إلى سرية عبيدة بن الحارث .

وكان المقداد بن عمرو فارسا شجاعا وكان أول من غدا به فرسه فى سبيل الله وكان موقفه يوم بدر لوحة رائعة . . فلما نزل المسلمون بواد ذفران أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فقال ﷺ لأصحابه : إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فما تقولون ؟ ألعير أحب إليكم من النفير ؟ كان رسول الله ﷺ يخير الذين خرجوا معه بين الغنيمة والحرب .

فقالت طائفة من أصحابه :

ـ بل العير أحب إلينا من لقاء العدو .

وارتفعت أصوات تقول : هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له ؟ إنا خرجنا للعير يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو .

فتغير وجه أبو القاسم ﷺ وأوحى الله إليه : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [سورة الأنفال :الآية ٥ ـ ٨].

وقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن . . ثم قام الفاروق فقال وأحسن . . ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله . . امض لما أراك الله فنحن معك . .

أبشريا رسول الله فو الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [سورة المائدة الآية : ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد ـ موضع بناحية اليمن ـ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . ولنقاتلن عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك حتى يفتح الله لك .

فتهلل وجه رسول الله ﷺ وأشرق فمه عن دعوة صالحة دعاها للمقداد لما رأى حماسة الكلمات التى أطلقها المقداد فى الحشد المؤمن .

يقول عبد الله بن مسعود :

ـ لقد شهدت من المقداد مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إلى مما فى الأرض جميعا .

وكان فرسان المسلمين يوم بدر ثلاثة : المقداد بن عمرو ومرثد بن أبى مرثد والزبير ابن العوام بينما كان بقية أصحاب رسول الله ﷺ مشاة أو راكبين إبلا . .

وصال المقداد وجال . . وهزم الله قريشا . . .

ووضعت الحرب أوزارها فإذا أصحاب رسول الله ﷺ ثلاث فرق : فرقة قامت عند خيمة رسول الله ﷺ وفرقة أغارت على النهب تنتهب وفرقة طلبت العدو فأسروا وغنموا وأسر المقداد عدو الله النضر بن الحارث . . .

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يضرب عنقه قال المقداد بن عمرو : أسيرى يا رسول الله .

كان المقداد يريد فداءه . . ولكن أبا القاسم ﷺ قال :

« **اللهم اغن المقداد من فضلك** »

دعوة أفضل من كنوز الأرض . . ثم أشار رسول الله ﷺ لربيبه على بن أبى طالب وقال :

« **قم يا على فاضرب عنقه** »

فقام على وضرب عنق النضر بن الحارث .

تقول ضباعة بنت الزبير :

قال رسول الله ﷺ : « **إن الله عز وجل أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم : على والمقداد وأبو ذر وسلمان** »

وكان المقداد بن عمرو طويلاً آدم كثير الشعر أعين ـ واسع العينين ـ مقرونا ـ مقرون الحاجبين ـ وهاجرت ضباعة بنت الزبير إلى المدينة . . .

وولى رسول الله ﷺ المقداد بن عمرو إحدى الإمارات يوما فلما رجع سأله نبى الرحمة ﷺ :

« **كيف وجدت الإمارة ؟** »

قال المقداد بن عمرو فى صدق عظيم :

ـ لقد جعلتنى أنظر إلى نفسى كما لو كنت فوق الناس وهم جميعا دونى . . . والذى بعثك بالحق لا أتأمرن على اثنين بعد اليوم أبدا .

وكان المقداد إذا سمع حديثا لرسول الله ﷺ أسرع إلى زوجه وقال لها :

حدثنا رسول الله ﷺ فقال : « **إن السعيد لمن جنب الفتن** »

ثم يحدث به كل أصحابه . .

وكان المقداد واعيا حكيما وكان حبه للإسلام عظيما وحبه لرسول الله ﷺ أعظم فلم تكن تسمع فى مدينة رسول الله ﷺ صرخة فزع إلا ويكون المقداد بن عمرو فى مثل لمح البصر واقفًا على باب أبى القاسم ﷺ ممتطيا صهوة فرسه ـ سبحة ـ ممتشقا مهدنه وحسامه . لقد ملأ حبه للإسلام قلبه فكان يحميه من أعدائه والمنافقين بل ومهنده خطأ أصدقائه .

وصحب المقداد زوجه ضباعة إلى بيت رسول الله ﷺ يوما فسمعته يقول : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [سورة النور : الآية ٦١].

فقالت ضباعة لزوجته :

ماذا أقول ؟

قال المقداد بن عمرو :

قال رسول الله ﷺ : « **إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أهلها واذكروا اسم الله فإن أحدكم إذا سلم حين يدخل بيته اسم الله تعالى على طعامه يقول الشيطان لأصحابه : لا مبيت لكم ها هنا ولا عشاء وإذا لم يسلم أحدكم إذا دخل ولم يذكر اسم الله على طعامه قال الشيطان لأصحابه : أدركتم المبيت والعشاء** » .

فقالت ضباعة بنت الزبير :

ـ هذا عام فى دخول كل بيت ؟ .

قال المقداد بن عمرو :

كل بيت فإن كان فيه ساكن مسلم يقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وإن لم يكن فيه ساكن يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وإن كان فى البيت من ليس بمسلم قال : السلام على من اتبع الهدى .

وولدت ضباعة بنت الزبير للمقداد عبد الله وكريمة .

ولما هم رسول الله ﷺ بالخروج لحجة الوداع أتت ضباعة بنت الزبير النبى ﷺ قالت :

ـ يا نبى الله إنى أريد الحج أفأشترط ؟

قال رسول الله ﷺ

« **نعم** » .

فتساءلت ضباعة بنت الزبير :

ـ كيف أقول ؟

قال رسول الله ﷺ

« **قولى : لبيك اللهم لبيك وتحللى من الأرض حيث حبست** » .

وخرجت ضباعة بنت الزبير وزوجها المقداد بن عمرو مع النبى ﷺ . .

سأل رسول الله ﷺ فى حجة الوداع :

« **أى شهر هذا ؟** »

تقول ضباعة بنت الزبير :

قلنا : الله ورسوله أعلم .

فسكت حتى ظن المسلمون أنه سيسميه بغير بغير اسمه ولكنه ﷺ تساءل :

« **أليس ذا الحجة ؟** »

قال المسلمون :

بلى .

فعاد أبو القاسم ﷺ يتساءل :

« **أى بلد هذا ؟** » .

تقول ضباعة بنت الزبير :

ـ قلنا الله ورسوله أعلم .

فسكت نبى الرحمة ﷺ حتى ظن الحجاج أنه سيسميه بغير اسمه ثم قال :

« أليس البلدة الحرام »

قالوا :

ـ بلى .

فقال خاتم الأنبياء ﷺ

ـ **« فأى يوم هذا ؟ »**

تقول ضباعة بنت الزبير :

فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه .

فقال إمام الخير ﷺ :

ـ **« أليس يوم النحر ؟ »**

قالوا :

ـ بلى .

وسأل رجل النبى ﷺ عند الجمرة الأولى :

ـ أى الجهاد أفضل ؟

فلم يجبه أبو القاسم ﷺ . . فعاد الرجل يتساءل عند الجمرة الثانية :

ـ يا نبى الله . . أى الجهاد أفضل ؟

فلم يجبه الصادق المصدوق ﷺ . . فسأل الرجل عند جمرة العقبة :

ـ يا رسول الله : أى الجهاد أفضل ؟

فقال رسول الله ﷺ :

ـ « **أين السائل ؟** »

فقال الرجل :

ـ أنا ذا .

فقال رسول الله ﷺ :

ـ « **كلمة عدل عند سلطان جائر** »

وخرج المقداد بن عمرو فى سرية فحصرهم العدو فأصدر أمير السرية أمره ألا يجشر أحد دابته ـ لا يخرجها إلى الرعى ـ ولكن أحد المسلمين لم يحط بالأمر خبرا فجشر دابته فبعث إليه أمير السرية فلما جاء ضربه وعاقبه أكثر مما يستحق فرجع الرجل حزينا كئيبا فمر بالمقداد بن عمرو فسأله :

ـ ما بك يا فلان ؟ ما شأنك ؟

فقال الرجل :

ـ عزم الأمير أن لا يجشر أحد دابته فجشرت دابتى دون أن أحط خبرا فضربنى.

فتقلد المقداد بن عمرو سيفه وانطلق مع الرجل إلى أمير السرية فقال له :

ـ والآن أقده من نفسك .

فلما مكن أمير السرية نفسه من القصاص عفا عنه الرجل . . ولكن المقداد بن عمرو انتشى من عظمة الموقف وقال فى إعزاز :

ـ لأموتن والإسلام عزيز .

وبينما بعض أصحاب المقداد بن عمرو جلوس حوله مر به رجل فقال :

ـ طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت .

فأقبل عليه المقداد بن عمرو وقال :

ـ ما يحمل أحدكم على أن يتمنى مشهدا غيبه الله عنه لا يدرى لو شهده كيف كان يصير فيه ؟ والله لقد عاصر رسول الله ﷺ أقوام كبهم الله عز وجل على مناخرهم فى جهنم . . أولا تحمدون الله الذى جنبكم مثل بلائهم وأخرجكم مؤمنين بربكم وبنبيكم ؟؟ .

من ذا الذى لا يحب أن يرى رسول الله ﷺ ويروى ظمأه من ينابيع الحكمة التى كانت تتدفق من بين شفتيه الشريفتين ؟ ولكن بصيرة المقداد بن عمرو الحكيم الحاذق تكشف عن أمنية فربما أن هذا الذى يتمنى لو أنه عاش أيام رسول الله ﷺ . . أن يكون من أصحاب النار .

وتحققت أمنية المقداد فارس رسول الله ﷺ فمات والإسلام عزيز . . مات بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر . . ونقل جثمانه إلى المدينة .

* * * *

أم حصين بنت عبيد بن خلف

هى عمة الصحابى الجليل عمران بن حصين وأخت حصين بن عبيد بن خلف بن جهمة الخزاعى . . أسلم عمران بن حصين قديمًا . . جاءت قريش إلى الحصين وكانت تعظمه فقالوا له : كلم لنا هذا الرجل - يعنون رسول الله - ﷺ - فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم .

فجاءوا معه حتى جلسوا قريبًا من باب محمد بن عبد الله - ﷺ - فقال : أوسعوا للشيخ .

وعمران بن حصين وأصحابه متوافرون . . فقال الحصين بن عبيد : ما هذا الذى بلغنا عنك ؟ إنك تشتم آلهتنا وتذكرهم وقد كان أبوك - يعنى عبد المطلب - حصينة وخيرًا .

فقال محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - : يا حصين إن أبى وأباك فى النار يا حصين كم تعبد من إلـه ؟

قال حصين بن عبيد : سبعًا فى الأرض وواحدا فى السماء .

فتساءل أبو القاسم - ﷺ - : فإذا أصابك الضر من تدعو ؟

قال حصين بن عبيد : الذى فى السماء .

قال أبو القاسم - ﷺ - : فيستجيب لك وحده وتشركهم معه ؟ أرضيته فى الشكر أم تخاف أن يغلب عليك ؟

قال الحصين : ولا واحدة من هاتين .

قال محمد بن عبد الله - ﷺ - : يا حصين أسلم تسلم .

قال حصين بن عبيد : إن لى قومًا وعشيرة فماذا أقول ؟

قال أبو القاسم ـ ﷺ ـ : **قل : اللهم إنى أستهديك لأرشد أمرى وزدنى علمًا ينفعنى .**

فقال حصين بن عبيد بن خلف: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

فقام إليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فلما رأى ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ بكى فقيل له : لم تبكى يا نبى الله ؟

قال نبى الرحمة ـ ﷺ ـ : **بكيت من صنيع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما أسلم قضى ـ وفى ـ حقه فدخلنى من ذلك الرقة..**

ولما أراد حصين بن عبيد الخروج قال النبى ـ ﷺ ـ لأصحابه : **قوموا فشيعوه إلى**

فلما خرج من سدة الباب ـ عتبته ـ رأته قريش فقال ساداتها : قد صبأ ـ ترك دين آبائه ـ وتفرقت عنه .

وأسلمت أم حصين بنت عبيد .

ودخل عمران بن حصين يومًا بيت أم الحصين فسألته عن أنباء رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها** (رواه البيهقى فى شعب الإيمان)

فقالت أم حصين : زدنى يا ابن أخى زادك الله علمًا .

فقال عمران بن حصين : قال أبو القاسم ـ ﷺ ـ : « **ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ـ ﷺ ـ** » .

فقالت أم حصين بنت عبيد : زدنى يا ابن أخى فقال عمران : إن الصادق الصدوق ـ ﷺ ـ أبصر على عضد رجل حلقه أراه قال : من صفر فقال : **ويحك ما**

هذه ؟ قال : من الواهنة قال : **أما إنها لا تزيد لك إلا وهنًا انبذها عنك فإنك لو مت وهى عليك ما أفلحت أبدًا ـ وكلت إليها ـ »** .

وأتت أم حصين بنت عبيد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال لها : **ذات زوج** ، قالت أم حصين : نعم ، فتساءل رسول الله ـ ﷺ ـ : **أين أنت منه ؟** قالت أم حصين: ما آلوه إلا عجزت عنه . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : **كيف أنت له فإنه جنتك ونارك**

وأتى حصين بن عبيد النبى عليه الصلاة والسلام فقال له :

يا محمد أرأيت رجلا كان يصل الرحم ويقرى الضيف ويصنع كذا وكذا لم يدرك ـ لم يدرك الإسلام ـ هل ينفعه ذلك ؟

قال ـ ﷺ ـ : لا .

وأقام عمران بن حصين بن عبيد وأخته أم حصين مع قومهما .

وأتى عمران عمته أم حصين فقال لها : قال أبو القاسم ـ ﷺ ـ : « **قال عز وجل : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمى فمن وصلها وصلته ومن يقطعها أقطعه فأبته** »

ثم قال : جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : يا رسول الله إن لى ذوى أرحام أصل ويقطعون وأعفو ويظلمون وأحسن ويسيئون أفأكافئهم ؟ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **لا إذًا تتركون جميعًا ولكن جد بالفضل وصلهم فإنه لا يزال معك ظهير من الله عز وجل ما كنت على ذلك** »

قالت أم حصين : قال أبو القسم ـ ﷺ ـ : « **إذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسنة وتباغضت القلوب وقطع كل ذى رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم** »

ورأى عمران بن حصين عمته أم حصين تتوضأ وقد تركت موضع درهم على

قدميها

فقال لها : رأى رسول الله ـ ﷺ ـ رجلاً يتوضأ وترك موضع درهم فقال له : **«ارجع فأحسن وضوءك »**

وخرجت أم حصين بنت عبيد مع رسول الله ـ ﷺ ـ يوم حجة الشرائع ـ حجة الوداع ـ ورأت أم حصين رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يخطب الناس بمنى عليه برد قد التفع به من تحت إبطه .

تقول أم حصين : فأنا أنظر إلى عضلة عضده ترتج وهو يقول : **« يأيها الناس اتقوا الله واسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشى فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام كتاب الله »**

وقد كان هناك من أصحابه نحو أربعين ألفًا . فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **«أيها الناس إنكم مسئولون عنى فما أنتم قائلون ؟ »**

قالوا : **نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت**

فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول : **اللهم هل بلغت ؟**

وسألت أم حصين ابن أخيها عمران بن حصين عن الشفع والوتر فقال : سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن الشفع والوتر فقال : **« هى الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر »**

* * * *

أم عبد الله

زوج الصحابى الجليل عبد الله بن قيس بن سليم ـ أبو موسى الأشعرى ـ سمع أهل اليمن أن نبيا ظهر فى مكة يهتف بالتوحيد ويدعو إلى الله على بصيرة ويأمر بمكارم الأخلاق فغادر عبد الله بن قيس ـ من ولد الأشعر بن سبأ أخى حمير بن سبأ ـ وأخواه أبو رهم وأبو بردة فى جماعة من الأشعريين ـ اليمن بلده ووطنه إلى أم القرى فحالف سعيد بن العاص بن أمية بن أحيحة ولقى أبو موسى الأشعرى محمد بن عبد الله ـ ﷺ ـ فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه آيات من الذكر الحكيم . . فوقف عبد الله بن قيس يرقب ما خلق الله فى السموات والأرض ويستعرض هذا الحشد الذى لا يحصى من الأجناس والأنواع والهيئات والأحوال والأوضاع والأشكال ثم عاد وقال :

ـ يا نبى الله زدنى من هذا الكلام الطيب ـ القرآن ـ

ومست آيات القرآن قلب أبى موسى الأشعرى ومن معه . . فنطقوا بشهادة الحق وجلسوا بين يدى النبى عليه الصلاة والسلام وتلقوا عنه الهدى واليقين .

ولما هم أبو موسى الأشعرى وأصحابه بالعودة قال لهم سعيد بن العاص : بلغنى أنكم اتبعتم محمدًا وأنكم سمعتموه يعيب آلهتكم .

فقالوا :

ـ إنه والله لصادق ولقد آمنا به واتبعناه .

وانطلق أبو موسى إلى اليمن يحمل كلمة الله فأسلمت أمه طبية بنت وهب وزوجته أم عبد الله وراح عبد الله بن قيس يفقه الناس فأسلم كثير منهم وعزم أبو موسى الأشعرى وخمسون من الأشعريين الهجرة إلى مدينة رسول الله ﷺ فركبوا سفينة فألقتهم الريح إلى النجاشى بأرض الحبشة فوافقوا خروج جعفر بن أبى طالب ومهاجرى الحبشة منها فأتوا معهم وقدمت السفينتان معا سفينة الأشعريين وسفينة

مهاجرى الحبشة على النبى ﷺ إثر فراغه من فتح خيبر فأسهم أبو القاسم لهم جميعًا.

وسمى رسول الله ﷺ وفد أبى موسى بالأشعريين ونعتهم خاتم الأنبياء ﷺ بأنهم أرق الناس أفئدة وكثيرا ما كان يضرب بهم المثل الأعلى لأصحابه فيقول عنهم .

« إن الأشعريين إذا أرملوا فى غزو أو قل فى أيديهم الطعم جمعوا ما عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بالسوية فهم منى . . وأنا منهم » .

وكانت أم عبد الله تسأل زوجها أبا موسى :

ـ ماذا أنزل العلى القدير اليوم ؟ هل حدثكم النبى ﷺ حديثًا ؟

وكان أبو موسى حصيفا ذكيا فقيها يجيد تصويب فقهه إلى مغاليق الأمور وكان حسن الصوت بالقرآن أوتى مزمارا من مزامير آل داود . قال رسول الله ﷺ يوما لأبى موسى :

« لو رأيتنى وأنا أستمع إلى قراءتك البارحة لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود» .

فقال عبد الله بن قيس فى فرح :

يا رسول الله لو علمت أنك تسمع قراءتى لحبرته لك تحبيرا .

قال رسول الله ﷺ : « من أوى إلى فراشه طاهرًا يذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس لم يتقلب ساعة من الليل يسأل الله شيئًا من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه » .

وقال عبد الله بن قيس :

قال أبو القاسم ﷺ : « من قال حين يأوى إلى فراشه : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات . غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإن كانت عدد ورق الشجر وإن كانت عدد رمل عالج ـ ما تراكم من الرمل

ودخل بعضه فى بعض ـ وإن كانت عدد أيام الدنيا » .

وقال أبو موسى الأشعرى :

قال لى خاتم الأنبياء ﷺ : « ألا أعلمك كلمات تقولها إذا أويت إلى فراشك ؟ فإذا مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت وقد أصبت خيرًا تقول : اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت » .

وسألت أم عبد الله أبا موسى عن الثلاثة الذين يؤتون أجرهم مرتين فقال :

قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبى ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » . [أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب العلم عن أبى موسى].

فقالت أم عبد الله :

حدثنى عن الثلاثة الدين يتحدثون فى ظل العرش آمنين والناس فى الحساب .

فقال عبد الله بن قيس :

قال الصادق المصدوق ﷺ : « ثلاثة يتحدثون فى ظل العرش آمنين والناس فى الحساب : رجل لم تأخذه فى الله لومة لائم ورجل لم يمد يده إلى ما لا يحل له ورجل لم ينظر إلى ما حرم الله » [رواه الأصبهانى فى ترغيبه عن ابن عمر]

يقول أبو موسى الأشعرى:

سمعت حبيبى ﷺ يقول : « إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه وإكرام ذى السلطان المقسط » .

وذات ضحى كان أبو موسى الأشعرى جالسا مع أصحابه فى المسجد فخرج عليهم

رسول الله ﷺ فقال :

« من أقام الصلاة وآتى الزكاة ومات لا يشرك بالله شيئا كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر أو مات فى مولده » [رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى مالك الأشعرى]

فقالوا :

- يا رسول الله ألا نبشر به أصحابك ؟.

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

« دعوا الناس فليعملوا فإن فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ولولا أن أشق على الناس بعدى ما تخلفت عن سرية أبعثها ولكن لا يجدون سعة فيتبعونى ولا يطيب أنفسهم أن يتخلفوا بعدى ولا أجد ما أفضل به عليهم ولوددت أن أغزو فأقتل ثم أحيى ثم أقتل » .

وذات يوم حدث رسول الله ﷺ **أصحابه عن الساعة فقال :**

« لا تقوم الساعة حتى يجعل كتاب الله عارا ويكون الإسلام غريبا حتى تبدو الشحناء بين الناس وحتى يقبض العلم ويهرم الزمان وينقص عمر البشر وتنقص السنون والثمرات ويؤتمن النهماء ويتهم الأمناء ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ويكثر الهرج وهو القتل وحتى تبنى الغرف فتطاول وحتى تحزن ذوات الأولاد وتفرح العواقر ويظهر البغى والحسد والشح ويهلك الناس ويتبع الهوى ويقضى بالظن ويكثر المطر ويقل الثمر ويغيض العلم غيضا ويفيض الجهل فيضا ويكون الولد غيظا والشتاء قيظا وحتى يجهر بالفحشاء وتزوى الأرض زيا ويقوم الخطباء بالكذب فيجعلون حقى لشرار أمتى فمن صدقهم بذلك ورضى به لم يرح رائحة الجنة » .

ثم ذكر رسول الله ﷺ **أهل النار وصفتهم فقال**

« يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يحيزون الغصص فى الدنيا بالشراب

فيستغيثون بالشراب فيدفع إليهم بكلاليب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم فيقولون : ادعوا خزنة جهنم فيقولون : ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا : بلى قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال فيقولون : ادعوا مالكًا فيقولون : يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم : إنكم ماكثون فيقولون : أدعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيجيبهم : اخسئوا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل» .

وذات ضحى كان رسول الله ﷺ جالسا فى ظل مسجده فسأله عبد الله بن قيس عن فضائل يوم الجمعة فقال ﷺ :

« الجمعة كفارة لما بينهما وبين الجمعة التى قبلها وزيادة ثلاثة أيام وذلك أن الله قال: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٦٠] والصلوات كفارات لما بينهن لأن الله تعالى قال: ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ . [رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى مالك الأشعرى].

فقال :

قال رسول الله ﷺ : « التمسوا الساعة التى ترجى فى يوم الجمعة بعد العصر إلى غيبوبة الشمس »

وقال عبد الله بن قيس :

قال الشافع المشفع ﷺ : « يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله شيئا إلا أتاه الله إياه فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر » .

ثم قال أبو موسى الأشعرى :

قال خليلى ﷺ : « هى ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة يعنى ساعة الإجابة » .

وكان أبو موسى جالسا فى مسجد النبى ﷺ عندما حدث أبو القاسم ﷺ أصحابه عن صلاة الضحى فقال :

« إن الله تعالى يقول : يا ابن آدم أكفنى أول النهار أربع ركعات أكفك بهم آخر يومك ».

وقال الصادق المصدوق ﷺ :

« صلاة الضحى صلاة الأوابين »

وقال نبى الرحمة ﷺ :

« إن فى الجنة بابا يقال له الضحى فإذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله » [رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة] .

وقال ﷺ :

« من صلى الضحى أربعا وقبل الأولى أربعا بنى له بيتا فى الجنة » .

واشتكت أم عبد الله فقال لها عبد الله بن قيس :

قال رسول الله ﷺ : « يكتب أنين المريض فإن كان صابرا كان أنينه حسنات وإن كان أنينه جزعا كان هلوعًا لا أجر له » [رواه أبو نعيم عن على] .

فقالت أم عبد الله :

ولكنى لا أستطيع أن أذهب إلى المسجد أو أقف لأصلى .

فقال أبو موسى الأشعرى :

إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين فقال : « انظروا ماذا يقول لعوادة ؟ فإن هو إذا دخلوا عليه حمد الله تعالى رفعوا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى: إن أنا توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن

أكفر عن سيئاته » .

ثم قال عبد الله بن قيس :

قال رسول الله ﷺ : « **ما من مسلم يصاب فى جسده إلا أمر الله تعالى الحفظة : اكتبوا لعبدى فى كل يوم وليلة من الخير ما كان يعمل ما دام محبوسا فى وثاقى**» [رواه الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عمرو] .

وسألت أم عبد الله زوجها أبا موسى عن فضل تلاوة القرآن فقال :

قال رسول الله ﷺ : « **من تلا آية من كتاب الله كانت له نورا يوما القيامة ومن استمع لآية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة** »

ثم قال عبد الله بن قيس :

قال الصادق المصدوق ﷺ : « **من قرأ حرفا من القرآن كتب الله تعالى له به حسنة لا أقول بسم الله ولكن باء وسين وميم ولا أقول ألم ولكن الألف واللام والميم**» . [رواه الترمذى والنسائى والبيهقى فى شعب الإيمان عن عوف بن مالك].

وقال أبو موسى الأشعرى :

قال خليلى ﷺ : « **مثل من أعطى القرآن والإيمان كمثل أترجة طيب الطعم طيب الريح ومثل من لم يعط القرآن ولم يعط الإيمان كمثل الحنظلة مرة الطعم لا ريح لها ومثل من أعطى الإيمان ولم يعط القرآن كمثل التمرة طيبة الطعم ولا ريح لها ومثل من أعطى القرآن ولم يعط الإيمان كمثل الريحانة مرة الطعم طيبة الريح** » [رواه ابن حبان عن أبى موسى] .

وحدث النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه يوما عن طاعة الأمير والترهيب عن البغى ومخالفته فقال :

« **من ولى من أمر المسلمين شيئا فاحتجب عن ضعفة المسلمين وأولى الحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة** » . [رواه أبو داود وابن ماجه عن أبى مريم الأزدى] .

ثم قال أبو القاسم ﷺ :

« **سيكون بعدى أمراء يؤخرون الصلاة لوقتها فإذا حضرتم معهم الصلاة فصلوا**»[رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمرو] .

وقال الهادى البشير ﷺ :

« **سيكون أمراء تشغلهم أشياء يؤخرون الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم تطوعا** » .

وكان رسول الله ﷺ **يرغب أصحابه ليكونوا حريصين على تعمير المساجد وأداء الصلوات الخمس فى جماعة** فقال عليه الصلاة والسلام :

« **إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فأشهدوا له بالإيمان** » .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ** ﴾ [سورة التوبة الآية : ١٨] .

كما رغب الهادى البشير ﷺ فى المشى إلى المساجد فقال :

« **من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نزلا كلما غدا أو راح**» .

وقال الصادق المصدوق ﷺ :

« **من تطهر فى بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة** » [أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة] .

وكان رجل من الأنصار يسكن بعيدا عن مسجد رسول الله ﷺ وكانت لا تخطئه صلاة فكان حريصا على الصلاة خلف رسول الله ﷺ فقال له أبو موسى الأشعرى :

ـ لو اشتريت حمارا لتركبه فى الظلماء والرمضاء ؟

فقال الأنصارى :

ـ ما يسرنى أن منزلى إلى جنب المسجد إنى أريد أن يكتب لى ممشاى إلى المسجد ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى .

وسمع رسول الله ﷺ حوارهما فقال للأنصارى :

« قد جمع الله لك ذلك كله »

يقول أبو موسى الأشعرى

سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« إن أعظم الناس أجرًا فى الصلاة أبعده إليها ممشى فأبعدهم والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرًا من الذى يصليها ثم ينام »**

وخرج أبو موسى الأشعرى مع النبى ﷺ فى غزاة فجعل أصحابه لا يصعدون شرفا ـ علوا ـ ولا يعلون شرفا ولا يهبطون فى واد إلا رفعوا أصواتهم بالتكبير فقال رسول الله ﷺ :

« أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا بصيرًا »

ثم قال ﷺ لعبد الله بن قيس :

« يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة ؟ : لا حول ولا قوة إلا بالله»

يقول أبو موسى الأشعرى :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« إن إبليس يبعث جنوده كل صباح ومساء فيقول: من أضل رجلا أكرمته ومن فعل كذا وكذا فيأتى أحدهم فيقول : لم أزل به حتى طلق امرأته قال : يتزوج أخرى فيقول : لم أزل به حتى زنى فيجيزه ويكرمه ويقول : لمثل هذا فاعملوا فيأتى آخر فيقول : لم أزل بفلان حتى قتل فيصبح صيحة يجتمع إليه الجن فيقولون : يا سيدنا ما الذى فرحك فيقول : حدثنى فلان أنه لم يزل برجل من بنى آدم**

يفتنه ويصده حتى قتل رجلا فدخل النار فيجيزه ويكرمه كرامة لم يكرم بها أحدا من جنوده ثم يدعو بالتاج فيضعه على رأسه ويستعمله عليهم » .

وذات يوم كان رسول الله ﷺ فى الطريق إلى مسجده ومعه أبو موسى الأشعرى وبعض الصحابة فمرت امرأة سوداء فقال لها رجل :

تنحى عن طريق النبى ﷺ

فقالت : الطريق واسعة .

فقال نبى الرحمة ﷺ :

« لا تكلمها فإنها جبارة إن لا يكون ذلك فى قدرتها فإنه فى قلبها ».

وسألت أم عبد الله أبا موسى الأشعرى عن معنى قوله تعالى : ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [سورة الفرقان : الآية ٢٨ ، ٢٩] . فقال :

قال رسول الله ﷺ : **« إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد ريحا طيبا ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة »** .

وقيل :

يا رسول الله أى جلسائنا خير ؟

قال ﷺ :

« من ذكركم الله رؤيته وزاد فى عملكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله » [رواه العسكرى فى الأمثال عن ابن عباس] وسألت أم عبد الله زوجها أبا موسى عن الثلاثة الذين يدعون الله فلا يستجاب لهم فقال :

قال رسول الله ﷺ : **« ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم : رجل أعطى ماله سفيها وقد قال تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [سورة النساء : الآية ٥] ورجل**

له امرأة سيئة الخلق فلا يطلقها ورجل بايع ولم يشهد »

وخرجت أم عبد مع زوجها أبى موسى الأشعرى ذات ليلة لتصلى العشاء الآخرة فتأخر النبى ﷺ حتى أبهار الليل ثم خرج فصلى بأصحابه فلما قضى صلاته قال لمن حضره :

« على رسلكم أعلمكم وأبشروا أن من نعمة الله عليكم أنه ليس من الناس أحد يصلى هذه الساعة غيركم - ما صلى أحد هذه الساعة غيركم - »

وخرج أبو موسى الأشعرى مع رسول الله ﷺ فى غزو فلما رجع سألته أم عبد الله عن تلك الغزوة فقال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ونحن ستة عشر على بعير نتعقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدمى وسقطت أظافرى فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزاة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق .

ثم كره أبو موسى الأشعرى ذلك وقال :

ما كنت أصنع بأن أذكره .

هل كره أن يكون شيئا من عمله أفشاه ؟

وحدث أبو موسى زوجه فى الزهد فى الدنيا فقال :

قال خاتم الأنبياء ﷺ : **« من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى »** [رواه الإمام أحمد عن أبى موسى].

وبعث رسول الله ﷺ أبا موسى عاملا على زبيد وعدن وغيرهما من اليمن وسواحلها فصحب أبو موسى زوجه أم عبد الله فكان عبد الله بن قيس يعلم أهل اليمن أمور دينهم ولما مات رسول الله ﷺ قدم المدينة وشهد فتوح الشام واستعمله أمير المؤمنين عمر على إمرة البصرة فكان أبو موسى هو الذى فقه أهل البصرة وأقرأهم وخطبهم يوما فقال :

إن الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من الجليس السوء ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب العطر يحذيك ـ حذاه يحذوه : أعطاه ـ يعبق بك من ريحه ألا وإن مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إلا يحرق ثيابك يعبق من ريحه ألا وإنما سمى القلب من تقلبه وإن مثل القلب كمثل ريشة بأرض فضاء تضربها ـ تصرفها ـ الريح ظهرا لبطن ألا وإن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح فيها الرجل مؤمنا ويمسى كافرا والقاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى خير من الراكب .

فقالوا : فما تأمرنا ؟

قال أبو موسى : كونوا أحلاس ـ أكسية توضع على ظهور الإبل وغيرها ـ البيوت ثم قال :

أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت .

ودخل أبو موسى الأشعرى يوما على أم عبد الله فوجدها تشتكى فقالت:

ـ يا أبا موسى عظنى .

فقال عبد الله بن قيس :

وعظنا أبو القاسم ﷺ يوما موعظة بليغة فقال : « إن الله تعالى عز وجل يقول : يا عباد كلكم ضال إلا من هديت وضعيف إلا من قويت وفقير إلا من أغنيت فاسألونى أعطكم فلو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على قلب أتقى عبد من عبادى ما زاد فى ملكى جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على قلب أفجر عبد هو لى ما نقص من ملكى جناح بعوضة ذلك أنى واحد عذابى كلام ورحمتى كلام فمن أيقن بقدرتى على المغفرة لم يتعاظم فى نفسى أن أغفر له ذنوبه وإن كبرت » .

وأصاب أم عبد يومًا هما فقال لها زوجها أبو موسى الأشعرى :

قال رسول الله ﷺ : « **من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات يقول : اللهم أنا عبدك ابن أمتك فى قبضتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نور صدرى ـ يشرق فى قلبى نوره فأميز الحق من غيره ـ وربيع قلبى ـ منتزهه ومكان رعيه وانتفاعه بأنواره وأزهاره وأشجاره وثماره ـ وجلاء حزنى ـ إزالته وكشفه ـ وذهاب همى** » فقال رجل من القوم : يا رسول الله إن المغبون الغافل عن هؤلاء الكلمات فقال : « **أجل فقولوهن وعلموهن فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله تعالى حزنه وأطال فرحه** »

تقول أم عبد الله :

تعلمت هؤلاء الكلمات وقلتهن فلم يصيبنى حزن بعد .

يقول أبو موسى الأشعرى :

إن النبى ﷺ كان إذا خاف يومًا قال : « **اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم** »

وسألت أم عبد الله زوجها أبا موسى عن قوله تعالى : ﴿**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ**﴾ [سورة النمل الآية : ٥٩] .

فقال عبد الله بن قيس :

قال رسول الله ﷺ : « **إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم فيقول : قبضتم ثمر فؤاده ؟ فيقولون : نعم فيقول : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد** » [رواه الترمذى كتاب الجنائز عن أبى موسى] .

وسألت أم عبد الله زوجها عن تطيب المرأة لغير زوجها فقال أبو موسى الأشعرى:

سمعت خليلى ﷺ يقول : «**إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهى زانية** » .

وكان الأئمة أربعة: عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وأبو موسى الأشعرى وزيد بن ثابت .

واستعمل عمر أبا موسى الأشعرى على إمرة البصرة فصحب امرأته أم عبد معه .

تقول أم عبد الله :

كتب أمير المؤمنين عمر إلى أبى موسى الأشعرى : أما بعد فإن القوة فى العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد فإنكم إن فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال فلا تدرون أيها تأخذون فأضعتم فإن خيرتم بين أمرين أحدهما للدنيا والآخرة فاختاروا أمر الآخرة على أمر الدنيا فإن الدنيا تفنى والآخرة تبقى كونوا من الله على وجل وتعلموا كتاب الله فإنه ينابيع العلم وربيع القلوب .

وخرج أبو موسى الأشعرى مع أصحابه فى غزو فغنموا مغنما فأعطى عبد الله بن قيس رجلا نصيبه ولم يوفه فأبى الرجل أن يأخذه إلا جميعه فضربه أبو موسى الأشعرى عشرين سوطا وحلق رأسه فجمع الرجل شعره وانطلق إلى مدينة رسول الله ﷺ وذهب إلى الفاروق وأخرج شعرا من جيبه وضرب به صدر أمير المؤمنين عمر فقال له :

ـ مالك ؟ .

قال الرجل :

ـ خرجت مع أبى موسى فى غزوة ولم يوف حقى فأبيت أن آخذه إلا جميعه فجلدنى وحلق شعر رأسى

فكتب الفاروق إلى أبى موسى الأشعرى :

سلام عليكم أما بعد فإن فلان ابن فلان أخبرنى بكذا وكذا وإنى أقسم عليك إن

كنت فعلت ما فعلت فى ملأ من الناس جلست له فى ملأ من الناس فاقتص منك وإن كنت فعلت ما فعلت فى خلاء فاقعد له فى خلاء فليقتص منك .

فلما دفع إلى أبى موسى كتاب أمير المؤمنين عمر . . قعد للقصاص وقال هآنذا .

فقال الرجل :

عفوت عنك .

وقدم أبو موسى الأشعرى وزياد على أبى حفص فرأى أمير المؤمنين عمر فى يد زياد خاتما من ذهب فقال :

ـ اتخذتم حلق الذهب ؟ .

فقال أبو موسى الأشعرى :

ـ أما أنا فخاتمى حديد .

فقال الفاروق :

ـ ذلك أنتن أو أخبث من كان منكم متختما فليتختم بخاتم من فضة .

وخطب أبو موسى الأشعرى الناس فقال :

يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل .

فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا :

والله لتخرجن مما قلت ـ تذكر لنا دليلا عليه تخرج به من تبعة ما قلت ـ أو لتأتين عمر مأذونًا لنا أو غير مأذون .

فقال أبو موسى الأشعرى :

بل اخرج مما قلت : خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « **يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل ـ كأن تقول : أنا فى حمى الله وحماك أو متوكل**

على الله وعليك ـ فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : « **قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه** » .

وقال الفاروق لعماله :

كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم وعدوا أنفسكم من الموتى وأسألوا الله رزق يوم بيوم ولا يضركم أن يكثر لكم .

وكتب عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن قيس : أما بعد فإن أسعد الرعاة من سعدت رعيته وإن أشقى الرعاة من شقيت رعيته وإياك أن ترتع فترتع عمالك فيكون مثلك عند ذلك مثل بهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغى بذلك السمن وإنما حتفها فى سمنها . . والسلام عليك .

وكانت أم عبد الله ممن روى عن زوجها أبى موسى الأشعرى :

وظل أبو موسى الأشعرى واليا على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان بن عفان فعزله عثمان عنها وولاها عبد الله بن عامر بن كريز فنزل أبو موسى وأم عبد حينئذ بالكوفة وسكنها فلما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى ذى النورين يسألونه أن يوليه فأقره عثمان على الكوفة إلى أن مات وعزله أمير المؤمنين على عنها فلم يزل واجدا منها على أبى الحسن . . ولما قامت الفتنة بين أبى الحسن ومعاوية ولجأ المسلمون إلى التحكيم فاختار معاوية عمرو بن العاص حكما وفرض الأشعريون أبا موسى لأمير المؤمنين على حكما .

ولما مات أبو موسى الأشعرى صاحت أم عبد الله فقال لها قرثع الضبى :

أما علمت ما قال رسول الله ﷺ ؟

قالت أم عبد الله :

ـ بلى .

ثم سكتت . . فقيل لها :

ـ أى شىء قال رسول الله ﷺ ؟

قالت أم عبد الله :

ـ إن رسول الله ﷺ : « **لعن من حلق ـ حلقت شعرها عن المصيبة ـ أو خرق أو سلق ـ رفع صوته عند المصيبة ـ** » .

* * * *

رقيه بنت سيد البشر ﷺ

ولدت رقية قبل مبعث أبى القاسم ﷺ بسبع سنين ، وقيل : عشر سنين ـ وثم شبت وترعرعت فكانت كالزهرة الندية المتفتحة .

وكانت رقية ذات جمال رائع ، فبعد زواج زينب بنت محمد ﷺ من ابن خالتها أبى العاص بن الربيع بوقت قصير استقبل بيت أبى القاسم ﷺ وفدًا من آل عبد المطلب يتقدمهم عمه أبو طالب جاءوا يتلمسون مصاهرة الأمين ، فقد خافوا أن يسبقهم إليه كفء كريم من شباب قريش .

قال أبو طالب لابن أخيه محمد ﷺ :

ـ إنك يا ابن أخى قد زوجت أبا العاص بن الربيع وإنه لنعم الصهر ، غير أن بنى عمك يرون لهم عليك مثل ما لابن أخت خديجة ، وليسوا دونه شرفًا ونسبًا .

فقال أبو القاسم ﷺ .

ـ صدقت يا عم .

فقال شيخ قريش :

ـ وقد جئناك نخطب ابنتينا رقية وأم كلثوم ، وما أراك تضن بهما على ابنى عمك .

قال محمد ﷺ :

ـ معاذ القرابة والرحمة ، ولكن هلا أمهلتنى يا عم حتى أتحدث فى هذا إلى ابنتى؟

وأخبر أبو القاسم ﷺ ابنتيه رقية وأم كلثوم ، فلما سمعت الجاريتان أن عتبة وعتيبة ابنى عبد العزى بن عبد المطلب انسحبا إلى مخدعهما فى سكون دون أن تقولا كلمة . .

ونظر محمد بن عبد الله إلى زوجته خديجة إنها لا تستريح إلى أم جميل بنت

حرب زوج عبد العزى ، ففيها شيء من قسوة القلب والحقد وشراسة الطباع وحدة اللسان ، ولكن عتبة وعتيبة من فتية آل هشام الأمجاد

وذاع فى مكة نبأ زواج رقية عتبة بن أبى لهب ، وزواج أم كلثوم عتيبة

وسمع عثمان بن عفان الخبر فاقتحمت قلبه حسرة وقال فى نفسه :

ـ ألا أكون سبقت إلى رقية ؟

وبعث الله محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا فراح يدعو الناس إلى الإسلام . . ولما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء :الآية ٢١٤] خرج رسول الله ﷺ من منزله فصعد جبل الصفا فهتف :

ـ يا صباحاه

فقالوا :

ـ من هذا الذى يهتف ؟

قالوا : محمد

فاجتمعوا إليه فقال ﷺ :

ـ يا بنى فلان : يا بنى فلان ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى عبد المطلب

ـ أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟

قالوا : ما جربنا عليك كذبًا

قال خاتم الأنبياء ﷺ :

ـ فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد

فقال عمه أبو لهب :

ـ تبًا لك أما جمعتنا إلا لهذا ؟

فأنزل السميع العليم ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [سورة المسد الآية : ١] .

فلما سمعت أم جميل بنت حرب سورة المسد ثار حقدها وهبت عواصف غيظها فحملت فى يدها فهرًا من حجارة وانطلقت إلى المسجد فرأت أبا بكر جالسًا فدنت منه تسأله عن أبى القاسم ﷺ الذى كان يجلس إلى جواره ولكن الله عز وجل أخذ بصرها عنه ﷺ فلم تر إلا أبا بكر فقالت :

ـ يا أبا بكر إن صاحبك قد أبلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاهه والله إنى لشاعرة

مذمما عصينا . . وأمره أبينا . . ودينه قلينا

ثم انصرفت أم جميل فقال أبو بكر :

ـ يا رسول الله أما تراها رأتك ؟

قال إمام الخير ﷺ :

ـ ما رأتنى لقد أخذ الله بصرها عنى .

وعادت أم جميل إلى بيتها تزفر لهبًا فلما رأت زوجها أبا لهب قالت :

ـ واللات والعزى لا يظلنى وبنتى مذمم ـ كانت قريش تسمى رسول الله ﷺ مذمما يسبونه وكان يقول : ألا تعجبون لما صرف عنى من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما وأنا محمد ؟ ـ سقف .

وراحت أم جميل تبث سمومها فى أذنى عبد العزى بن عبد المطلب وتسوقه أمامها مسلوب النخوة مضيع المروءة ، فاقد الإرادة حتى أثارت حفيظته على البنتين البريئتين فقال لولديه عتبة وعتيبة :

ـ رأسى من رأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتى محمد .

وكانت قريش قد ائتمرت بخاتم الأنبياء ﷺ فى بناته قائلة :

ـ إنكم قد فرغتم محمدًا من همه فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن.

ومشوا إلى أصهار أبى القاسم ـ ﷺ ـ الثلاثة أبى العاص بن الربيع فقالوا له :

ـ فارق صاحبتك ـ زينب ـ ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت ؟

فأبى أبو العاص بن الربيع وقال :

ـ لا والله إنى لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش.

فانطلقوا إلى بيت أبى لهب فقالوا لعتبة وعتيبة :

ـ فارقا ابنتى محمد ونحن نزوجكما أى امرأتين من قريش .

فاستجابا على الفور واختار عتبة بن أبى لهب من آل سعيد بن العاص بدلاً من رقية ، وقال عتيبة :

ـ سأفارق ابنة محمد ولآتين أباها فلأوذينه فى ربه .

وانطلق عتيبة بن عبد العزى إلى بيت رسول الله ﷺ فلم يجده ، ولما علم أنه فى بيت عمه أبى طالب ذهب إليه فسب إلـهه وبصق فى وجهه ، ولكن البزق لم يصب وجه الهادى البشير ﷺ وقال عتيبة :

ـ يا محمد أنا كافر بربك .

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ اللهم سلط ـ ابعث ـ عليه كلبًا من كلابك .

فوجم شيخ قريش لما سمع دعوة محمد ﷺ على عتيبة بن أبى لهب ثم قال أبو طالب :

ـ ما كان أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة .

ودخل عثمان بن عفان منزل خالته سعدى بنت كرز بن ربيعة بن عبد شمس ـ أمه أروى بنت كرز وأمها البيضاء بنت عبد المطلب ـ فوجدها قاعدة مع أهله وكانت سعدى بنت كرز قد طرقت وتكهنت لقومها ، فلما رأت عثمان بن عفان قالت :

أبشر وحييت ثلاثًا وتـرًا ... ثـم ثــلاثًا أخــــرى
ثم بأخرى كى تتم عشـرا ... لقيت خيرًا ووقيت خيرا
نكحت والله حصانا زهرا ... وأنت بكر ولقيت بكرا

قال عثمان :

ـ يا خالة ماذا تقولين ؟

قالت سعدى بنت كرز :

عثمان يا عثمان يا عثمان ... لك الجمال ولك الشان
هذا نبى ومعه البرهــــان ... أرسله بحقه الديــــــان
وجاءه التنزيل والقـــرآن ... فاتبعه لا تغيابك الأوثان

وربا عجب عثمان بن عفان فقالت سعدى بنت كرز :

ـ إن محمد بن عبد الله رسول الله جاءه جبريل يدعوه إلى الله مصباحه مصباح، وقوله صلاح ودينه فلاح ، وأمره نجاح لقرنه نطاح ذلت له البطاح ، ما ينفع الصياح لو وقع الرماح وسلت الصفاح ، ومدت الرماح .

ووقعت كلمات سعدى بنت كرز فى قلب عثمان وراح يفكر فى قولها ، لماذا لا يذهب إلى أبى بكر ؟ لماذا لا يسأله ويستشيره ؟

ولقى عثمان أبا بكر فرآه شاروا متفكر فسأله :

ـ ما بك ؟

فأخبره عثمان بقول خالته سعدى بنت كرز فى قلب عثمان وراح يفكر فى قولها ، لماذا لا يذهب إلى أبى بكر ؟ لماذا لا يسأله ويستشيده؟

ولقى عثمان أبا بكر فرآه شاروا متفكر فسأله :

ـ ما بك ؟

فأخبره عثمان بقول خالته سعدى بنت كرز فقال أبو بكر :

ـ والله صدقتك خالتك ، هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه فهل أن تأتيه وتسمع منه ؟

قال عثمان بن عفان : نعم .

ولقى عثمان بن عفان أبا القسم ﷺ فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه آيات من القرآن . . فشرح الله صدر عثمان فنطق بشهادة الحق .

وعلم عثمان بن عفان أن عتبة وعتيبة فارقا رقية وأم كلثوم ولم يكن عتبة قد دخل برقية ففرح وانطلق إلى رسول الله ﷺ فسأله شرف المصاهرة فزوجه نبى الرحمة ﷺ ابنته رقية ، فلم ير زوجان قط أجمل منهما ولا أبهى . . فكانت النساء تغنى فى عرسهما :

أحسن شخصين رأى إنسان رقية وبعلها عثمان

واشتد أذى قريش لأصحاب رسول الله ﷺ فجاءه عثمان بن عفان وابنته رقية ونفر من الصحابة ما بين مكروب ومشجوج ـ مجروح الرأس والوجه ـ فيقول لهم نبى الرحمة ﷺ .

ـ اصبروا .

يقول أسامة بن زيد بن حارثة :

بعثنى رسول الله ﷺ إلى منزل عثمان بصحفة فيها لحم فدخلت فإذا رقية جالسة فجعلت مرة أنظر إلى وجه رقية ، ومرة أخرى إلى وجه عثمان ، فلما رجعت سألنى رسول الله ﷺ : دخلت عليها ؟ قلت نعم . قال : فهل رأيت زوجين أحسن منهما .

قلت : لا يا رسول الله .

وأنزلت قريش بأصحاب رسول الله ﷺ أشد العذاب والاضطهاد فأذن النبى ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة .

وفى شهر رجب كان أول من خرج من المسلمين مهاجرًا إلى الحبشة عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ وأحد عشر رجلاً وأربع نساء .

وأبطأ على رسول الله ﷺ خبر عثمان ورقية فقدمت امرأة من قريش وقالت :

ـ يا محمد قد رأيت ختنك ـ صهرك ـ ومعه امرأته .

قال ﷺ :

ـ على أى حال رأيتهما ؟

قالت المرأة القرشية :

ـ رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة ـ الضعيفة التى تدب فى المشى ـ وهو يسوقها .

فقال رسول الله ﷺ :

ـ صحبها الله ، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام (رواه البيهقى عن قتادة) .

ورحبت الحبشة بالمهاجرين الأولين ، وأوسعت لهم فى أرضها مكانًا سهلاً ووجدوا الأمن والأمان ، فراحوا يعبدون الله مطمئنين .

وأسقطت رقية من عثمان بن عفان سقطا .

ولما علم المهاجرون أن عمر بن الخطاب قد أسلم وأن أصحاب رسول الله ﷺ أصبحوا يصلون فى المسجد الحرام ويقرؤون القرآن مطمئنين رجعوا إلى مكة .. ولكن قريشًا كانت لهم بالمرصاد .

فرجع عثمان بن عفان ورقية بنت رسول الله ﷺ إلى الحبشة ثانية ، ولكن فى هذه المرة كان معهما أكثر من ثمانين من أصحاب رسول الله ﷺ ..

وخرج أبو لهب وابنه عتيبة من قريش إلى الشام فنزلوا منزلاً بمكان من الشام يقال له الزرقاء ليلاً فأشرف عليهم راهب من ديره فقال لهم :

ـ إن هذه الأرض مسبعة تملأها السباع .

فقال أبو لهب لأصحابه :

ـ إنكم قد عرفتم نسبى وحقى .

قالوا :

ـ أجل يا أبا لهب

فقال أبو لهب :

ـ أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فإنى أخاف على ابنى عتيبة دعوة محمد فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة ، ثم افرشوا لابنى عليه ثم افرشوا حوله .

فجمعوا متاعهم إلى الصومعة ثم أفرشوا لعتيبة بن أبى لهب على متاعهم ثم صنعوا حوله حصارًا ، ثم جمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتيبة فأطاف بهمْ أسد فجعل عتيبة بن عبد العزى يقول :

ـ يا ويل أمى هو والله آكلى كما دعا محمد على ألا قاتلى ابن أبى كبشة وهو بمكة وأنا بالشام .

وأقبل الأسد على أصحاب أبى لهب ، فبلغت القلوب الحناجر عندما راح يتشمم وجوههم ، ثم تركهم ومشى إلى قلب الحلقة ، فلما اقترب من عتيبة بن أبى لهب وثب عليه ثم ضخمه ضخمة ـ أى عضه عضة فمزقه ـ فسقط من فوق المتاع وهو يلفظ أنفاسه ويقول :

ـ ألم أقل لكم إن محمدًا أصدق الناس لهجة ؟ [رواه ابن عساكر عن قتادة].

وولدت رقية بنت رسول الله ﷺ ولدًا ففرح عثمان بن عفان وقال :

ـ عبد الله .

وكان عثمان به يكنى . . ولما بلغ عبد الله بن عثمان سنتين نقره ديك فى وجهه فطمره فمات . ولم تلد رقية بنت رسول الله ﷺ بعد ذلك .

وبايع الأنصار خاتم الأنبياء ﷺ ، ولما علم عثمان بن عفان بذلك أسرع بالعودة إلى مكة . . ثم هاجر وامرأته إلى المدينة فنزل على أوس بن ثابت الأنصارى أخى حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ .

ولحق رسول الله ﷺ بأصحابه .

وكانت أم عياش خادم رسول الله ﷺ فبعثها إلى ابنته رقية لتخدمها .

وكانت أم عياش تغشى ـ تزور ـ أبا القاسم ﷺ مرتين كل يوم مرة فى الصباح وأخرى عند العشاء . . تقول أم عياش :

ـ كنت أوضئ رسول الله ﷺ وأنا قائمة وهو قاعد (رواه ابن ماجه) .

وذات يوم طرق باب النبى ﷺ طارق فخرجت إليه أم عياش فوجدت سائلاً . . فأمرت أم المؤمنين عائشة له بطعام فدخلت أم عياش وأحضرت تمرات فمرت بعائشة فقالت لها :

ـ ما معك ؟

فقال رسول الله ﷺ :

ـ يا عائشة لا تحصى فيحصى عليك .

فقالت أم المؤمنين عائشة :

ـ والله ما أردت ذلك يا رسول الله .

فقال نبى الرحمة ﷺ :

ـ إن أكثركن فى النار .

فتساءلت عائشة :

ـ ولم ذاك يا رسول الله ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ لأنكن إذا شبعتن حجلتن وإذا جعتن دقعتن ـ خضعتن فى طلب الحاجة ـ ولأنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير وتغلبن ذا الرأى والدين على رأيه ناقصات الرأى والدين (رواه العسكرى فى الأمثال عن عائشة) .

تقول أم عياش :

رأيت رسول الله ﷺ يحفى شاربه ـ أى يرقه ـ (رواه ابن المنذر) .

وكان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ليس له راحة ، طويل السكوت لا يتكلم فى غير حاجة يعظم النعم وإن دنت لا يذم منها شيئًا ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها وكان خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه .

ودخل رسول الله ﷺ على ابنته رقية وكان فى يدها مشط فرجلت رأسه فقالت:

ـ كيف تجدين أبا عبد الله ـ عثمان بن عفان ـ ؟

قالت رقية بنت رسول الله ﷺ :

ـ بخير يا أبى .

قال نبى الرحمة ﷺ :

ـ أكرميه فإنه من أشبه أصحابى خلقًا (رواه الطبرانى وأبو نعيم فى المعرفة والديلمى) .

واشتكت رقية بنت رسول الله ﷺ .. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر أذن أبو القاسم ﷺ لعثمان بن عفان فقعد بجانبها يمرضها ولكنها راحت تذوى وتذوب من الضعف .

وماتت رقية يوم جاء البشير بنصر الله وهتافات النصر يوم بدر فأقبل النبى ﷺ فرفع ابنته الزهراء من فوق أختها رقية وراح يمسح دموعها بطرف ثوبه

ولما دفن رسول الله ﷺ ابنته رقية قال لمن عزى بابنته :

ـ الحمد لله دفن البنات من المكرمات (رواه الطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن عمر) .

* * * *

أم كلثوم بنت عقبة

مال وجه الشمس نحو المغرب عندما اجتمع سادات قريش فى دار عقبة بن أبى معيط. . قال عكرمة بن أبى الحكم: ما زلت غير راض عما تم بين أبى يزيد ومحمد .

قال سهيل بن عمرو : لماذا ؟ لقد رفضت أن يكتب محمد فى صدر الصحيفة : بسم الله الرحمن الرحيم كما رفضت أن يكتب محمد رسول الله وكتبت بسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو .

قال حكيم بن حزام : معذرة يا سادة إذا قلت أن أمر محمد يعلو .

فقال حويطب بن عبد العزى : لقد انتصف محمد منا

قال الحارث بن هشام : ألا يكفى أن الحرب قد وضعت أوزارها عشر سنين ؟ يأمن فيهن الناس ونرى تجارتنا ومصالحنا ؟ ويكف الناس بعضهم عن بعض ؟ ورددنا محمدًا ومن معه فلم يدخل مكة هذا العام ؟

قال عكرمة بن أبى الحكم : إنه سيدخلها هو وأصحابه العام القادم وقد دخلت خذاعة فى حلف محمد .

قال سهيل بن عمرو : ودخلت بنو بكر فى حلفنا وأن من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده علينا ومن أتى قريشًا ممن مع محمد لم نرده عليه

واختلف سادات قريش فزعم بعضهم أنهم اشترطوا على محمد - ﷺ - شروطًا قاسية وزعم بعضهم أن محمدًا - ﷺ - قد علا أمره وأصبح على قدم المساواة مع قريش . . .

كانت أم كلثوم بنت عقب بن أبى معيط تسمع لحوار أشراف قريش وهى شاردة هل حقًا فرضت قريش شروطًا ظالمة ؟ هل غربت شمس قريش ؟

نظرت أم كلثوم نحو الشمس فوجدت قرصها الدامى يغوص خلف الجبل فتسللت

إلى بيت العباس بن عبد المطلب فلقيتها أم الفضل مرحبة فقالت أم كلثوم : يا أم الفضل ما تقولين فيما حدث بالحديبية ؟

قالت أم الفضل : لا أقول إلا ما قاله الله من فوق سبع سموات .

قالت أم كلثوم بنت عقبة : وما قال ربكم من فوق سبع سموات ؟

قالت أم الفضل : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الفتح : الآية ١].

فتساءلت أم كلثوم بنت عقبة : هل ظننتم أن صلح الحديبية فتحًا ؟

قالت أم الفضل : نعم . . إنه فتح مبين .

قالت أم كلثوم بنت عقبة : إن سادات قريش يقولون خلاف ذلك .

قالت أم الفضل : إن دين قريش ليس بدين .

فتساءلت أم كلثوم بنت عقبة : ليس بدين ؟ وما عساه أن يكون ؟ إذن ؟

قالت أم الفضل : هو باطل صنعه الشيطان وزينه لهم ليباعد بينهم وبين الله ليبعدهم عن رحمته وعدله .

فقالت أم كلثوم بنت عقبة : أترين ذلك أنت يا أم الفضل من دون آبائك وأجدادك؟ وقريش كلها ألم يكن لهم عقول ؟

قالت أم الفضل : كانوا يعيشون ويحيون فى ظلمات صنعها لهم الشيطان ليضل الإنسان عن ربه .

فتساءلت أم كلثوم بنت عقبة : ولماذا يفعل ذلك الشيطان للإنسان ؟

قالت أم الفضل : ليدخله جهنم ويثأر لنفسه بعد أن رأى أن الله عز وجل قد كرم الإنسان وفضله عليه وأمر الشيطان بالسجود له ولم يتخل الله عن الإنسان فأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ليعرفوا من خلقهم

ومن أنعم عليهم وليحمدوه ويطيعوه فيما يأمر به من العدل والخير .

فتساءل أم كلثوم بنت عقبة : كيف علمت ذلك يا أم الفضل ؟

قالت أم الفضل : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الأعراف : الآية ١٢ ـ ١٦] .

استشعرت أم كلثوم رجفة تهز كيانها فهبت واقفة .. فتبسمت أم الفضل ثم قالت: يا أم كلثوم هذا هو الشيطان عدو الإنسان فلا تجعليه لك وليًا هلم إلى الله يا أم كلثوم.

قالت أم كلثوم بنت عقبة : يا أم الفضل .. لقد قيل لأبى الحكم بن هشام وعتبة بن ربيعة وأمية بنت خلف والنضر بن الحارث وسادات قريش مثل ما قلت .. أين هم الآن؟

قالت أم الفضل : فى النار لقد أضلهم الشيطان .

ثم أردفت أم الفضل : لقد سمعت آيات من القرآن العظيم .

قالت أم كلثوم فى صوت خافت : والله ما سمعت منك الآن بكلام بشر أبدًا .. ليس بكلام بشر أبدًا .

وخرجت أم كلثوم وهى تعقد يديها على رأسها فتبسمت أم الفضل ..

ظلت أم كلثوم طوال ليلها ساهرة قلقة .. لقد رفع الإسلام رجالاً فصارت أسماؤهم ملء الأسماء كبلال وابن مسعود وصهيب وعمار بن ياسر .. وهلك سادات قريش ولم يعد أحد يذكر أحدًا منهم كأبى جهل والعاص بن وائل والنضر بن الحارث وعتبة بن ربيعة و . . .

ولما أسفر الصبح قامت أم كلثوم من فراشها .. ثم انطلقت إلى بيت العباس بن

عبد المطلب فلقيتها أم الفضل وفى عينيها تساؤل : ما وراءك ؟

قالت أم كلثوم بنت عقبة : سوف تسمعين أنباء تسعد قلبك .

فقالت أم الفضل فى فرح : على بها ؟

قالت أم كلثوم : ليس بعد فإن ما يقلق مضجعى أن أبى كان من المستهزئين بمحمد.

قالت أم الفضل : ما ذنب الأبناء فيما اقترف الآباء ؟

فتساءلت أم كلثوم : هل ترين ذلك ؟

قالت أم الفضل : نعم .. ثم إن الإسلام يَجُبُّ ما قبلهْ .. ألم تر .. ؟

قالت أم كلثوم بنت عقبة وهى تتنهد : أنار الله بصائرنا قبل أبصارنا ؟ وعادت أم كلثوم إلى بيت العباس .. فلمحت أم الفضل على وجهها إشراقة فسألتها :

ماذا وراءك .. ؟ هل سأسمع الكلمة التى تسعد قلبى ؟

فهزت أم كلثوم رأسها وقالت : نعم .. لقد من الله على بنعمة الإسلام .

فهتفت أم الفضل : أحقًا ما تقولين ؟

قالت أم كلثوم : نعم .. فإنى أشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ..

فاحتضنتها أم الفضل وقالت : الحمد لله الذى هداك لما يرضيه .

فقالت أم كلثوم بنت عقبة : لكن قد فاتنى الكثير وأريد أن أعوض ما فاتنى ؟

فقالت أم الفضل : تستطيعين أن تدركى ما فاتك .

فتساءلت أم كلثوم بنت عقبة : كيف ؟

قالت أم الفضل : هاجرى إلى مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ .

الهجرة ؟ كيف غاب عنها ذلك ؟ لكن كيف ؟ ماذا تفعل لو خرجت .. ثم علم أخوها فانطلق وراءها ؟ هل سيردها رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المشركين كما فعل مع أبى

جندل بن سهيل يوم صلح الحديبية ؟ هل تقنع بالإسلام وتخفى أمرها وتظل فى أم القرى ؟

وظلت أم كلثوم أيامًا تخفى إسلامها . لولا شروط صلح الحديبية التى تقف صخرة في سبيل هجرتها لله لقد عاشت في حيرة وقلق .. وها هى تعود إلى رياح القلق والحيرة من جديد ؟

وذهبت أم كلثوم إلى أم الفضل فقدمت إليها صحيفة فقرأت : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الشرح : الآية ٥] . هل هذا وعد من الله عز وجل ؟ إنه لا يخلف الميعاد .. لابد لها من مخرج . لقد استشعرت بطاقة جديدة تشعل نار العزم والإصرار فى صدرها .

وتذكرت أم كلثوم أباها عقبة بن أبى معيط يوم أن صنع وليمة فدعا إليها أشراف قريش ودعا رسول الله ـ ﷺ ـ فأبى أن يأتيه إلا أن يسلم وكره عقبة بن أبى معيط أن يتأخر عن طعامه من أشراف قريش أحد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ؛ فأتاه رسول الله ـ ﷺ ـ وأكل من طعامه .

وكان أمية بن خلف ـ وقيل أبى بن خلف ـ خليلاً وصديقًا لعقبة بن أبى معيط فلقيه وعاتبه وقال له : بلغنى يا أبا الوليد أنك صبأت وتبعت ابن عبد الله !

قال عقبة بن أبى معيط : رأيت عظيمًا ألا يحضر طعامى رجل من أشراف قريش.

فقال أمية بن خلف : لا أرضى حتى ترجع وتبصق فى وجهه وتطأ عنقه وتقول: كيت وكيت .

فقال عقبة بن أبى معيط بعد أن هم بالإسلام : أفعل يا أبا على .

ولقى عقبة بن أبى معيط أبا القاسم ـ ﷺ ـ فبصق فى وجهه فرجع بصاقه فى وجهه وشفتيه حتى أثر فى وجه عقبة بن أبى معيط وأحرق خديه ... ونزل قوله السميع البصير : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾

يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨)﴾ [سورة الفرقان : الآية ٢٧ ، ٢٨] . كان الظالم عقبة بن أبى معيط والخليل أمية بن خلف . .

وخبر رسول الله - ﷺ - عن مقتل عقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف - أبى بن خلف - فندم عقبة بن أبى معيط وركبه الخوف فهل كان يعلم أن أبا القاسم - ﷺ - رسولاً مبشراً ونذيراً ؟ كان يعلم أن محمداً - ﷺ - لا ينطق عن الهوى ؟ لماذا أصر على كفره وكبره وعتوه ؟ ونزل قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [سورة الفرقان : الآية ٢٩] .

لماذا لم يصرح القرآن بذكر عقبة بن أبى معيط وخليله أميه بن خلف .

- أبى - بن خلف ؟ لئلا يكون هذ الوعد مخصوصًا بهما ولا مقصوراً ؟ يتناول من فعل مثل فعلهما ؟ لقد أضل أمية - أبى - عقبة بن أبى معيط عن رسول الله - ﷺ- .

ولما أرسل أبو سفيان بن حرب ضمضم بن عمرو الغفارى إلى مكة ليحمى أهلها عيرهم أخذ عقبة بن أبى معيط يحرض الناس للخروج لاستئصال شأفة محمد - ﷺ - وأصحابه . . فوقع أسيراً وأمر النبى - ﷺ - بقتله فقال : أأقتل دونهم ؟

قال أبو القاسم - ﷺ - : نعم بكفرك وعتوك .

فتساءل عقبة بن أبى معيط : من للصبية ؟

فقالت رسول الله - ﷺ - : النار

وقام على بن أبى طالب فقتله . . فتحققت نبوءة رسول الله - ﷺ - وقتل كافراً . وأما أمية بن خلف فقد أسر وسيق كما يساق الجمل هو وابنه على وبينما هو كذلك وقعت عيناه على عبد الرحمن بن عوف فنادى صديقه فى الجاهلية : يا عبد الإله .

فأجابه عبد الرحمن بن عوف : امضيا .

ولمح بلال بن رباح عدو الله أمية بن خلف وابنه على أسيرين فانطلق كالسهم المارق وهو يصيح : يا معشر الأنصار أمية بن خلف رأس الكفر لا نجوت إن نجا .

فأقبل الأنصار وطرحوا أمية بن خلف على ظهره وذبحوه كما يذبح الكبش هو وابنه على . . وتحققت نبوءة رسول الله ـ ﷺ ـ .

أما أبى بن خلف فقد قال : واللات والعزى لأقتلن محمداً .

فلما بلغت رسول الله ـ ﷺ ـ حلفته قال : بل أنا أقتله إن شاء الله ، فلما كان يوم أحد أقبل أبى بن خلف مقنعًا بالحديد وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمد .

وأبصر أبو القاسم ـ ﷺ ـ ترقوة أبى بن خلف من فرجة بين سابغة درعه والبيضة فتناول الحربة من الحارث بن الصمة وقام ثم انتفض ـ ﷺ ـ انتفاضة تطاير عن أصحابه الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبل أبى بن خلف فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً ـ وقع إلى الأرض عن فرسه ـ ولم يخرج من طعنته دم فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له : ما أجزعك إنما هو خدش .

فذكر لهم قول النبى ـ ﷺ ـ : **أنا أقتل أبيًا**

ثم أردف : والذى نفسى بيده لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون، ومات أبى بن خلف ببطن رابغ .

وعادت أم كلثوم تفكر فى الهجرة . . كيف تهاجر وهى امرأة ؟ لو كانت المسافة بين مكة والمدينة قصيرة ؟ ولكن كل هذا لن يثنيها عن عزمها . . وظلت تنتظر الفرصة لتهاجر إلى مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ وتعد العدة لها .

وذات يوم رأت رجلاً من خزاعة قد ظفر به رجال من قريش فراحوا يصبون على جسده ألوان العذاب ويركلونه بأرجلهم ويكيلون له الشتائم والسباب فتساءل رجل :

ـ ماذا فعل هذا ؟

قالوا : صبأ واتبع محمد بن عبد الله .

واستشعرت أم كلثوم بنت عقبة الألم يعتصرها لو كانت رجلاً لحالت بينهم وبين

عذاب ذلك المسلم . ولكنها تعجبت من صموده أمام سياطهم وطوفان العذاب الذى كان يصب عليه صبًا . . .

وبعد أيام بينما كانت أم كلثوم فى السوق لقيت ذلك الخزاعى وحده فانتحت به جانبًا وقالت وهى تنظر حولها حتى لا يراها أحد : لماذا تقيم على هذا الضيم ؟ هل يأمر الإسلام بهذا ؟

فقال الخزاعى : لا ولكن لا أجد زادًا ولا راحلة فأنطلق بها إلى مدينة رسول الله - ﷺ - ثم تساءل الرجل : هل أنت مسلمة ؟

فهزت أم كلثوم رأسها وقالت : أجل . . ولسوف أعطيك ثمن راحلة تهاجر بها على أن تصحبنى إلى مدينة رسول الله - ﷺ - فما رأيك ؟

فاض وجه الخزاعى بشرًا وأعلن موافقته ثم تساءل : الموعد ؟

قالت أم كلثوم : غدًا . . عند التنعيم بعد الغروب .

ثم أسرعت أم كلثوم عندما لمحت جماعة من قريش قادمين نحوهما .

لم تنم أم كلثوم بنت عقبة طوال الليل راحت تتقلب على فراشها كالمحموسة الأشواق تملأ جوانحها فلسوف تترك أم القرى وتهاجر إلى رسول الله - ﷺ - وأصحابه فى المدينة .

ونهضت مع خيوط الفجر وأخذت تجهز الزاد والطعام دون أن يلحظها أخواها الوليد وعمارة . . وملأ الفرح قلبها عندما أقبل رجل من قريش صحب أخويها الوليد وعمارة إلى دار الندوة . . ولما غربت الشمس ركبت ناقة ونظرت إلى السماء وكأنها تسلم مقاليد نفسها إلى الله عز وجل . . ووجدت أم كلثوم الخزاعى يركب ناقته فى انتظارها . . فتقدم وسارت وراءه .

وفى الصباح بحث الوليد وعمارة عن أختهما فلم يجداها . . فقالت إحدى جاراتهما : إن أمورًا تجرى من وراء ظهوركما ولا تحسان بها .

فتساءلا : ماذا تعنين ؟

قالت المرأة : لقد فرت إلى يثرب . . أدركا أختكما .

فقال الوليد وعمارة : هل فرت بمفردها أم . . ؟

قالت المرأة : أصحاب محمد وراء كل شر .

فقال الوليد وعمارة : ماذا فعلوا ؟

قالت المرأة : استباحوا حرمات قريش وخطفوا أختك ولا يدرى أحد أين توجهوا بها ؟

فقال الوليد وعمارة : ألم تقولى الآن أنها فرت إلى يثرب ؟

قالت المرأة : أصحاب محمد لا يخطفون النساء إلا إلى يثرب .

فقال حكيم بن حزام : أصحاب محمد لا يخطفون النساء .

ثم أردف حكيم بن حزام : لقد بلغنى أن أختك كانت على موعد مع رجل من خزاعة لتهاجر إلى المدينة .

فقال الوليد بن عقبة وعمرة بن عقبة : سوف نمضى إلى المدينة ولن نعود بدونها.

وكانت أم كلثوم بنت عقبة أول من هاجرت من النساء بعد صلح الحديبية ولا يعرف قرشية خرجت من بيت أبويها مسلمة مهاجرة سواها .

وانطلق الوليد وعمارة ابنا عقبة فى أثرها فقدما مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ ثانى يوم قدومها فلما علمت أم كلثوم بوصولهما ركبها الخوف هل سيعودان بها إلى أم القرى حيث العذاب والهول بعد أن اكتشفا إسلامها وفرارها بدينها ؟

أسرع الوليد وعمارة إلى مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ فقالا له : يا محمد ألا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ؟ يا محمد شرطنا أوف به.

فأسرعت أم كلثوم إلى نبى الرحمة ـ ﷺ ـ وقالت : يا رسول الله أنا امرأة وحال

النساء إلى الضعف فأخشى أن يفتنونى فى دينى ولا صبر لى

ولكن عمارة والوليد قالا : يا محمد لابد من الوفاء بما عاهدتنا عليه !.

ماذا سيفعل نبى الوفاء - ﷺ - ؟ هل يردها إلى أخويها ؟ لقد رد قبلها رجالاً جاؤوا مسلمين .. ووعدهم أن الله سيجعل لهم فرجًا ومخرجًا .. ولكنها امرأة .

ورفض رسول الله - ﷺ - رد أم كلثوم إلى أخويها وقال : **كان الشرط فى الرجال لا فى النساء .**

وامتلأ قلب أم كلثوم فرحًا .. عندما رد النبى - ﷺ - أخويها خائبين .. ونزل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [سورة الممتحنة : الآية ١٠] .

لقد حكم العليم الخبير من فوق سبع سموات فى الأمر فلا رجوع لمؤمنة إلى الكفار حتى لا تفتن فى دينها على أن يمتحنها نبى الرحمة - ﷺ - فيسألها : ما أخرجك إلا حب الله ورسوله والإسلام لا حب زوج ولا مال ؟

فقالت : ما أخرجنى إلا حب الله ورسوله والإسلام لا حب مال ولا زوج ،

ونجحت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى الامتحان .. وكانت أول امرأة فتحت الطريق أمام المؤمنات للحاق بالله ورسوله والمؤمنين فى مدينة رسول الله - ﷺ -.

* * * *

رملة بنت أبى سفيان

المهاجرة الصابرة

* فى الحبشة

كانت رملة بنت أبى سفيان تحت عبيد الله بن جحش أسلما وهاجرا إلى الحبشة ، وأخذ المهاجرون يعبدون الله عز وجل مطمئنين مستبشرين إلا عبيد الله بن جحش فقد كان حديث عهد بالنصرانية قبل أن ينطق بشهادة الحق ، وكانت فكرة تجسيد الآلهة تستهويه أكثر من فكرة الإله الواحد الأحد الذى ليس كمثله شىء ، وكانت خمر الكنائس المعتقة تبعث النشوة فى نفسه

وذات يوم قال عبيد الله لرملة بنت أبى سفيان :

ـ إنى نظرت فى هذا الدين فلم أر دينا خيرًا من دين النصرانية ، وكنت قد دنت بها ثم دخلت فى دين محمد ثم خرجت إلى دين النصرانية

فقالت رملة بنت أبى سفيان :

ـ والله ما خير لك ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٠٤].

وأكب عبيد الله بن جحش على الخمر يشربها ، وارتد . . فكان الفراق بينه وبين رملة بنت أبى سفيان وأخذ عبيد الله بن جحش يمر على المسلمين من مهاجرى الحبشة فيقول :

ـ فقحنا وصأصأتم

فقال مهاجرو الحبشة :

ـ والله لم تبصروا إننا لم نلتمس البصر ، لقد خسرت الدنيا والآخرة .

*** زواج رملة بنت أبى سفيان خاتم النبيين ﷺ :**

مات عبيد الله بن جحش طريدًا مذمومًا فى الحبشة ، فبعث نبى الرحمة ﷺ عمرو ابن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة فزوجه إياها وذلك سنة سبع من الهجرة وأصدق النجاشى عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار وبعث بها إلى أبى القاسم ﷺ مع شرحبيل بن حسنة (رواه الدارقطنى).

*** من هى رملة بنت أبى سفيان ؟**

من بنات عم الرسول ﷺ فليس فى أزواجه من هى أقرب نسبًا إليه منها .

ولا فى نسائه من هى أكثر صداقًا منها - كل واحدة منهن أصدقها النبى عليه الصلاة والسلام أربعمائة درهم -

ولا من تزوج بها وهى نائية الدار أبعد منها - تزوجها وهى فى الحبشة - فقد عقد له ﷺ بالحبشة .

نزل فيها وفى أمهات المؤمنين خاصة قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب الآية :٣٣].

*** هدانى الله إلى الإسلام**

لما بعثت قريش زعيمها أبا سفيان بن حرب إلى مدينة رسول الله ﷺ ليكلم خاتم الأنبياء ﷺ فى تجديد العهد وزيادة المدة - صلح الحديبية - بعد أن غدرت بنو بكر بخزاعة وأعان بنو بكر رجال من قريش على خزاعة حلفاء النبى عليه الصلاة والسلام.

دخل أبو سفيان دار ابنته أم حبيبة فلم تبد فرحًا بمقدمه ، وأراد أن يلجس على فراش سيد الأولين والآخرين ﷺ فطوته عنه فقال مستنكرًا :

- يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟

قالت أم حبيبة :

- بل هو فراش النبى ﷺ وأنت مشرك نجس فلا أحب أن تجلس عليه فقال زعيم قريش فى غضب حاول كبحه :

- والله لقد أصابك بعدى شر

قالت رملة بنت أبى سفيان :

- بل هدانى الله للإسلام وأنت تعبد حجرًا لا يسمع ولا يبصر واعجبا منك يا أبت وأنت سيد قريش وكبيرها

قال أبو سفيان وهو يغادر بيتها حانقًا :

- أنا أترك ما كان يعبد آبائى وأتبع دين محمد ؟ (رواه ابن سعد)

*** روايتها لأحاديث رسول الله ﷺ**

روت أم حبيبة عن النبى الخاتم ﷺ وزينب بنت جحش خمسة وستين حديثا ، أخرج لها فى الصحيحين أربعة أحاديث ، واتفق على حديثين ، ولمسلم مثلها .

وروى عن أم حبيبة : سالم بن سوار ومولاها - خادمها - أبو الجراح، وعروة بن الزبير ، وزينب بنت أبى سلمة ، وصفية بنت أبى شيبة

*** فى عهد الدولة السفانية**

كانت لأم حبيبة حرمة وجلالة ولا سيما فى دولة أخيها معاوية بن أبى سفيان، ولمكانه منها

قيل له :

خال المؤمنين

*** وفاتها**

عند موت رملة بنت أبى سفيان دعت أم المؤمنين عائشة وقالت لها :

- قد يكون بيننا - أمهات المؤمنين - ما يكون بين الضرائر ، فغفر الله لى ولك ما

كان من ذلك .

فقالت عائشة بنت أبى بكر :

ـ غفر الله لك ذلك كله وحللتك من ذلك

فقالت أم المؤمنين أم حبيبة :

ـ سررتنى سرك الله

وأرسلت رملة بنت أبى سفيان إلى أم المؤمنين أم سلمة فقالت لها مثل ذلك .

* * * *

زينب بنت جابر

هى زينب بنت جابر الأنصارية زوج أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ

يقول أنس بن مالك :

- قدم النبى عليه الصلاة والسلام المدينة وأنا ابن عشر سنين

وأتت أم سليم بنت ملحان رسول الله ﷺ فقالت :

- هذا أنس - أنيس - غلام يخدمك .

فقبله رسول الله ﷺ .

فقالت أم سليم

- أدع الله لأنس .

فقال رسول الله ﷺ :

« اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » .

وكان أنس بن مالك يخرج مع رسول الله ﷺ فى سفره وإلى السوق وزيارة الأنصار و . . و . .

دخل النبى عليه الصلاة والسلام ومعه أنس على رجل وهو فى الموت فسأله رسول الله ﷺ :

« كيف تجدك ؟ » .

فقال الرجل :

أرجو وأخاف .

فقال أبو القاسم ﷺ :

« لا يجتمعان ـ الرجاء والخوف ـ فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله عز وجل الذى يرجو وأمنه الذى يخافه » .

ومازح نبى الرحمة ﷺ خادمة أنس بن مالك يوما فقال له :

« يا ذا الأذنين » .

وكان أنس يسير مع النبى عليه الصلاة والسلام فلقى رجلا فسأله :

« هل تزوجت يا فلان ؟ » .

قال الرجل :

ـ لا والله يا رسول الله ولا عندى ما أتزوج .

فتساءل النبى ﷺ :

« أليس معك ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص الآية : ١] ؟ .

قال الرجل :

ـ بلى .

قال أبو القاسم ﷺ :

ـ « ربع القرآن » .

ثم قال رسول الله ﷺ :

ـ أليس معك ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [سورة النصر الآية : ٢] .

قال الرجل :

ـ بلى .

قال أبو القاسم ﷺ :

ـ « ربع القرآن » .

ثم قال رسول الله ﷺ :

ـ **أليس معك ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾** [سورة الكافرون الآية : ١] .

قال الرجل :

ـ بلى .

قال أبو القاسم ﷺ :

ـ **« ربع القرآن »** .

ثم قال نبى الرحمة ﷺ :

أليس معك ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [سورة الزلزلة الآية : ١] .

قال الرجل :

ـ بلى .

قال رسول الله ﷺ :

« ربع القرآن ... تزوج » .

وأوصى النبى عليه الصلام أنس بن مالك بخمس خصال فقال له

« يا أنس أسبغ الوضوء يزد فى عمرك وسلم على من لقيك من أمتى تكثر حسناتك وإذا دخلت ـ يعنى بيتك ـ فسلم على أهلك يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين قبلك ، يا أنس ارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائى يوم القيامة» .

وكنى النبى عليه الصلاة والسلام أنس بن مالك أبا حمزة ببقلة كان يجتنبها .

وشهد أنس مع النبى ﷺ غزوة بدر ، على الرغم من أنه لم يكن فى سن ما يقاتل يقول أنس بن مالك :

ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبى ﷺ ولا شممت ريحا قط أو عرقا قط ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئًا أطيب من ريح أو عرق رسول الله ﷺ .

ودخل أنس مسجد رسول الله ﷺ وهو يقول لأصحابه :

« إن الملائكة قالوا : ربنا خلقتنا وخلقت بنى آدم وجعلتهم يأكلون الطعام ويشربون الشراب ويلبسون الثياب ويتزوجون النساء ويركبون الدواب وينامون ويستريحون ولم تجعل لنا من ذلك شيئًا فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله عز وجل : لا أجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان ؟ » .

وسأل أحد الصحابة :

يا نبى الله من أول من يكسى حلة من نار ؟

قال رسول الله ﷺ :

« أول من يكسى حلة من نار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو ينادى : يا ثبوراه وينادى : وياثبورهم حتى يقفوا على النار فيقول : يا ثبوراه : فيقال لهم لا تدعوا ثبورًا ـ ويلا ـ واحدًا وادعوا ثبورا كثيرا » (رواه الإمام أحمد وابن أبى شيبة عن أنس).

وتزوج أنس بن مالك زينب بنت جابر . .

وعاد أنس إلى بيته يوما فألقى على أهله السلام كما أوصاه النبى عليه الصلاة والسلام فلم يأته رد ووجد امرأته نائمة فقامت وقالت :

ـ نسيت أن أصلى الظهر .

فقال لها أنس بن مالك :

قال رسول الله ﷺ : **« من نام عن صلاة فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك »** .

وجلسا يأكلان فلما فرغت زينب بنت جابر من طعامها لم تنبس بحرف وحد فقال أنس :

قال الصادق المصدوق ﷺ : « إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها » .

فقال زينب بنت جابر :

ـ الحمد لله رب العالمين .

قال أنس بن مالك :

قال الهادى البشير ـ ﷺ ـ : « **من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار : اللهم أجره من النار** » [رواه الحاكم فى المستدرك والنسائى عن أنس] .

وقال أنس بن مالك :

قال أبو القاسم ـ ﷺ ـ : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من يكن الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يقذف الرجل فى النار أحب إليه من أن يرجع إليه فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه وأن يحب الرجل العبد لا يحبه إلا لله ـ فى الله ـ عز وجل** » [رواه الإمام أحمد] .

وبينما كان رسول الله ـ ﷺ ـ مع أصحابه فى مسجده جاء رجل من أهل البادية عليه جبة مزرورة بالديباج فقال :

ألا إن صاحبكم هذا يريد أن يضع كل فارس ورفع كل راع ابن راع .

فأخذ رسول الله ـ ﷺ ـ بمجامع جبته وقال :

« **ألا أرى عليك لباس من لا يعقل** » .

ثم قال النبى ـ ﷺ ـ

« **إن نبى الله نوحًا ـ عليه السلام ـ لما حضرته الوفاة قال لابنه : إنى قاص عليك وصية آمرك باثنين وأنهاك عن اثنين : آمرك بلا إلـه إله إلا الله فإن السموات السبع**

والأرضين السبع لو وضعت فى كفة ووضعت لا إلـه إلا الله فى كفة رجحت بهن لا إلـه إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة ضمتهن لا إلـه إلا الله وبسبحان الله وبحمده فإن بها صلات كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشر والكبر » [رواه الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير] .

قال أنس بن مالك وعبد الله بن عمرو :

- يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر ؟ أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهم شركان حسنان ؟

قال أبو القاسم - ﷺ - :

- لا

قال عبد الله بن مسعود :

- هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها ؟

قال نبى الرحمة - ﷺ - :

- لا

قال جابر بن عبد الله :

- هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها .

قال الشافع المشفع - ﷺ - :

- لا

فتساءل الصحابة :

- يا رسول الله فما الكبر ؟

قال نبى الرحمة عليه الصلاة والسلام :

« سفه الحق وغمط الناس - تنقصهم وتحتقرهم - »

وذات ليلة حدث رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه عن فضل التكبيرة الأولى فقال :

« من صلى لله أربعين يومًا فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق » .

وخرج أنس بن مالك مع النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى سفر فخر رسول الله ﷺ ـ عن فرس فجحش ـ انخدش جلده ـ فصلى بأصحابه قاعدًا وصلوا معه قعودًا ثم انصرف فقال

« إنما الإمام ـ أو إنما جعل الإمام ـ ليؤتم به فإذ كبر كبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا قال : سمع الله لمن حمده فقولوا : ربنا ولك الحمد وإذا سجد فاسجدوا وإذا صلى قاعدًا فصلوا قعودًا أجمعون » .

ولما مرض رسول الله ـ ﷺ ـ صلى خلف أبى بكر الصديق قاعدًا فى ثوب متوشحًا به .

وسأل رجل خادم رسول الله ـ ﷺ ـ ما يستحب عليه الإفطار فقال أنس بن مالك:

كان نبى الله ـ ﷺ ـ يفطر قبل أن يصلى على رطبات فإن لم يكن رطبات فتميرات فإن لم يكن تميرات حسا حسوات من ماء .

وذهب أنس بن مالك إلى السوق فذكر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلم يصل عليه رجل فقال أنس بن مالك :

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **« رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على »** .

وسأل رجل رسول الله ـ ﷺ ـ عن فضل تلاوة القرآن فقال :

« عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آي أوتيها رجلٌ ثم نسيها » [رواه أبو داود ، والترمذي عن أنس] .

ونصح النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقراءة سورة الحشر وقال :

« إن مت مت شهيدا ـ أو من أهل الجنة » .

وذهب أنس بن مالك مع رسول الله ـ ﷺ ـ

« ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به ؟ تقولين إذا أصبحت وإذا أمسيت : يا حى يا قيوم بك أستغيث فأصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين » .

وسأل النبى ـ ﷺ ـ أصحابه يومًا :

« أنبئونى بأفضل أهل الإيمان إيمانًا » .

قال عمر بن الخطاب وأنس بن مالك وجابر :

ـ يا رسول الله **الملائكة** .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« فهم كذلك ويحق لهم ذلك وما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التى أنزلهم بها ؟ بل غيرهم » .

قالوا : يا رسول الله الأنبياء الذين أكرمهم الله برسالته والنبوة .

قال الصادق المصدوق ـ ﷺ ـ :

« هم كذلك ويحق لهم وما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التى أنزلهم بها ؟ بل غيرهم» .

قالوا :

يا رسول الله **الشهداء** الذين استشهدوا مع الأنبياء .

قال الشافع المشفع ـ ﷺ ـ :

« هم كذلك ويحق لهم وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالشهادة مع الأنبياء ؟ بل غيرهم » .

قالوا :

فمن يا رسول الله ؟

قال نبى الرحمة - ﷺ - :

« أقوام فى أصلاب الرجال يأتون من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى ويصدقون ولم يرونى يجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيمانًا »

وذت ضحى جلس رسول الله - ﷺ - مع أصحابه فقال لهم :

« انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا » [رواه البخارى عن أنس] .

فقال أنس ونفر من الصحابة :

- يا رسول الله نصرته مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا ؟

قال النبى - عليه الصلاة والسلام - :

« تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه »

لقد كان أنس بن مالك أحد المكثرين من الرواية عن رسول الله - ﷺ -

وخرجت زينب بنت جابر امرأة أنس حاجة ومعها امرأ فضربت عليها فسطاطًا ونذرت ألا تتكلم فجاء رجل فوقف بباب الخيمة فقال :

- السلام عليكم .

فردت صاحبتها :

- وعليك السلام ورحمة الله .

فتساءل الرجل :

- ما شأن صاحبتك لم ترد على ؟

قالت :

ـ إنها مصمتة ـ ساكتة لا تتكلم إنها نذرت ألا تتكلم .

فقال لزينب بنت جابر :

ـ تكلمى إنما هذا من فعل الجاهلية .

فتساءلت زينب بنت جابر :

ـ من أنت يرحمك الله ؟

قال الرجل :

ـ امرؤ من المهاجرين .

فقالت امرأة أنس بن مالك :

ـ من أى المهاجرين ؟

قال الرجل :

ـ من قريش .

فقالت زينب بنت جابر :

ـ من أى قريش ؟

قال الرجل :

ـ إنك لسؤول أنا أبو بكر .

فقالت زينب بنت جابر :

ـ خليفة رسول الله ؟ إنا كنا حديثى عهد بالجاهلية لا يأمن بعضنا بعضًا وقد جاء الله من الأمر بما ترى فحتى متى يدوم ؟

قال الخليفة الأول :

ما صلحت أئمتكم .

قالت زينب بنت جابر :

ـ ومن الأئمة ؟

فتساءل خليفة رسول الله :

ـ أليس فى قومك أشراف يطاعون ؟

قالت امرأة أنس بن مالك :

ـ بلى .

قال الصديق :

ـ أولئك الأئمة .

وأراد أبو بكر أن يوجه أنس بن مالك إلى البحرين على السعاية فدخل عليه الفاروق فاستشاره فقال عمر بن الخطاب :

ـ ابعثه فإنه لبيب كاتب .

فبعثه الخليفة الأول إلى البحرين .

وشهد أنس بن مالك فتوحات العراق وكان يقاتل لم يخش أن يقع الموت عليه أو يقع هو عليه .

وقطن أنس بن مالك البصرة وكان له بستان يحمل الفاكهة فى السنة مرتين وكان فيه ريحان ويجىء منه ريح المسك .

وذات يوم جاء قهرمان أنس بن مالك فقال :

ـ يا أبا حمزة عطشت أرضنا .

فقام أنس بن مالك فتوضأ وخرج إلى البري فصلى ركعتين ثم دعا .. فأقبل السحب تلتئم ثم أمطرت حتى ملأت كل شىء .. فلما سكن المطر بعث أنس بن مالك بعض أهله فقال :

ـ انظر أين بلغت السماء ؟

فنظر فلم تعد أرضه إلا يسيرا وذلك فى الصيف .

يقول أنس بن مالك :

قالت أمى وأنا غلام :

يا رسول الله هذا أنس أدع الله له ؟

فقال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . .

ويقول خادم رسول ـ ﷺ ـ :

فقد رأيت اثنتين ـ كثرة المال وكثرة الولد ـ وأنا أرجو الثالثة ـ دخول الجنة ـ .

فقد دفن أنس بن مالك من صلبه ولدًا واحدًا وله مائة وخمسة وعشرين وكان له بستان يثمر فى السنة مرتين .

ومات أنس بن مالك بالبصرة وكان موته سنة تسعين من الهجر ولها مائة وثلاث سنين . . فكان آخر الصحابة موتًا بالبصرة .

* * * *

سهيمة بنت عمير

امرأة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ـ ركانة المطلبى ـ

ذات يوم قفلت قافلة قريش بالرجوع إلى أم القرى وقد أسرى بهم الحادى وأمعن السير فخاصم الكرى العيون فقد كانت أفئدة الركب فى شوق إلى البيت الحرام والأهل والأحبة . . ولكن ركانة بن عبد يزيد كان مشغول البال حائر الفكر منذ أن سمع خبر محمد بن عبد الله ـ ﷺ ـ كيف يزعم أنه رسول الله ؟ كيف يدعو إلى عبادة إلـه واحد ؟ هل تبعه أحد ؟ .

وبدا البيت العتيق فخفقت القلوب وفاضت الأشواق . . وناخت القافلة خارج الحرم فهرع أهل مكة يستقبلون العائدين بالأحضان والقبلات والعبرات . . وأقبلت زوج ركانة بن عبد يزيد ولكنه لم ينس فى غمرة اللقاء وفور العواطف أن يسألها :

أحقا ما سمعت أن محمدا يزعم أنه نبى هذه الأمة ويدعو إلى نبذ عبادة اللات والعزى و . . ؟ .

فقال امرأة ركانة :

ـ نعم .

فعاد ركانة يتساءل :

ـ وهل أحد تبعه ؟ .

قالت زوج ركانة :

ـ بعض العبيد والفقراء .

فقال ركانة وهو يتلفت حوله :

ـ وأين هو ؟ .

ونظرت امرأته إليه فى عجب ألا يعودا إلى دارهما أولا ؟ ولكن ركانة قال :

ـ أين محمدًا ؟ .

فقالت امرأة ركانة :

ـ فى بعض شعاب مكة .

فانطلق ركانة يبحث عن محمد - ﷺ - فلقيه فى بعض جبال مكة فقال له :

ـ يا ابن أخى بلغنى عنك شىء . . فإلام تدعو ؟ .

قال أبو القاسم - ﷺ - :

« أدعوا إلى الله والإسلام » .

فهز ركانة بن عبد يزيد رأسه وقال :

ـ لا أفقه ما تقول .

فقال محمد - ﷺ - :

« يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ » .

فقال ركانة بن عبد يزيد :

ـ يا محمد إنى لو أعلم أن الذى تقول حق لا تبعتك ولكن إن صرعتنى علمت أنك صادق

كان ركانة أشد رجال مكة . . فتساءل محمد - ﷺ - :

« أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق ؟ » .

ووجدها ركانة بن عبد يزيد نهزة ـ فرصة ـ فقال :

نعم فقم حتى أصارعك .

وقام أبو القاسم - ﷺ - وصارعه فبطش به محمد - ﷺ - وأضجعه وركانة لا

يملك من نفسه شيئا . . فقال :

ـ عد يا محمد .

فعاد أبو القاسم وصرعه فعجب ركانة بن عبد يزيد وقال :

ـ عد يا محمد .

فجلده محمد ـ ﷺ ـ فقام ركانة بن عبد يزيد وهو ينفض عن ردائه غبار الهزيمة وقال :

ـ يا محمد والله إن هذا للعجب أتصرعنى ؟ .

فقال رسول الله ﷺ :

« وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمرى » .

فتساءل ركانة بن عبد يزيد :

ـ ما هو ؟ هل لك من آية ؟ .

فقال محمد ـ ﷺ ـ :

« نعم إن شئت ألا أريتك آية ؟ » .

قال ركانة بن عبد يزيد :

ـ بلى .

فنظرا نحو شجرة وقال أبو القاسم ـ ﷺ ـ :

« أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى ؟ »

فقال ركانة بن عبد يزيد :

ـ ادعها .

فدعاها أبو القاسم ـ ﷺ ـ فأقبلت تنفز ـ تثب ـ حتى وقفت بين يديه ـ ﷺ ـ فقال

لها :

« ارجعى مكانك »

فرجعت إلى مكانها .. ربا عجب ركانة بن عبد يزيد ولم يصدق عينيه .. ثم انطلق كالريح فوجد جمعا حول البيت فقال :

ـ يا بنى عبد مناف ساحروا بصاحبكم ـ يعنى رسول الله ـ ﷺ ـ فوالله ما رأيت أسحر منه قط ما رأيت كاليوم رجلا أسحر من هذا .

فتساءلوا :

ـ ماوراءك ؟ .

فأخبرهم بالذى رأى والذى صنع محمد ـ ﷺ ـ

ولما دخل ركانة داره رأت زوجته على وجهه سحب الحيرة والكآبة فقالت : ما بك؟ .

فأخبرها بأمر محمد ـ ﷺ ـ مع النخلة ولم يذكر لها شيئا عن مصارعته .. فقالت :

ـ كان صادقا أمينا قبل أن يزعم أنه نبى ؟ .

فرمى ركانة امرأته بنظرة كالحجر .. وظل صامتا .

وهاجر محمد ـ ﷺ ـ إلى المدينة وأراد ركانة أن ينطلق إلى مدينة رسول الله ﷺ ليسلم فلقيه أبو جهل بن هشام فقال له :

ـ أين تذهب ؟ .

قال ركانة بن عبد يزيد :

ـ إلى محمد .

فقال أبو جهل وهو يمسك بزمام بعيره :

ـ لا تصل إليه فإنه يأمرك بالصلاة .

فقال ركانة بن عبد يزيد :

ـ إن خدمة الرب واجبة .

فقال أبو جهل بن هشام :

ـ إنه يأمرك بإعطاء المال إلى الفقراء .

فقال ركانة بن عبد يزيد :

ـ اصطناع المعروف واجب .

فقال أبو جهل بن هشام :

ـ إنه ينهى عن الزنى .

فقال ركانة بن عبد يزيد :

ـ هو فحش وقبيح فى العقل ولا أحتاج إليه .

قال أبو جهل بن هشام :

ـ إنه ينهى عن شرب الخمر .

فقال ركانة بن عبد يزيد :

ـ أما هذا فإنى لا أصبر عليه .

ونظرت امرأته إليه متسائلة فقال :

ـ إنه يحرم الخمر .

فقالت زوج ركانة :

ـ اذهب إليه . . واستأذنه ربما أذن لك .

وأسلم ركانة وامرأته سهيمة بنت عمير المزنية عقب خيبر وأطعمه النبى ﷺ خمسين

وسقا من تمر .

وكان ركانة بن عبد يزيد حريصا على مجلس رسول الله ﷺ . . عاد ذات ليلة فسألته زوجته سهيمة :

ماذا قال رسول الله ﷺ ؟

فقال ركانة بنت عبد يزيد :

قال لنا رسول الله ﷺ : « **إن لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء** » (رواه ابن ماجه عن ابن عباس].

وطلق ركانة بن عبد يزيد امرأته البتة ثم أتى رسول الله ﷺ وقال :

يا رسول الله إنى طلقت امرأتى سهيمة البتة ووالله ما أردت إلا واحدة .

فتساءل النبى ﷺ :

« **ما أردت إلا واحدة ؟** »

فقال ركانة بن عبد يزيد :

ـ والله ما أردت إلا واحدة .

فردها النبى عليه الصلاة والسلام إليه .

وخرجت سهيمة وزوجها ركانة مع النبى عليه الصلاة والسلام وشهدت حجة الوداع . . تقول سهيمة :

سئل رسول الله ﷺ ونحن فى منى عن قوله تعالى : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ [سورة الفجر الآية : ٣] . فقال : « **الشفع يوم عشرة أو يوم النحر والوتر ليلة يوم النحر ـ يوم عرفة ـ** » .

وسألت سهيمة بنت عمير عبد الله بن عباس عن نقص دين المرأة فقال : قال رسول الله ﷺ : « **أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ فذلك نقصان فى دينها** »

تقول سهيمة بنت عمير :

خطبنا أمير المؤمنين عمر فقال : يا معشر النساء إذا اختضبتن فإياكن والنقش والتطريف ولتخضب إحداكن يديها إلى هذا ـ وأشار إلى موضع السوار ـ .

وخرجت امرأة متطيبة فوجد الفاروق ريحها فعلاها بالدرة ثم قال :

ـ تخرجن متطيبات فيجد الرجال ريحكن ؟ وإنما قلوب الرجال عند أنوفهم إخرجن تفلات ـ تاركات للطيب ـ .

وطلق ركانة بن عبد يزيد امرأته سهيمة الثانية فى عهد أمير المؤمنين عمر .. ثم ردها .

وسألت سهيمة بنت عمير أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن قيام الليل فقال ذو النورين :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الفجر فى جماعة فكأنما قام الليل كله** »

وطلق ركانة بن عبد يزيد سهيمة المزنية الثالثة فى عهد عثمان بن عفان .

* * * *

أم سلمة
المرأة الحكيمة

هى أم المؤمنين هند بنت أبى أمية المعروف بزاد الركب بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

كانت زوجة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى - أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب -

أسلم عبد الله بن عبد الأسد هو وزوجته هند بنت أبى أمية قديمًا فهما من السابقين الأولين وهاجر عبد الله بن عبد الأسد هو وامرأته إلى الحبشة فكان أول مهاجر إليها ثم لحق به عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ وعبد الرحمن بن عوف ومصعب بن عمير و . . و . . وولدت هند بنت أبى أمية زينب ، وظل مهاجرو الحبشة ثلاثة أشهر حتى علموا أن عمر بن الخطاب قد أسلم وأن أصحاب رسول الله ﷺ أصبحوا يصلون ويقرؤون القرآن فى المسجد آمنين مطمئنين فقالوا :

- عشائر أحب إلينا من هؤلاء الغرباء الذين نعيش معهم .

ورجعوا إلى مكة . . وقبل أن يدخلوها بساعة قال عبد الله بن عبد الأسد :

- أخشى أن نكون قد عجلنا بالعودة .

فسأل الزبير بن العوام رجلاً يرعى الغنم :

- كيف الحال الآن بين أصحاب محمد وبين قريش ؟

قال الراعى :

- ازدادت العداوة بين المسلمين وبين قريش ضرامًا .

فاتفق مهاجرو الحبشة أن يدخلوا مكة عندما يبسط الليل وشاحه الأسود على أم القرى .

ودخلوا مكة فى هجعة الليل مستخفين ، ولكن قريشًا علمت بمقدمهم فنصبوا شباكهم وأنزلوا بالمستضعفين منهم أشد العذاب ، وظفر القليل منهم بالجوار فأصبح فى حمى منيع لا يهدر له دم ولا يضطهد، فدخل عبد الله بن عبد الأسد فى جوار خاله أبى طالب بن عبد المطلب ودخل عثمان بن مظعون فى جوار الوليد بن المغيرة و . .

واستفحلت العداوة بين قريش وأصحاب رسول الله ﷺ فذهبوا إلى النبى عليه الصلاة والسلام يستأذنونه فى الهجرة إلى الحبشة ثانية فأذن لهم فقال عبد الله بن عبد الأسد المخزومى :

- يا رسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى الحبشة ولست معنا ؟

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

- أنتم مهاجرون إلى الله وإلى ، لكم هاتان الهجرتان جميعًا .

فقال عبد الله بن عبد الأسد :

- فحسبنا يا رسول الله

وهاجر ثلاثة وثمانون رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة وتركوا الأهل والمال والبنين والدور وفروا بدينهم إلى الله عز وجل ، ووجدوا فى الحبشة الأمن والأمان والاستقرار وحمدوا جوار النجاشى ملك الحبشة ، وولدت هند بنت أبى أمية سلمة وبه كنى عبد الله بن عبد الأسد ثم ولدت أم سلمة عمرا ودرة

ولما علم المهاجرون فى الحبشة أن النبى ﷺ قد بايع الأنصار - أوس وخزرج يثرب - عند العقبة انطلق أبو سلمة بن عبد الأسد وأم سلمة بنت زاد الركب إلى مكة ومعهما كثير من مهاجرى الحبشة .

واشتدت العداوة بين قريش وأصحاب النبى الخاتم ﷺ لما أيقنوا أن أبا القاسم ﷺ قد آوى - استند إلى قوم أهل حرب - وبايع الأوس والخزرج على أن يمنعوه فيما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وأنهم قبلوه ﷺ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف

وأن بعض مهاجرى الحبشة قد عادوا إلى مكة ، ونالت قريش من المسلمين ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والأذى ، وجعل البلاء يشتد عليهم فشكوا ذلك إلى المبعوث للناس كافة ﷺ .

فقال لهم :

ـ قد أخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب ، من أراد أن يخرج فليخرج إليها .

فلما أجمع أبو سلمة بن عبد الأسد الخروج إلى يثرب وحمل أم سلمة وابنها سلمة ثم خرج يقود بعيره

رآه رجال من بنى المغيرة فقاموا إليه وقالوا :

ـ هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد؟

ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوا أم سلمة ، فغضب عندئذ بنو مخزوم وأهووا إلى ابنهما سلمة

وقالوا :

ـ والله لا نترك ابننا عندها إذا نزعمتوها من صاحبنا

فتجاذبوا سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به رهط أبيه ، وحبس بنو المغيرة أم سلمة عندهم ، ومضى أبو سلمة إلى يثرب فكان أول مهاجر إليها .

وراحت أم سلمة كل غداة تخرج وتجلس بالأبطح فما تزال تبكى حتى تمسى سنة أو قريبًا منها .

حتى مر بها رجل من بنى عمها ـ أحد بنى المغيرة ـ فرأى ما بها فرحمها فقال لبنى المغيرة :

ـ ألا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها .

وما زال بهم حتى رقوا وقالوا لها :

ـ الحقى بزوجك إن شئت .

ورد عليها بنو عبد الأسد عند ذلك ابنها سلمة فانطلقت إلى يثرب فكانت أول ظعينة ـ امرأة فى هودج ـ قدمت المدينة ، فلما دخلتها أخبرت أهلها أنها بنت أبى أمية ابن المغيرة فكذبوها وقالوا :

ـ ما أكذب الغرائب

فلما تهيأ أناس منهم للحج قالوا لأم سلمة :

ـ أتكتبين لأهلك ؟

فكتب معهم ، فلما رجعوا إلى المدينة صدقوها وازدادت عليهم كرامة

* إصابة أبى سلمة

ويوم أحد ثبت أبو سلمة مع النبى ﷺ حين انكشف الناس فرماه أبو سلمة الجشمى فى عضده بسهم فمكث شهرًا يداوى جرحه حتى التأم

وعلم رسول الله ﷺ أن طليحة وسلمة ابنى خويلد الأسدى قد سارا فى قومهما ومن أطاعهما إلى حرب النبى الخاتم ﷺ ، فدعا أبا سلمة بن عبد الأسد وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار . فسار أبو سلمة حتى نزل بنى أسد فلم يلق أحدًا فرجع أبو سلمة إلى المدينة ولكن جرحه انتكأ فقالت أم سلمة لزوجها :

ـ بلغنى أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة وهى من أهل الجنة ثم لم تتزوج بعدها إلا جمع الله بينهما فى الجنة ، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقى الرجل بعدها ، **فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدى ولا أتزوج بعدك .**

فقال أبو سلمة بن عبد الأسد :

ـ أتطيعينى ؟

قالت أم سلمة :

ـ ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك

فقال أبو سلمة بن عبد الأسد :

ـ إذا مت فتزوجى

ثم استطرد :

ـ اللهم ارزق أم سلمة رجلاً خيراً منى لا يحزنها ولا يؤذيها

فلما حضرت الوفاة عبد الله بن عبد الأسد قال :

ـ اللهم اخلفنى فى أهلى بخير

وقبض أبو سلمة لثلاث مضين لجمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة فقالت أم سلمة :

ـ غريب وفى أرض غريبة ؟ لأبكينه بكاء يتحدث عنه

وتهيأت هند بنت زاد الركب للبكاء على أبى سلمة ، وأقبلت امرأة تريد أن تساعدها ، فاستقبلهما المبعوث رحمة للعالمين ﷺ وتساءل :

ـ أتريدين أن تدخلى الشيطان بيتًا أخرجه الله منه ؟

فكفت أم سلمة عن البكاء ولم تبك أبدًا وقالت :

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم عندك أحتسب مصيبتى فأجرنى فيها .

وأرادت أم سلمة أن تقول :

ـ وأبدلنى بها خيرا منها .

قالت :

ـ من خير من أبى سلمة ؟

وذهبت أم سلمة إلى أبى القاسم ﷺ فقالت له :

ـ يا رسول الله إن أبا سلمة مات فكيف أقول ؟

قال إمام الخير ﷺ :

- قولى : اللهم اغفر لى وله وأعقبنى منه ، إذا حضرتم فقولوا خيرًا فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون

ودخل رسول الله ﷺ على أم سلمة يعزيها بأبى سلمة فقال عليه الصلاة والسلام:

- اللهم عز حزنها واجبر مصيبتها وأبدلها بها خيرًا منها

وصلى إمام النبيين ﷺ وأصحابه على أبى سلمة بن عبد الأسد وكبر تسع تكبيرات فقيل له :

- يا رسول الله أسهوت أم نسيت ؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- لم أسه ولم أنس ولو كبرت على أبى سلمة ألفا كان أهلا لذلك

*** زواج صاحب الخلق العظيم ﷺ أم سلمة**

لما انتهت عدة أم سلمة بنت زاد الركب تقدم إليها أبو بكر الصديق خاطبًا فرفضت فى رفق ، وتلاه عمر بن الخطاب فلم يكن حظه منها غير حظ صاحبه الصديق

وبعث رسول الله ﷺ إلى أم سلمة خاطبًا . . فوافقت

وأبدلها الله عز وجل من هو خير من أبى سلمة سيد ولد آدم ﷺ

*** يوم الحديبية**

فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة استنفر رسول الله ﷺ العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب إلى العمرة فقد رأى الصادق المصدوق ﷺ فى النوم أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين - بعضهم محلق وبعضهم مقصر - وأنه دخل البيت وأخذ مفتاحه وعرف مع المعرفين - طاف هو وأصحابه -

واعتمر

فلما أخبر أبو القاسم ﷺ أصحابه بذلك فرحوا وتجهزوا

وخرج رسول الله ﷺ وصحب معه أم سلمة وأم عمارة وأم منيع وأم عامر الأشهلية ومعه سبعمائة من أصحابه وساق الهدى سبعين بدنة

ولما كان رسول الله ﷺ وأصحابه بعسفان علم أن قريشًا عاهدوا الله ألا يدخلها عليهم - مكة - أبدًا ، فسلك طريقًا وعرا إلى الحديبية

وجرى الصلح بين رسول الله ﷺ وبين سهيل بن عمرو

وتم الصلح على : وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليه ومن أتى قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بينهما عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أراد أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أراد أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت بنو بكر وقالوا :

- نحن فى عقد قريش وعهدهم

وتواثبت خزاعة وقالوا :

- نحن فى عقد محمد وعهده

وأن محمدا يرجع عن قريش عامه هذا فلا يدخل عليم مكة هذا العام ويعودوا من حيث أتوا إلى العام القابل وعلى أن تخلى لهم قريش مكة ثلاثة أيام فإن خرجوا عنها دخلها محمد بأصحابه معه سلاح الراكب السيوف فى القرب لا يدخلها بغيرها

ورأى بعض الصحابة أن شروط صلح الحديبية كانت مجحفة قاسية فقال عمر بن الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام :

- ألست برسول الله ؟

قال أبو القاسم ﷺ :

قال الفاروق :

- أولسنا بالمسلمين ؟

قال خاتم النبيين ﷺ :

- بلى .

قال عمر بن الخطاب :

- أوليسوا بالمشركين ؟

قال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

- بلى .

قال أبو حفص :

- فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى

ثم قال المبعوث للناس كافة ﷺ لأصحابه :

- قوموا فانحروا ثم احلقوا

فلم يقم أحد

فقال أبو القاسم ﷺ لأصحابه :

- قوموا فانحروا ثم احلقوا .

فما قام أحد منهم

فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ قوموا فانحروا ثم احلقوا .

فما قام منهم رجل واحد

*** رسول الله ﷺ يستشير زوجه أم سلمة**

دخل رسول الله على زوجته أم سلمة وهو شديد الغضب فاضطجع فتساءلت أم سلمة :

ـ ما لك يا رسول الله ؟

فلم يجبها ، فقالت أم سلمة :

ـ ما لك يا نبى الله ؟

قالت ذلك مرارًا وهو لا يجيبها . . ثم قال السراج المنير ﷺ :

ـ هلك المسلمون ، أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا .

كانت أم سلمة تعلم أن مشورتها نابعة من معرفتها بانقياد الصحابة لرسولهم ومدى حبهم له ، وتعلم أن عدم طاعتهم ناتج من فرط حبهم لعقيدتهم وعن فرط حرصهم على أن لا يوقعوا على ما يكون فيه الدنية فى دينهم كما ظنوا ذلك فى شروط الصلح فقالت المرأة الحكيمة :

ـ يا رسول الله لا تلمهم فإن داخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح

ثم استطردت :

ـ يا نبى الله اخرج ولا تكلم أحدًا منهم وانحر بدنك واحلق رأسك

فخرج نور الظلمة ﷺ فأخذ حربة وقصد هديه وأهوى بالحربة إلى البدن رافعًا صوته :

ـ بسم الله الرحمن الرحيم الله أكبر

ثم دخل قبة له من آدم ودعا خراش بن أبى أمية الخزاعى فحلق رأسه فلما رأى الصحابة ذلك قاموا فنحروا وحلقوا وقصر بعضهم

فقال نبى الرحمة ﷺ :

- رحم الله المحلقين

فقال بعض الصحابة :

- والمقصرين يا رسول الله ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

- رحم الله المحلقين .

فقال بعض أتباعه :

- والمقصرين يا رسول الله ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- رحم الله المحلقين .

قال بعض الصحابة :

- والمقصرين يا نبى الله ؟

قال سيد الأولين والآخرين ﷺ :

- والمقصرين (رواه ابن أبى شيبة عن عمر) .

فقال عبد الله بن أبى بن سلول :

- يا رسول الله فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟

قال الذى أوتى جوامع الكلم ﷺ :

- لم يشكوا .

وأمر نور الظلمة ﷺ أصحابه بالرحيل

*** إنه فتح**

لما بلغ المسلمون كراع الغميم أنزل السميع البصير قوله :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [سورة الفتح الآية : ١ ـ ٣] .

فتساءل عمر بن الخطاب :

ـ أو فتح يا رسول الله ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ نعم والذى نفسى بيده إنه فتح

فقال عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين وبعض قومه :

ـ ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ بئس الكلام بل هو أعظم الفتح ، لقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالبراح عن بلادهم وسألوكم القضية ويربحوا لكم فى الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم الله تعالى سالمين مأجورين فهو أعظم الفتح ، أنسيتم يوم أحد : ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٣٥] ، وأنا أدعوكم فى أخراكم ؟ أنسيتم يوم الأحزاب ؟ ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ١٠] .

قال ناجية بن جندب وخراش بن أبى أمية الخزاعى :

ـ صدق الله ورسوله فهو أعظم الفتح ، والله يا نبى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولأنت أعلم بالله بأمرنا منا

*** جبريل عليه السلام**

أتى جبريل عليه السلام النبى الخاتم ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث . .

ثم قام فقال رسول الله ﷺ لأم سلمة :

ـ من هذا ؟

قالت هند بنت زاد الركب :

ـ هذا دحية ـ دحية بن خليفة الكلبى ـ

فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ هذا جبريل ﷺ

فقالت أم سلمة :

ـ ايم الله ما حسبته إلا إياه

*** أهل البيت**

وذات يوم كان المبعوث رحمة للعالمين ﷺ عنده أم سلمة وابنتها زينب فجاءت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ مع ريحانتى رسول الله ﷺ الحسن والحسين فضمهما النبى ﷺ إليه وقال :

ـ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد

فبكت أم سلمة ، فنظر إليها المبعوث رحمة للعالمين ﷺ وسألها فى حنو :

ـ ما يبكيك ؟

فقالت أم سلمة :

ـ يا رسول الله خصصتهم وتركتنى وابنتى

فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

ـ إنك وابنتك من أهل البيت

*** يوم الفتح الأعظم**

خرجت أم سلمة مع النبى ﷺ يوم فتح مكة ، وبينما الجيش المحمدى اللجى فى الطريق وعلى مقربة من الأبواء اعترضه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة - ابن عاتكة بنت عبد المطلب وأخو أم سلمة - ، كان أبو سفيان وعبد الله يقصدان المدينة يريدان الإسلام ، وكانا من أكبر المباعدين له القائمين على رسول الله ﷺ ومن أشد الناس إذاية له ﷺ ، فلما رآهما عليه الصلاة والسلام أعرض عنهما

فكلمته أم سلمة فيهما :

- لا يكون ابن عمك - أبو سفيان بن الحارث - ، وابن عمتك - عبد الله بن أبى أمية - وصهرك أشقى الناس بك

فقال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ :

- لا حاجة لى بهما أما ابن عمى فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال

فلما سمع أبو سفيان ما قاله النبى عليه الصلاة والسلام قال :

- والله ليأذن لى أو لآخذن بيد ابنى هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت جوعًا وعطشًا

فلما بلغ نبى الرحمة ﷺ ذلك رق لابن عمه وابن عمته . . وأذن لهما فدخلا عليه وأسلما . .

*** وفاتها**

ماتت أم المؤمنين أم سلمة سنة تسع وخمسين من الهجرة فى عهد يزيد بن معاوية فكانت آخر أمهات المؤمنين موتا ، وكان يوم ماتت لها أربع وثمانون سنة فصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع .

* * * *

نسيبة بنت كعب

*** بيعة العقبة**

لما فشا الإسلام فى يثرب اتفق الأنصار على السير إلى مكة للقاء رسول الله ﷺ فخرجت جماعة منهم مستخفين لا يشعر بهم أحد ، وساروا إلى مكة فى الموسم فى ذى الحجة مع كفار قومهم ، واجتمعوا بخاتم النبيين ﷺ وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة ، فلما كان الليل خرجوا بعد مضى ثلثه مستخفين يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة ، كانوا سبعين رجلاً وامرأتين : أم عمارة نسيبة بنت كعب من بنى مازن بن النجار ، وأسماء أم عمرو بن عدى

ولما بايع نقباء الخزرج ونقباء الأوس المبعوث للناس كافة ﷺ

قال زيد بن عاصم زوج أم عمارة :

ـ يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتا معنا يبايعنك

فقال نبى الرحمة ﷺ :

ـ قد بايعتهما عليه ، إنى لا أصافح النساء

*** يوم أحد**

خرجت نسيبة بنت كعب يوم أحد معها شنة ـ قربة ـ لتسقى جند الله وتسقى الجرحى

ولما خالف الرماة أمر النبى عليه الصلاة والسلام وراحوا ينهبون عسكر قريش مع إخوانهم المسلمين الذين لاح لهم نور النصر فى بادئ الأمر .. فخلى الجبل .. ودارت الدائرة على المسلمين وانكشف الناس ، لم يثبت إلا النبى ﷺ مع نفر قليل وأم عمارة المازنية وأبناؤها وزوجها زيد بن عاصم ، تركت نسيبة سقاء فيه ماء كانت تسقى به الجرحى وانحازت إلى رسول الله ﷺ وقامت تباشر القتال وتذب عنه

بالسيف وترمى عنه بالقوس وقد ولى الناس عن رسول الله ﷺ

ولما رأى نبى الرحمة ﷺ أم عمارة ولا ترس معها ورأى رجلا من المسلمين موليًا ومعه ترس قال له أبو القاسم :

ـ يا صاحب الترس ألق ترسك إلى من يقاتل

فألقى الرجل ترسه فأخذته نسيبة بنت كعب فجعلت تترس به عن خاتم النبيين ﷺ فأقبل رجل من المشركين وضرب أم عمارة فترست له فلم يصنع سيفه شيئًا وولى هاربًا فضربت نسيبة بنت كعب عرقوب فرسه فوقع على ظهره فأخذ المبعوث للناس كافة ﷺ يقول لعبد الله بن زيد :

ـ يا ابن أم عمارة أمك أمك

فخف عبد الله بن زيد بن عاصم إلى أمه يعاونها حتى قتلا الرجل

فقالت نسيبة بنت كعب وهى تنظر نحو من ولى من المسلمين :

ـ لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم ـ المشركين ـ إن شاء الله

وراح عبد الله بن زيد بن عاصم يصول ويجول حتى ضربه رجل من المشركين فجرح عضده اليسرى

فلما رأى المبعوث رحمة للعالمين ﷺ الدم ينزف قال له :

ـ اعصب جرحك

فأقبلت نسيبة بنت كعب إلى ابنها ومعها عصائب فى حقويها قد أعدتها للجراح فربطت عضد ابنها ، ورسول الله ﷺ واقف ينظر إليها ، فلما انتهت أم عمارة من ربط جرح عبد الله بن زيد قالت له :

ـ انهض بنى فضارب القوم

فقال المبعوث رحمة للعالمين :

ـ ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟

وأقبل الرجل الذى ضرب عبد الله بن زيد بن عاصم فقال النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ لأم عمارة :

- هذا ضارب ابنك

فاعترضت نسيبة بنت كعب للرجل وضربت ساقه فبرك فتبسم النبى الخاتم ﷺ حتى رأت نواجذه وقال عليه الصلاة والسلام :

- استقددت يا أم عمارة

وأقبل عبد الله وزيد بن عاصم بالسلاح وعاونا أم عمارة حتى جعلوا الرجل المشرك كأمس الدابر

فقال أبو القاسم ﷺ :

- الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثارك بعينيك

وبينما كانت أم عمارة وأبناؤها وزوجها يذبون عن السراج المنير ﷺ أقبل ابن قميئة وهو يصيح :

- دلونى على محمد فلا نجوت إن نجا

فاعترض له مصعب بن عمير وأم عمارة وحبيب بن زيد بن عاصم ، فضرب ابن قميئة نسيبة بنت كعب على عاتقها بسيفه فصنع جرحًا له غور أجوف ، ولكنها تحاملت على نفسها وأخذت تضربه ضربات ولكن كان عليه درعان

وظلت أم عمارة تقاتل أشد القتال وقد منطقت - حزمت - ثوبها على وسطها

وأقبل رجل من المشركين على فرس فقال صاحب لواء الحمد ﷺ لعبد الله بن زيد ابن عاصم :

- ابن أم عمارة

قال عبد الله بن زيد :

- نعم

قال عليه الصلاة والسلام :

- ارم

فرمى عبد الله بن زيد بن عاصم بين يدى رسول الله ﷺ الرجل الذى كان مقبلاً على فرس بحجر فأصاب عين الفرس فاضطرب ووقع هو وصاحبه فجعل عبد الله وأمه نسيبة بنت كعب يرميانه بالحجارة حتى جعلاه جثة هامدة

ونظر الشافع المشفع ﷺ نحو أم عمارة وابنها وتبسم ثم أشار نحو جرح نسيبة بنت كعب وقال لعبد الله بن زيد :

- أمك أمك أعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان رحمكم الله من أهل بيت ، بارك الله عليكم من أهل بيت

فقالت أم عمارة :

- ادع الله يا رسول الله أن نرافقك فى الجنة

فقال الرحمة المهداة ﷺ :

- اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة

فلما سمعت نسيبة بنت كعب دعاء النبى الخاتم ﷺ قالت :

وعصب حبيب بن زيد جرح أمه نسيبة بنت كعب الذى كان أصاب عاتقها

*** الخروج إلى حمراء الأسد**

لما رجع أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة شدت أم عمارة عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم وقضت ليلتها تضمد ثلاثة عشر جرحًا حتى أسفر الصبح ، فسمعت منادى رسول الله ﷺ ينادى بالغزو وقال :

- لا يخرج معنا إلا من حضر القتال بالأمس

وخرج رسول الله ﷺ خلف قريش إرهابًا للعدو وليبلغهم أنه ﷺ خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم - يضعفهم - عن عدوهم

ولكن نسيبة بنت كعب لم تستطع أن تخرج مع حبيب الرحمن ﷺ

ولما رجع أبو القاسم ﷺ من حمراء الأسد أرسل إلى نسيبة بنت كعب يسأل عنها فرجع إليه عبد الله بن زيد يخبره بسلامتها فسر نبى الرحمة ﷺ ، وسألت أم عمارة ابنها عبد الله :

- كيف حال رسول الله ﷺ ؟

قال عبد الله بن زيد :

- بخير فلقد رأيته مستلقيًا فى المسجد على ظهره واضعًا إحدى رجليه على الأخرى

فخرجت نسيبة بنت كعب إلى المسجد لتطمئن بنفسها على إمام الخير ﷺ فرأته يتوضأ وقد أتى بإناء فيه ثلثى المد ومسح على أذنيه

*** يوم الحديبية**

لما خرج رسول الله ﷺ معتمرا فى ذى القعدة خرجت زوجته أم سلمة فخرجت نسيبة بنت كعب وجماعة من المهاجرين والأنصار ومن تبع النبى عليه الصلاة والسلام من الأعراب - كانوا ألف وخمسمائة من المسلمين -

ولما دعا النبى ﷺ إلى البيعة تحت الشجرة بايعه أصحابه وبايعت نسيبة بنت كعب

ولما قام ﷺ لينحر ناولته أم عمارة حربة وراحت تنظر إليه ﷺ وهو ينحر بدنه قيامًا بالحربة

*** يوم عمرة القضاء**

وخرجت نسيبة بنت كعب مع النبى يوم عمرة القضاء

وذات يوم دخل النبى ﷺ بيت أم عمارة عائدًا لها فقدمت إليه طفشيلة وخبز شعير

فقال لها :

ـ كلى

فقالت نسيبة بنت كعب :

ـ إنى صائمة

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ إن الصائم إذا أكل عنده صلت عليه الملائكة

* يوم الفتح الأعظم

شهدت نسيبة بنت كعب مع النبى ﷺ يوم فتح مكة

وذات يوم قالت أم عمارة لأبى القاسم ﷺ :

ـ يا رسول الله ما أرى كل شىء إلا للرجال ، وما أرى النساء يذكرون فى شىء

فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ٣٥] . (رواه الترمذى) .

وشهدت نسيبة بنت كعب مع خاتم النبيين ﷺ غزوة حنين وحصار الطائف

* كذاب اليمامة

لما رجع إمام الأنبياء ﷺ من مكة قال :

ـ أما اليمامة سيخرج منها كذاب يتنبأ بعدى

فقال خالد بن الوليد وعبد الله بن زيد بن عاصم وأبو دجانة :

ـ يا رسول الله من يقتله ؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ لخالد بن الوليد :

ـ أنت وأصحابك

وتحققت نبوءة خاتم النبيين ﷺ . . وادعى مسيلمة بن حبيب النبوة وراح يسجع لبنى حنيفة السجعات مضاهات للقرآن : والطاحنات طحنًا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزًا ، لقد أنعم الله على الحبل أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا . .

ووضع عن بنى حنيفة صلاتى العشاء والفجر وأحل لهم الخمر والنساء

وقدم على رسول الله ﷺ رسولان بكتاب من مسيلمة يقول فيه

من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك

أما بعد

فإنى أشركت فى الأمر معك ، إنا لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر ولكن قريشًا قوم يعتدون

فسأل خاتم النبيين ﷺ رسولى مسيلمة :

ـ وأنتما تقولان ما يقول ؟

قالا :

نعم

فقال النبى الخاتم ﷺ :

ـ أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما

ثم كتب رسول الله ﷺ إلى مسيلمة بن حبيب كتابًا قال فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب

سلام على من اتبع الهدى

أما بعد

فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

وحمل الرسولان كتاب المبعوث للناس كافة ﷺ وانطلقا إلى اليمامة ، ولكن مسيلمة الكذاب لم يكف عن إفكه وكذبه وازداد ضلالاً وإضلالاً وأجمعت عليه بنو حنيفة

*** ابن أم عمارة رسول رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب**

أراد صاحب الخلق العظيم ﷺ أن يبعث رسولاً إلى مسيلمة الكذاب لعله يكف عن نشر كذبه وبهتانه وإيذاء المسلمين ، فبعث حبيب بن زيد بن عاصم فلما علمت أم عمارة فرحت ودعت لابنها بالتوفيق والسداد

وذهب حبيب بن زيد إلى مسيلمة فسأله :

ـ أتشهد أن محمدًا رسول الله ؟

فقال ابن أم عمارة :

ـ نعم

فقال مسيلمة الكذاب :

ـ أتشهد أني رسول الله ؟

فوضع حبيب يده على مقربة من أذنه وتظاهر بالصمم وقال :

ـ أنا لا أسمع شيئًا

فلما ردد ذلك مرارًا استشاط مسيلمة الكذاب غضبًا وغيظًا وأمر جلاده أن يقطعه عضواً عضواً فمات

وهو يقول :

أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

عائشة بنت أبى بكر
المبرأة من فوق سبع سماوات

ولدت بمكة فى السنة الخامسة من بعث رسول الله ﷺ

ولما توفيت خديجة بنت خويلد فى العام العاشر من مبعث خاتم النبيين ﷺ حزن نبى الرحمة ﷺ حزنًا شديدًا حتى خشى عليه ، فقد كانت وزير صدق على الإسلام

ولما خفت وطأة الحزن عليه ﷺ شرع يختلف إلى بيت صديقه أبى بكر بن أبى قحافة فإذا رأى عائشة قال لأمها :

ـ يا أم رومان استوصى بابنتك عائشة خيرًا واحفظينى فيها (رواه ابن سعد عن حبيب مولى عروة مرسلاً) .

فكانت لعائشة منزلة عند أهلها

وذات يوم ذهب أبو القاسم ﷺ إلى بيت أبى بكر فوجد عائشة مستترة بالباب وهى تبكى بكاء حزينًا فسألها عليه الصلاة والسلام :

ـ ما بك يا عائشة ؟

قالت بنت أبى بكر :

ـ أمى

فدمعت عينا إمام الخير ﷺ ودخل على أم رومان وقال لها :

ـ يا أم رومان ألم أوصى بعائشة أن تحفظينى فيها ؟

فقالت أم رومان بنت عامر :

ـ يا رسول الله بلغت الصديق عنى وأغضبته علينا

فقال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ :

ـ وإن فعلت

* زواج رسول الله ﷺ عائشة

ذات ضحى جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون وقالت لأبى القاسم ﷺ :

ـ أى رسول الله ألا تتزوج ؟

فتساءل المبعوث للناس كافة ﷺ :

ـ ومن ؟

قالت خولة بنت حكيم :

ـ إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا

فقال ﷺ :

ـ من البكر ومن الثيب ؟

قالت امرأة عثمان بن مظعون :

ـ أما البكر فابنة أحب الخلق إليك عائشة بنت أبى بكر ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك

فقال إمام الخير ﷺ :

ـ فاذهبى فاذكريهما على

فانطلقت خولة بنت حكيم إلى بيت أبى بكر الصديق فوجدت أم رومان بنت عامر فقالت لها :

ـ يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟

فتساءلت أم رومان :

ـ وما ذاك ؟

قالت امرأة عثمان بن مظعون :

ـ رسول الله ﷺ يذكر عائشة

فقالت أم رومان بنت عامر :

ـ انتظرى أبا بكر فإنه آت

وجاء الصديق فذكرت ذلك فقال :

ـ أو تصلح له وهى ابنة أخيه ؟

فرجعت خولة بنت حكيم إلى نور الظلمة ﷺ وذكرت له قول أبى بكر فقال كاشف الغمة ﷺ :

ـ ارجعى وقولى له : أنت أخى فى الإسلام وابنتك تصلح لى

فرجعت خولة بنت حكيم إلى الصديق

فذهب أبو بكر إلى النبى الخاتم ﷺ وقال له :

ـ يا رسول الله قد كنت وعدت ـ عائشة ـ بها أو ذكرتها لمطعم بن عدى بن نوفل لابنه جبير

فأتى الصديق المطعم بن عدى ودخل عليه وعنده امرأته أم جبير فقال أبو بكر :

ـ ما تقول فى أمر الجارية ـ يعنى ابنته عائشة ـ ؟

فاستشار المطعم بن عدى امرأته وقال :

ـ ما تقولين يا هذه ؟

فقالت أم جبير لعبد الله بن عثمان :

ـ لعلنا إن أنكحنا هذا الصبى إليك تصبيه وتدخله دينك الذى أنت عليه

كانت تخشى أن يهدى الله قلب ابنها جبير بن مطعم إلى الإسلام على يد أبى بكر إذا زوجه ابنته عائشة

فقال الصديق للمطعم بن عدى :

ـ ما تقول أنت ؟

فقال المطعم بن عدى :

ـ إنها تقول ما تسمع ـ إنها تقول ما سمعت ـ

فقام الصديق وليس فى نفسه من الوعد الذى وعده لمطعم بن عدى شىء

قال أبو بكر لخولة بنت حكيم :

ـ قولى لرسول الله ﷺ : فليأت

فجاء أبو القاسم ﷺ وعقد على عائشة وأصدقها أربعمائة درهم

وكان ذلك بمكة فى شوال فى العاشر من البعث

وكانت عائشة بنت أبى بكر عمرها ست سنين

ولما هاجر خاتم النبيين ﷺ إلى المدينة وبنى مسجده وحجراته بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط الديلى فحمل أم رومان وعائشة وأسماء ، وحمل زيد بن حارثة زوجته أم أيمن وابنها أسامة بن زيد، وحمل أبو رافع فاطمة وأم كلثوم ابنتى رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة ، فلما خرجوا من مكة صادفوا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة فخرجوا جميعًا ، فلما قدموا المدينة نزل آل رسول الله ﷺ حجراته التى حول مسجده

وذات يوم سأل الصديق صديقه ﷺ :

ـ يا نبى الله ما يمنعك من أن تبنى بأهلك ـ يعنى عائشة ـ ؟

قال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

ـ الصداق

فأعطاه أبو بكر بن أبى قحافة اثنتى عشرة أوقية ونشا ـ نصف أوقية ـ فقدمها

السراج المنير ﷺ مهرًا لعائشة

وأسكن أبو القاسم ﷺ عائشة بنت أبى بكر حجرة ملاصقة لمسجده

* خيل سليمان

دخل النبى الخاتم ﷺ يومًا على عائشة فوجدها تلعب بالبنات فسألها :

- ما هذا يا عائشة ؟

قالت بنت أبى بكر :

- خيل سليمان (رواه مسلم وأبو داود) .

فضحك نبى الرحمة ﷺ

* الوحى ينزل فى حجرة عائشة

كانت حجرة عائشة ملاصقة لمسجد النبى ﷺ ، وكانت الحجرة لها مصراع واحد ، وكانت غرفة الوحى لكثرة الوحى الذى نزل على إمام النبيين ﷺ فيها

ذات ضحى كان أبو القاسم ﷺ فى حجرة عائشة ، إذ دخل الحجرة عليهما رجل على فرس فقام إليه خاتم النبيين ﷺ فوضع يده على معرفة الفرس وجعل يكلمه ثم رجع النبى عليه الصلاة والسلام فقالت عائشة :

- يا رسول الله من هذا الذى كنت تناجى ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- وهل رأيت أحدًا ؟

قالت أم المؤمنين عائشة :

- نعم رأيت رجلاً على فرس

فتساءل الذى أوتى جوامع الكلم ﷺ :

- بمن شبهته ؟

قالت بنت أبى بكر :

ـ بدحية بن خليفة الكلبى

قال السراج المنير ﷺ :

ـ فذاك جبريل قد رأيت خيراً

ثم لبثت ما شاء الله أن تلبث ، ودخل جبريل ﷺ والنبى ﷺ فى حجرتها فقال أبو القاسم ﷺ :

ـ يا عائشة

فقالت أم المؤمنين عائشة :

ـ لبيك وسعديك يا رسول الله

فقال نور الظلمة ﷺ :

ـ هذا جبريل وقد أمرنى أن أقرئك منه السلام

فقالت الصديقة :

ـ ارجع إليه منى السلام ورحمة الله وبركاته جزاك الله من خير ما يجزى الدخلاء (رواه ابن أبى شيبة والترمذى)

* أول حب فى الإسلام

يقول أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ :

ـ أول حب كان فى الإسلام حب النبى ﷺ لعائشة (رواه الترمذى) .

ولذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرون يوم عائشة ليقدموا للنبى ﷺ هداياهم وهو عندها حتى أثار ذلك غيرة أمهات المؤمنين

وكان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة

سأل عمرو بن العاص النبى ﷺ يومًا :

- يا نبى الله من أحب الناس إليك ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- عائشة

قال عمرو بن العاص :

- لا نعنى أهلك - من الرجال - ؟

قال نبى الرحمة ﷺ :

- أبو بكر - أبوها - (رواه الطبرانى فى الأوسط عن أسعد بن زرارة والبخارى عن عمرو بن العاص)

وكان أبو القاسم ﷺ يقول لعائشة :

- إنى لأعلم إن كنت عنى راضية وإذا كنت عنى غضبى

فتساءلت أم المؤمنين عائشة :

- من أين تعرف ذلك ؟

قال كاشف الغمة ﷺ :

- أما إذا كنت راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت عنى غضبى قلت : لا ورب إبراهيم

قالت عائشة :

- أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك (أخرجه البخارى ، ومسلم ، والإمام أحمد)

* يوم أحد

لما خرج رسول الله ﷺ يوم أحد خرجت عائشة وبعض نساء المسلمين يحملن الماء ويسقين الجرحى ويداوين جروحهم

فقد كانت عائشة حريصة على إرضاء رسول الله ﷺ

كانت بنت أبى بكر تحرص على ألا يرى منها رسول الله ﷺ إلا ما يسر نظره وخاطره ويدخل السرور على قلبه

سألت عائشة النبى عليه الصلاة والسلام ذات يوم :

ـ يا رسول الله كيف حبك لى ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ كعقدة الحبل

فعادت تتساءل :

ـ يا نبى الله كيف العقدة ؟

فيقول عليه الصلاة والسلام :

ـ على حالها

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ حوارى الزبير من الرجال ، وحوارى من النساء عائشة (رواه ابن عساكر عن الزبير بن بكار عن أبى الخير مرثد بن عبد الله مرسلا)

وقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ للرجال حوارى وللنساء حوارية ، فحوارى الرجال الزبير ، وحوارية النساء عائشة (رواه ابن عساكر عن يزيد بن أبى حبيب معضلاً)

*** حديث الإفك**

لم يعكر صفو حياة عائشة بنت أبى بكر فى بيت النبوة طيلة حياتها فى كنف صاحب الخلق العظيم ﷺ شىء سوى حادث الإفك ، تلك المحنة الكبرى . . .

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج فى سفر أو غزوة أقرع ـ أجرى القرعة ـ بين

أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرجت مع جيش رسول الله ﷺ .

ولما علم صاحب لواء الحمد ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون الجموع لقتاله بقيادة سيدهم وزعيمهم الحارث بن أبى ضرار ، قرر المبعوث للناس كافة ﷺ أن يباغتهم ويبادرهم بالهجوم قبل أن يباغتوا المدينة.

فأقرع النبى الخاتم ﷺ بين نسائه ، فخرج سهم عائشة فركبت هودجها وخرجت مع جيش رسول الله ﷺ .

ولقى أصحاب رسول الله ﷺ بنى المصطلق على ماء لهم يسمى المريسيع.

فكان قتال بينهما انتهى بهزيمة بنى المصطلق وسيقت نساؤهم سبايا .

وعاد خاتم النبيين ﷺ إلى مدينته هو وأصحابه ، فلما كانوا على مقربة منها نزل عليه الصلاة والسلام للراحة .

وقامت عائشة حين آذنوا بالرحيل فمشت حتى جاوزت جيش المسلمين . فلما قضت شأنها أقبلت إلى الرحل ـ الهودج ـ فلمست صدرها فإذا عقد لها من جزع ـ خرز يمانى ـ أظفار قد انقطع ، فرجعت فإذا به قد انسل منها فحبسها التماسه هنيهة ، ثم عادت إلى مكان هودجها فإذا الذين يحملون رحلها قد احتملوا هودجها على بعيرها التى كانت تركب وهم يحسبون أنها فيه ، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج ، فاحتملوه ، وكانت عائشة جارية حديثة السن ، وتهيبوا أن ينادوها أو يستوثقوا من وجودها فى الهودج . . وساروا

وعثرت عائشة على عقدها المفقود ، فجاءت منزلها فلم تجد فيه أحدًا ، فأقامت حيث هى ، وظنت أن أصحاب رسول الله ﷺ عندما يكتشفون غيابها سيرجعون إليها.

وبينما هى جالسة غلبتها عيناها فنامت

وكان صفوان بن المعطل السلمى ممن وراء جيش رسول الله ﷺ يتخلف عنه ليلتقط

ما سقط من متاع

فلما أصبح صفوان بن المعطل عند منزل عائشة رأى سواد إنسان نائم ، فأقترب منها ، وكان يراها قبل الحجاب ، فاستيقظت عائشة ، فجعل صفوان بن المعطل يسترجع ويعيد كأنه ينبهها بالاسترجاع :

ـ **إنا لله وإنا إليه راجعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون**

فقد كان صفوان بن المعطل يتهيب الحديث إلى أم المؤمنين عائشة .

ثم قرب البعير وقال :

ـ أمة قومى فاركبى

فركبت عائشة ، وأخذ صفوان بن المعطل بزمام البعير يقوده . . .

ولما بلغ جيش رسول الله ﷺ المدينة فى مطلع الصبح ، واقتيد بعير عائشة إلى مناخه أمام بيتها وأنزل الهودج فى رفق ، فإذا **عائشة ليست فيه** .

وظل نبى الرحمة ﷺ وأصحابه ساعة من نهار حائرين ، وانطلق بعض الصحابة فى الطريق يلتمسون بنت أبى بكر .

وأقبل صفوان بن المعطل السلمى يقود بعيره . .

واطمأن خاتم النبيين ﷺ عندما رأى عائشة بنت أبى بكر بخير ، وسمع حديثها وسبب تخلفها فما أنكر منه شيئًا .

ثم اشتكت عائشة ـ مرضت ـ

ووجدها عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين نهزة ـ فرصة ـ فراح يفح فى كل مجلس :

ـ والله ما نجت منه ـ صفوان بن المعطل ـ ولا نجا منها ـ عائشة ـ

وردد أناس من المسلمين ومنهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ ، ومسطح

ابن أثاثة قريب أبى بكر ، وحمنة بنت جحش حديث رأس المنافقين

ولما سمع صفوان بن المعطل قول حسان بن ثابت فى الإفك ركبه الخوف والغيظ والرعب فجاء وضرب حسان بن ثابت بالسيف ضربة على رأسه وقال :

تلق ذباب السيف عنى فإننى غلام إذا هوجيت ليس بشاعر

وبلغ الحديث المسموم سمع النبى ﷺ كما بلغ أذن عبد الله بن عثمان فصكها صكًا ، ولكن أحدًا لم يستطع أن يواجه عائشة بالشائعة الرهيبة .

تقول عائشة بنت أبى بكر :

وكان الذى تولى الإفك عبد الله بن أبى بن سلول ، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرًا والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك ، لا أشعر بشىء من وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى ، إنما يدخل على رسول الله ﷺ ويقول :

ـ كيف تيكم ؟

ثم ينصرف ، فذاك الذى كان يريبنى ولا أشعر حتى خرجت بعد ما نقهت ، فخرجت معى أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف ـ الكنيف : المرحاض ـ قريبًا من بيوتنا ، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطها ـ رداءها ـ

فقالت :

ـ تعس مسطح

فقالت عائشة :

ـ أتسبين رجلاً شهد بدرا ؟

قالت أم مسطح بن أثاثة :

ـ أى هنتاه أو لم تسمعى ما قال ؟

فتساءلت عائشة :

ـ وما قال ؟

فأخبرت أم مسطح عائشة بقول أهل الإفك

تقول أم المؤمنين عائشة :

ـ فازددت مرضًا على مرضى

ولما رجعت أم المؤمنين عائشة إلى بيتها ودخل عليها رسول الله ﷺ قال :

ـ كيف تيكم ؟

فقالت عائشة :

ـ أتأذن لى أن آتى أبوى ؟

وكانت حينئذ تريد أن تستيقن الخبر من قبل أمها وأبيها

فأذن النبى ﷺ لعائشة ، فجاءت أبويها فقالت :

ـ يا أماه ما يتحدث الناس ؟

قالت أم رومان بنت عامر :

ـ يا بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها .

فقالت عائشة :

ـ سبحان الله ، ولقد تحدث الناس بهذا ؟

تقول عائشة :

ـ وبكيت تلك الليلة حتى أصبحت ، لا يرقأ لى دمع ولا اكتحل بنوم حتى أصبحت أبكى .

ودعا إمام الخير ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث ـ تأخر ـ

الوحى يستشيرهما فى فراق أهله - عائشة -

فأشار أسامة بن زيد بن حارثة على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله ، وبالذى يعلم لهن فى نفسه من الود فقال :

- يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيراً .

أما على بن أبى طالب فقال :

- يا رسول الله لم يضيق عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية - بريرة خادمة عائشة - تصدقك

فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال :

- أى بريرة هل رأيت من شىء يريبك ؟

قالت بريرة :

- لا والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا أغمصه - أستصغره - عليها من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن - طيور المنزل كالدجاج - فتأكله .

فقام رسول الله ﷺ يومئذ فاستعذر من عبد الله بن أبى بن سلول فقال على المنبر :

- يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى ؟ فو الله ما علمت على أهلى إلا خيرًا ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً - صفوان بن المعطل السلمى - وما كان يدخل على أهلى إلا معى (أخرجه البخارى ، ومسلم عن عائشة) .

ودخل رسول الله ﷺ على عائشة وهى تبكى فقال :

- أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت ذنبًا فاستغفرى الله وتوبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله

تاب الله عليه (رواه البخارى ومسلم عن عائشة) .

فلما قضى خاتم الأنبياء ﷺ ما قالته فاض دمع عائشة حتى ما أحست منه قطرة .

فقالت لأبيها :

ـ أجب عنى رسول الله ﷺ فيما قال

فقال عبد الله بن عثمان :

ـ والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ ؟ ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على ؟ والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا فى الإسلام ؟

فقالت عائشة لأمها أم رومان :

ـ أجيبى رسول الله ﷺ

فقالت أم رومان بنت عامر :

ـ ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ ؟

فقالت عائشة :

ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقول كثيراً من القرآن ـ لا أقرأ كثيرًا من القرآن ـ إنى والله قد علمت ولقد سمعت هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم أنى بريئة لا تصدقون بذلك

ولئن اعترفت لكم بأمر الله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى ، والله لا أجد مثلاً إلا قول أبى يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية:١٨] .

ثم تحولت فاضطجعت على فراشها وهى حينئذ أعلم أنها بريئة وأن الله مبرئها براءتها .

تقول عائشة :

ـ ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيا ـ قرآنًا ـ يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها ، فوالله ما رام رسول الله ﷺ ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه ينحدر منه مثل الجمان ـ اللؤلؤ ـ من العرق وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى ينزل عليه ، فلما سرى عن رسول الله ﷺ كان أول كلمة تكلم بها قال :

ـ **أبشرى يا عائشة أما الله عز وجل قد برأك** (أخرجه البخارى عن عائشة) .

فقالت أم رومان بنت عامر فى فرح :

ـ **قومى إليه**

فقالت عائشة :

ـ والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله عز وجل

وأنزل العليم الخبير : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة النور الآية : ١١ ـ ١٨] (رواه البخارى) .

لقد برأ العزيز العليم أم المؤمنين **عائشة** من فوق سبع سموات فخرجت من محنة

الإفك بشهادة ربانية لا تمحوها الأيام ولا تبليها الأعوام قرآن يتلى إلى يوم يبعثون ، فزاد مكانتها فى قلب ونفس حبيب الرحمن ﷺ .

*** من دعاء إمام الخير ﷺ**

تقول أم المؤمنين عائشة :

ما رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء إلا قال :

يا مصرف القلوب ثبت قلبى على دينك (رواه الحاكم فى المستدرك) .

وتقول الصديقة بنت الصديق :

إن رسول الله ﷺ علمنى هذا الدعاء :

اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم .

اللهم إنى أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك ، وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبدك ونبيك اللهم إنى أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، وأسألك أن تجعل كل قضاء تقضيه لى خيرًا (رواه ابن أبى شيبة فى المنصف) .

وأتى رجل من أهل البصرة النبى ﷺ بهدية وعائشة قائمة تصلى فأعجبه أن تأكل معه فقال :

يا عائشة اجمعى وأوجزى وقولى : اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ، وما قضيت من قضاء فبارك لى فيه ، واجعل عاقبته إلى خير (رواه ابن أبي شيبة) .

وتقول عائشة :

كان النبى ﷺ يقول : اللهم عافنى فى بصرى واجعله الوارث منى ، لا إلـه إلا الله الحليم الكريم رب العرش العظيم (رواه ابن النجار) .

ودخل أبو بكر على رسول الله ﷺ فأراد أن يكلمه بشىء يخفيه من عائشة ، وعائشة تصلى ، فقال لها النبى ﷺ :

يا عائشة عليك بالكوامل الجوامع

فلما انصرفت عائشة سألته عن ذلك ، فقال لها قولى :

اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم ، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم ، وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأستعيذك مما أستعاذ منه عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا (رواه الحاكم فى المستدرك) .

وتقول أم المؤمنين عائشة :

سمعت رسول الله ﷺ يدعو ويقول : اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ، ومن فتنة النار وعذاب النار ، ومن شر فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال .

اللهم اغسل عنى خطاياى بالماء والثلج والبرد ، ونق قلبى من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب (رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه عن عائشة) .

تقول أم المؤمنين عائشة :

كان رسول الله ﷺ إذا سلم ـ عقب الانتهاء من الصلاة ـ قال : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام (رواه البزار) .

وتقول الصديقة بنت الصديق :

كان النبى ﷺ يقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام (رواه ابن عساكر) .

قالت عائشة :

إن النبى ﷺ إذا رأى ما يسر قال : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . وإذا رأى شيئا مما يكره قال : الحمد لله على كل حال (رواه ابن النجار) .

وقالت أم المؤمنين عائشة :

قال رسول الله ثلاث ساعات للمرء المسلم ، ما دعا فيهن إلا استجيب له ما لم يسأل قطعية رحم أو مأثما : حين يؤذن المؤذن للصلاة ، حتى يسكت ، وحين الصفان حتى يحكم الله بينهما ، وحين ينزل المطر حتى يسكن (رواه أبو نعيم فى الحلية عن عائشة).

تقول بنت أبى بكر :

قال النبى ﷺ : أفضل الدعاء دعاء المرء لنفسه (رواه الحاكم فى المستدرك عن عائشة) .

وقالت أم المؤمنين عائشة :

قال رسول الله ﷺ : إذا قال العبد : يارب يارب قال الله : لبيك عبدى ، سل تعط (رواه ابن أبى الدنيا فى الدعاء عن عائشة) .

* أم عبد الله

قالت عائشة يوما :

يا رسول الله إن جميع صويحباتى ـ تعنى أزواج رسول الله ﷺ ـ كُنى فقال السراج المنير ﷺ :

ـ تكنى باسم ابنك عبد الله ـ ابن أختها أسماء بنت أبى بكر ـ ابن الزبير

* آية التخيير

كانت الصديقة بنت الصديق تحب رسول الله ﷺ حبا عظيما . . أتاها يوما فقال

لها :

أنى سأعرض عليك أمرًا فلا عليك أن تعجلى به حتى تشاورى أبويك

فتساءلت أم المؤمنين عائشة :

فتلى عليها إمام الخير ﷺ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ٢٨، ٢٩].

فقالت الصديقة بنت الصديق :

فى أى ذلك تأمرنى أن أشاور أبوى وقد أعلم والله أن أبوى لم يكونا ليأمرانى بفراقك بل أريد الله ورسوله والدار والآخرة .

فسر إمام الزاهدين ﷺ بذلك وأعجبه وقال :

سأعرض على صواحبك ـ باقى زوجاته ـ ما عرضت عليك

*** الصديقة بنت الصديق فى جيش رسول الله ﷺ**

خرجت عائشة مع النبى ﷺ وأصحابه حتى إذا كانوا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لعائشة فأقام النبى ﷺ على التماسه ، وأقام أصحابه معه وكانوا ليس على ماء ، فأتى القوم إلى أبى بكر فقالوا :

ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت النبى ﷺ وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ قد وضع رأسه على فخذى عائشة وقد نام .

فقال الصديق لابنته :

ـ حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ؟

وعاتب أبو بكر ابنته ماشاء الله أن يقول ، وجعل يطعنها بيده فى خاصرتها ولا

يمنعها من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذيها

فقام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء فنزل قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٦] .

لقد نزلت آية التميم

فقال أسيد بن حضير :

ـ ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر

ولما قامت عائشة وبعثت البعير الذى كانت عليه وجدت عقدها المفقود تحته

*** أين يكون الناس ؟**

سألت أم عبد الله إمام الخير ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ [سورة إبراهيم الآية : ٤٨] ، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله ؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

على الصراط (أخرجه ابن ماجه ، ومسلم ، والترمذى عن عائشة) .

فقالت عائشة :

يا نبى الله من أزواجك فى الجنة ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ أنت منهن

*** وفاة رسول الله ﷺ**

قبض رسول الله ﷺ وكانت عائشة بنت ثمانى عشرة سنة

ولما بايع المسلمون أبا بكر خليفة قال لابنته عائشة :

ـ إنى قد نحلتك ـ أعطيت ـ حائطا ـ بستانا وإن فى نفسى منه شيئا فرديه إلى الميراث

فقالت أم عبد الله :

أفعل (رواه البيهقى ، وابن أبى شيبة ، وعبد الرزاق فى مصنفه) .

* فى عهد الفاروق

قدر أصحاب رسول الله حب رسول الله ﷺ لعائشة حق قدره ، فلما قسم أمير المؤمنين عمر خيبر خير أزواج رسول الله ﷺ بين أن يقطع لهن من الأرض أو يضع لهن المائة وسق من التمر كل عام فقالت عائشة وحفصة بنت عمر :

ـ نريد المائة وسق كل عام

ولما فتح سعد بن أبى وقاص المدائن ـ مستقر كسرى ـ وغنم ، أراد الفاروق أن يقسم الخمس فأعطى أمهات المؤمنين عشرة آلاف درهم وزاد عائشة بنت أبى بكر وقال :

ﷺ (رواه الخرائطى فى اعتلال القلوب) .

* عائشة الفقيهة

كانت عائشة كبيرة محدثات عصرها ونابغته من الذكاء والفصاحة ، فكانت عاملاً كبيراً ذا تأثير عميق فى نشر تعاليم خاتم الأنبياء ﷺ . فقد نقل ربع أحكام الشريعة عنها .

وكان العلم من أبرز صفات الصديقة بنت الصديق ، إذا بلغ ذروة الإحاطة والنضج فى مختلف ما اتصل بالدين من قرآن وتفسير وحديث

وكان كبار الصحابة إذا أشكل عليهم الأمر فى قضية من القضايا يستفتون أم عبد الله فيجدون عندها علمه

يقول مسروق بن الأجدع :

ـ رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ يسألونها عن الفرائض

وقال الزهرى :

ـ لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل

وكانت الصديقة فى عهد أمير المؤمنين عمر تفتى

* اكتبى إلى ولا تكثرى

كتب معاوية بن أبى سفيان إلى الصديقة بنت الصديق وقال لها :

ـ اكتبى إلى ولا تكثرى

فكتبت أم عبد الله تقول :

سلام عليك

أما بعد

فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس (أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد عن عائشة) .

والسلام عليكم

وبعث معاوية إلى عائشة بطبق من ذهب فيه جوهر قدر بمائة ألف درهم فقسمته بين أزواج النبى ﷺ ، فقد كانت الصديقة كثيرة الصدقات

* وفاتها

توفيت أم المؤمنين عائشة فى ليلة الثلاثاء لسبع مضين من رمضان سنة سبع وخمسين من الهجرة فصلى عليها أبو هريرة

ودفنت مع أزواج النبى ﷺ وكان عمرها يومئذ سبعًا وستين سنة .

* * * *

جميل بنت يسار

كانت رائعة الحسن فخطبت إلى أخيها معقل بن يسار ولكنه منعها الناس هل رأى عدم رغبتها ؟ هل لمس عدم موافقتها ؟ هل كان يعلم أن ابن عمه أبا البداح يريد أن يتزوج وأن أخته لها ميلا لأبى البداح ؟

وتقدم أبو البداح لخطبة جميل بنت يسار .. ووافق معقل .. وبعثت جميل إلى أم المؤمنين عائشة تطلب منها فستان زفاف - درع قطر ثمنه خمسة دراهم - فما كانت تقين - تزين - بالمدينة عروس إلا أرسلت أم المؤمنين عائشة تستعيره .

وزفت جميل بنت يسار إلى أبى البداح .. وفى تلك الليلة تزوج رجل بامرأة فسقط شعرها فسأل معقل بن يسار رسول الله - ﷺ - عن الوصل فلعن النبى - ﷺ - الواصلة والمستوصلة .

يقول معقل بن يسار : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **ليس من يوم يأتى على ابن آدم إلا ينادى : يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا عليك شهيد فاعمل خيرًا فى أشهد لك غدًا وإنى لو قد مضيت لن ترانى أبدًا** » .

ويقول الليل مثل ذلك (رواه أبو نعيم عن معقل بن يسار) .

ويقول معقل بن يسار : حدثنا رسول الله - ﷺ - فقال : « **يقول ربكم : يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ قلبك غنى وأملأ يديك رزقا يا ابن آدم لا تباعد منى فأملأ قلبك فقرًا وأملأ يديك شغلا** » .

ودخل معقل بن يسار على أخته جميل فسألته : ماذا نزل اليوم من القرآن ؟ فقال معقل بن يسار : لم ينزل اليوم نور من السماء ولكن قال لنا نبى الرحمة - ﷺ - : «**إن الله تعالى كره لكم ثلاثًا : قيل وقال . وكثرة السؤال ، وإضاعة المال** » (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن معقل بن يسار) .

ثم قال معقل : قال الصادق المصدوق - ﷺ - : « **إن الله تعالى كره لكم ثلاثًا : عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات** » (رواه الطبراني في الكبير عن معقل بن يسار) .

وكان معقل بن يسار ينصح بالزواج من الولود الودود فيقول : قال رسول الله - ﷺ - : « **تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة** » (رواه الخطيب وابن النجار عن عمر) .

وجاء عبد الله بن عمرو إلى أبي البداح فسأله جميل بنت يسار عن معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [سورة الإسراء الآية : ٤٤] .

فقال : نهى رسول الله - ﷺ - عن قتل الضفدع وقال : « **نقيقها تسبيح** » .

فقالت جميل بنت يسار : وماذا قال أبو عبد الله في قوله تعالى : ﴿ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ ؟

قال عبد الله بن عمرو بن العاص : ما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات . . وقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

ثم أردف عبد الله بن عمرو : إن الرجل إذا قال : لا إله إلا الله فهي **كلمة الإخلاص** التي لا يقبل الله من أحد عملاً حتى يقولها وإذا قال : الحمد لله فهي **كلمة الشكر** التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها وإذا قال : الله أكبر فهي تملأ ما بين السماء والأرض وإذا قال : سبحان الله فهي **صلاة الخلائق** التي لم يدع الله أحدًا من خلقه إلا قرره بالصلاة والتسبيح . وإذا قال : لا حول ولا قوة إلا بالله قال : **أسلم عبدي واستسلم** .

وأتى النبي - ﷺ - أعرابي عليه جبة من طيالسة مكفوفة بديباج - مزررة بديباج - فقال : إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع ابن راع ويضع كل رأس ابن رأس .

فقام إليه رسول الله - ﷺ - مغضبًا فأخذ بمجامع جبته فاجتذبه وقال : « لا أرى عليك ثياب من لا يعقل » .

ثم رجع النبى - ﷺ - فجلس وقال : « إن نوحًا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا بنيه فقال : إنى قاص عليكما الوصية آمركم باثنتين وأنهاكم عن اثنتين أنهاكم عن الشرك بالله والكبر وآمركم بلا إلـه إلا الله فإن السموات والأرض وما فيهما لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لا إلـه إلا الله فى الكفة الأخرى كانت أرجح ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إلـه إلا الله عليهما لقصمتهما وآمركم بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شيء » .

وسألت جميل بنت يسار زوجها أبا البداح : متى عهدك - تعنى عهده بالنبى - ﷺ - ؟

فقال أبو البداح : مالى به عهد منذ البارحة .

فقالت جميل بنت يسار : كيف . . ؟

فوضع أبو البداح يده على فيها وقال : أنت تعرفين السبب .

كان يصلى خلف رسول الله - ﷺ - ثم ينطلق إلى داره وكان رسول الله - ﷺ - يتصفح وجوه أصحابه عقب الصلاة . . فلم يره فتساءل : أين أبو البداح ؟ قالوا : عندما ينتهى من صلاته ينطلق إلى داره .

فأخبر أبو القاسم - ﷺ - أصحابه أن يخبروا أبا البداح أن رسول الله - ﷺ - يريده . . فلما ذهب أبو البداح إلى مسجد رسول الله - ﷺ - وصلى خلفه وهم بالانصارف قال أصحاب النبى - ﷺ - : سأل رسول الله - ﷺ - عنك وهو يريدك .

فجلس أبو البداح . . فأقبل نبى الرحمة - ﷺ - وقال : ما بالك يا أبا البداح إذا فرغت من صلاتك أسرعت إلى دارك ؟

قال أبو البداح : يا نبى الله أنا وزوجى نملك ثوبًا واحدًا أرتديه ثم آتى إلى المسجد فأصلى فإذا فرغت من صلاتى انطلقت إلى دارى فأخلعه وترتديه زوجى فتصلى فى

وقتها .

فدعا رسول الله - ﷺ - لهما بخير .

ولما رجع أبو البداح لقيته جميل بنت يسار غاضبة : لماذا تأخرت هكذا ؟

قال أبو البداح : أخبرني أصحابي عقب الصلاة أن النبي - ﷺ - سأل عني وطلبوا مني ألا أغادر المسجد حتى ألقاه . . فلما رآني سألني عن سر عودتي عقب الصلاة على جناح السرعة فأخبرته .

فقالت جميل بنت يسار معاتبة : يا رجل أتشتكي الرزاق لرسول الله - ﷺ - ؟

ودخل معقل بن يسار يومًا على أبي البداح وأخته فقال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « المدينة مهاجري ومضجعي من الأرض وحق على أمتي أن يكرموا جيراني ما اجتنبوا الكبائر فمن لم يفعل ذلك سقاه الله عز وجل من طينة الخبال »

فتساءلت جميل بنت يسار : وما طينة الخبال ؟

قال معقل بن يسار : قال رسول الله - ﷺ - : « طينة الخبال : عصارة أهل النار » (رواه الدارقطني في الأفراد عن جابر ، والطبراني عن معقل)

وسألت جميل بنت يسار أخاها عن قول رسول الله - ﷺ - في الإمارة فقال معقل ابن يسار : قال رسول الله - ﷺ - : « ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد - ذو جهد ومشقة - لهم وينصح لم يدخل معهم الجنة »

ثم أردف معقل بن يسار : سمعت حبيبي - ﷺ - يقول : « أيما وال ولي شيئًا من أمر أمتي فلم ينصح لهم ويجتهد لهم كنصيحته وجهده لنفسه كبه الله على وجهه يوم القيامة في النار » .

ثم ختم معقل بن يسار قوله : سمعت أبا القاسم - ﷺ - يقول : « لا يسترعي الله عبدًا رعية فيموت يوم يموت وهو لها غاش إلا حرم الله عليه الجنة »

فقال أبو البداح : والقاضي ؟

قال معقل بن يسار : قال رسول الله - ﷺ - : « إن الله مع القاضي ما لم يحف

الحوف : الجور والظلم ـ عمدًا » .

وذات ليلة أراد أبو البداح أن يوقظ جميل بنت يسار فظلت نائمة فقال لها : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ـ إذا هو نام ـ ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها : عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** » (رواه البخارى عن أبى هريرة) .

فانتفضت جميل بنت يسار من نومها وقامت وذكرت الله ثم توضأت وراحت تصلى .

وسمع معقل بن يسار صوت بلال بن رباح فقال لأبى البداح وأخته جميل : سمعت رسول الله يقول : « **إن الله لا يأذن ـ يسمع ـ لشىء من أهل الأرض إلا لأذان المؤذنين والصوت الحسن بالقرآن** » (رواه الخطيب عن معقل بن يسار) .

ثم قال معقل : قال خاتم الأنبياء ـ ﷺ ـ : « **أيما قوم نودى فيهم بالأذان صباحًا كان لهم أمانًا من عذاب الله تعالى حتى يمسوا وأيما قوم نودى فيهم بالأذان مساء كان لهم أمانًا من عذاب الله حتى يمسوا** » .

وأمر رسول الله ـ ﷺ ـ معقل بن يسار ـ أن يقضى بين قومه فقال : يا رسول الله ما أحسن أن أقضى ؟

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إن الله مع القاضى ما لم يحف عمدًا ، إن الله مع القاضى ما لم يحف عمدًا . إن الله مع القاضى ما لم يحف عمدًا** » (رواه الإمام أحمد عن معقل بن يسار) .

وأتى خصمان رسول الله ـ ﷺ ـ فقال لأحد أصحابه : اقض بينهما ؟ فقال عقبة ابن عامر : بأبى أنت وأمى يا رسول الله أنت أولى .

قال أبو القاسم ـ ﷺ ـ : **اقض بينهما** .

فقال عقبة بن عامر : على ماذا يا رسول الله ؟

قال نبى الرحمة - ﷺ - : « **اجتهد فإن أصبت فلك عشر حسنات وإن أخطأت فلك حسنة** » .

وسألت جميل بنت يسار أخاها معقل : ما هى الآية التى لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داود غير رسول الله - ﷺ - ؟ فتبسم معقل بن يسار وقال ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ثم قال معقل بن يسار . ألا أخبرك بسنام القرآن وذروته ؟ .

فقال جميل بنت يسار : بلى .

قال معقل بن يسار :

قال رسول الله - ﷺ - :

« **البقرة سنام القرآن وذروته ونزل مع كل آية منها ثمانون ملكًا واستخرجت ﴿ الله لا إلـه إلا هو الحى القيوم ﴾ من تحت العرش فوصلت بها ويس قلب القرآن لا يقرأ بها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له واقرؤها على موتاكم** »

وسأل رسول الله - ﷺ - أصحابه يومًا : « **أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم** ؟ فقال أبو البداح وبعض الصحابة فى عجب : من يستطيع ذلك يا نبى الله ؟ فقال - ﷺ - : **أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾** ؟ »

ومات أحد الصحابة وكان حاملاً القرآن فقال رسول الله - ﷺ - : « **إذا مات حامل القرآن أوحى الله إلى الأرض أن لا تأكل لحمه قالت : إلـهى كيف آكل لحمه وكلامك فى جوفه** ؟ »

وكانت جميل بنت يسار تقرأ : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [سورة البروج الآية : ١ - ٣] . فنظر معقل بن يسار إليها وقال : اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا

استتاب الله له ولا يتسعيذ من شئ إلا أعاذه الله منه .

وسألت أم ميل بنت يسار أخاها معقل بن يسار عن فضل قراءة القرآن فقال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يارب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول : يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال: اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة » . . (رواه ابن حبان عن أبى هريرة) .

وسأل أبو البداح رسول الله ـ ﷺ ـ عن الجود فقال أبو القاسم ـ ﷺ ـ : «الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم إلا أن الله عز وجل خلق الجود فجعله فى صورة رجل وجعل رأسه راسخًا فى أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغضن منه أدخله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان فى الجنة وخلق الله البخل من مقته وعل رأسه راسخًا من الكفر والكفر فى أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر فى النار » . (رواه الخطيب وهو ضعيف عن ابن عباس) .

وسألت امرأة من الأنصار جميل بنت يسار عن شئ فقالت : لا أعرف .

فقالت الأنصارية : كيف لا تعرفين ؟ ألا تذهبين إلى مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ ؟

فقالت جميل بنت يسار : من علم شيئًا فليقل به ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم فإن من العلم أن يقول المرءُ لما لا يعلم الله أعلم فإن الله عز وجل قال لنبينا ـ ﷺ ـ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [سورة ص الآية : ٨٦] .

ورأى أبو البداح جميل بنت يسار تحرك شفتيها فسألها : لم تحركى شفتيك ؟

قالت جميل بنت يسار : أسبح الله وأذكر الله تعالى .

فقال أبو البداح : أفلا أدلك على شئ هو أكبر من ذكرك الليل مع النهار والنهار مع الليل ؟

قالت جميل بنت يسار : بلى .

قال أبو البداح : قال رسول الله - ﷺ - : « قل الحمد لله عدد ما خلق والحمد لله ملء ما خلق والحمد لله عدد ما فى السموات والأرض والحمد لله عدد ما أحصى كتابه والحمد لله عدد كل شئ والحمد لله ملء كل شيء سبحان الله عدد كل شيء وسبحان الله عدد ما خلق وسبحان الله ملء ما خلق وسبحان الله عدد ما فى السموات والأرض وسبحان الله عدد ما أحصى كتابه وسبحان الله عدد كل شيء وسبحان الله ملء كل شئ » (رواه الروبانى وابن عساكر عن أبى إمامه) .

ثم قال أبو البداح : أمرنا رسول الله - ﷺ - أن نعلمها عقبانا من بعدنا .

وسألت جميل بنت يسار أبا البداح : أخبرنى بأفضل الذكر ؟

قال أبو البداح : قال رسول الله - ﷺ - : « أفضل الذكر : لا إلـه إلا الله »

فقالت جميل بنت يسار : وأفضل الدعاء ؟

قال أبو البداح : قال رسول الله - ﷺ - : « أفضل الدعاء الحمد لله »

وحدث رسول الله - ﷺ - يومًا أصحابه فقال : « جددوا إيمانكم فتساءلوا : وكيف نجدد إيماننا ؟ ، قال طبيب القلوب والعقول - ﷺ - : أكثروا من قول : لا إلـه إلا الله » .

وطلق أبو البداح جميل بنت يسار طلاقًا رجعيًا حتى انقضت عدتها .. ثم جاء فخطبها مع الخطاب فحمى معقل بن يسار من ذلك أنفًا وقال له : منعتها الناس وزوجتك إياها ، طلقتها طلاقًا له رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت إلى أتيتنى مع الخطاب ؟

قال أبو البداح : يابن عم إننى . . .

فقاطعه معقل بن يسار : لا والله يا لك ابن لكع اكرمتك بها وزوجتها فطلقتها والله لا ترجع إليك أبدًا .

فخرج أبو البداح حزينًا تلدغه عقارب الندم .. فقال معقل بن يسار لأخته : خلى عنك وهو يقدم ثم يخطبك ؟ لا .. وجهى من وجهك حرام إذا تزوجتيه .

ثم قال معقل لأخته : أذكرك بقول رسول الله - ﷺ - : « **لا نكاح إلا بولى مرشد وشاهدى عدل ، لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فإن الزانية هى التى تزوج نفسها** » (رواه الديلمى) .

فبكت جميل بنت يسار فأدرك معقل بن يسار رغبة أخته فى العودة إلى أبى البداح ولكنه أخذ يرغى ويزيد .

ورأى عبد الله بن عمرو بن العاص أبا البداح حزينًا كئيبًا فسأله : ما بك يا أبا البداح ؟

فأخبره بما حدث مع معقل بن يسار .. فقال : اذهب إلى رسول الله - ﷺ - .

رسول الله - ﷺ - كيف غاب عنه ذلك ؟ انطلق أبو البداح إلى طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ فأخبره .. فدعا رسول الله - ﷺ - معقل بن يسار .. فلما جاء قال : **إن كنت مؤمنًا فلا تمنع أختك عن أبى البداح .**

فقال معقل بن يسار : آمنت بالله .

ونزل قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٢] .

لقد حل القرآن الكريم هذه المعضلة حلاً عادلاً كريمًا من فوق سبع سموات .. وقرأ رسول الله - ﷺ - الآية على معقل بن يسار .. فترك معقل الحمية وانقاد لأمر الله تعالى وكفر عن يمينه وزوج أخته جميل بنت يسار من أبى البداح .

* * * *

أم حرام بنت ملحان

شهيدة البحر قتلتها دابتها

*** نسبها**

هى أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى النجار الأنصارى

أخت أم سليم بنت ملحان ـ أم خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك ـ فهى خالة أنس بن مالك

وهى زوج الصحابى الجليل عبادة بن الصامت

*** إسلامها**

أسلمت أم حرام بنت ملحان هى وزوجها عبادة بن الصامت الذى كان أحد النقباء ليلة العقبة وبايعت أم حرام النبى ﷺ

*** النبى الخاتم ﷺ فى بيت أم حرام بنت ملحان**

كان السراج المنير ﷺ يكرم أم حرام بنت ملحان ويزورها فى بيتها ويقيل ـ ينام وقت القيلولة ـ عندها وكانت تطعمه ﷺ

وذات يوم دخل عليها فأطعمته وجلست تفلى رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك فقالت :

ـ يا رسول الله ما يضحكك ؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ عرض على ناس من أمتى يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة

فقالت أم حرام بنت ملحان :

ـ يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ إنك منهم

ودعا لها بالشهادة

* روايتها لأحاديث صاحب الشفاعة ﷺ

روت أم حرام بنت ملحان عن أبى القاسم ﷺ خمسة أحاديث

وروى عنها : ابن أم حكيم بنت الزبير ، وأنس بن مالك ، وعمير بن الأسود العنسى ، يعلى بن شداد بن أوس ، وعطاء بن يسار ، وزوجها عبادة بن الصامت

* موتها

خرجت أم حرام بنت ملحان مع زوجها عبادة بن الصامت غازية البحر فى إمارة معاوية بن أبى سفيان وخلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فلما وصلوا إلى جزيرة قبرس خرجت أم حرام بنت ملحان من البحر فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها ، فماتت ودفنت فى قبرس سنة تسع وثلاثين

وقيل : سنة سبع وثلاثين من الهجرة

فتحققت نبوءة خاتم النبيين ﷺ . . وماتت شهيدة

* * * *

صفية بنت حيى بن أخطب

زوجة النبى ﷺ فى الجنة

من سبط هارون بن عمران أخى موسى عليهما السلام

كان اسمها زينب

كانت تحت سلام بن مشكم القرظى ثم فارقها

ثم تزوجها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النضرى

* زواجها بالمصطفى ﷺ

لما فتح الله خيبر ، قتل كنانة بن الربيع وسبيت زينب بنت حيى بن أخطب ، وصارت فى سهم **الصحابى الجليل دحية بن خليفة الكلبى**

فقيل لأبى القاسم ﷺ :

فأخذها النبى عليه الصلاة والسلام من دحية وعوضه عتقها سبعة أرؤس . **وسماها صفية** ـ من الصفى ـ

فلما طهرت تزوجها خاتم النبيين ﷺ ، **وجعل عتقها صداقها**

يقول أنس بن مالك :

ـ دفع النبى ﷺ زينب بنت حيى بن أخطب إلى أم سليم حتى تهيئها وتزينها ، وتعتد عندها

وكانت وليمته السمن والأقط والتمر

* نحن خير من صفية

كانت أم المؤمنين صفية بنت حيى بن أخطب حليمة عاقلة فاضلة

دخل عليها النبى ﷺ ذات يوم فوجدها تبكى فسألها :

- ما يبكيك ؟

قالت صفية بنت حيى بن أخطب :

- بلغنى أن عائشة وحفصة تنالان منى وتقولان : نحن خير من صفية نحن بنات عم رسول الله ﷺ وأزواجه

فقال الذى لا ينطق الهوى ﷺ :

- ألا قلت لهن : كيف تكونان خيرًا منى وأبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد ؟ (رواه الحاكم فى المستدرك عن صفية) .

* شدة حبها للنبى ﷺ

لما اشتد وجع خاتم النبيين ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه قالت صفية بنت حيى بن أخطب :

- والله يا نبى الله لوددت أن الذى بك بى

فغمزها أزواجه

فأبصرهن إمام الخير ﷺ فقال :

- مضمضن

قلن :

- من أى شىء ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

- من تغامزكن والله إنها لصادقة (أخرجه ابن سعد)

*** اذهبى فأنت حرة**

انطقت جارية أم المؤمنين صفية بنت حيى بن أخطب إلى أمير المؤمنين عمر فقالت

له :

ـ إن صفية تحب السبت وتصل اليهود

فبعث الفاروق إلى أم المؤمنين صفية ، فلما جاءت سألها فقالت :

ـ أما السبت فإنى لم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة ، وأما اليهود فإن لى فيهم رحما فأنا أصلهم

ثم سألت أم المؤمنين صفية جاريتها :

ـ ما حملك على هذا ؟

قالت الجارية :

ـ الشيطان

فقالت أم المؤمنين صفية :

ـ اذهبى فأنت حرة

*** أم المؤمنين صفية تبعث بالماء إلى ذى النورين**

لما حاصر المتمردون بيت أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ومنعوا عنه الماء ، فوضعت أم المؤمنين صفية بنت حيى بن أخطب معبرا بين منزلها ومنزل ذى النورين فكانت تنقل إليه الماء والطعام

*** وفاتها**

توفيت أم المؤمنين صفية بنت حيى بن أخطب سنة اثنين وخمسين من الهجرة فى عهد معاوية بن أبى سفيان

فدفنت فى البقيع مع زوجات النبى ﷺ

* * * *

خديجة بنت خويلد

خير نساء العالمين

* نسبها

هى خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية

تزوجت عتيق بن عائذ سيد بنى مخزوم فولدت له جارية يقال لها هند ، فكانت تدعى أم هند ثم تزوجت هند بن النباش بن زرارة فولدت له هاله وهند ـ رجلان ـ

كانت تسمى الطاهرة ، سيدة نساء قريش

* زواج خديجة أمين قريش ـ ﷺ ـ

لما عادت العير من الشام ، أناخت تسعمائة راحلة موفرة الأحمال ، فأسرع ميسرة غلام خديجة إلى سيدة نساء قريش يبشرها بمقدم قافلتها التى تعدل قوافل مكة كلها ، وراح يحدثها عن الربح الوفير الذى حققه محمد بن عبد الله ـ ﷺ ـ فى رحلته إلى الشام

وأخذت خديجة تسمع لحديث غلامها ميسرة وهى شاردة عندما روى لها ما رآه من عجائب السحابة التى كانت تظلل ابن عبد الله ، قول نسطورا الراهب :

ـ ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى

وتذكرت الطاهرة الشريفة اللبيبة يوم أن احتفل نساء أهل مكة فى عيد لهن فى رجب . . كن لا يتركن شيئًا من إكبار العيد إلا أتينه ، فبينما هن عاكفات عند وثن مثل لهن فى هيئة رجل حتى صار منهن قريبًا ثم نادى بأعلى صوته :

ـ يا نساء تماء إنه سيكون فى بلدكن نبى يقال له : أحمد ، يبعث برسالة الله فأيما امرأة استطاعت أن تكون له زوجًا فلتفعل

لقد كان سادات وأشراف قريش ورؤساء القبائل يتهافتون على الزواج منها ،

ولكنها رفضت رفضاً مهذبًا ورغبت الطاهرة فى الزواج من محمد بن عبد الله - ﷺ - مما شاهده ميسرة من علامات النبوة

ودخلت عليها صديقتها نفيسة بنت منية فبعثتها دسيسا - خفية إلى محمد بن عبد الله بعد أن رجع من رحلة الشام بشهرين -

قالت نفسية بنت منية :

- يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟ هلا إلى تسكن إلى زوج تحنو عليك وتؤنسك وتزيل وحشتك ؟ فبم عزوفك عن الدنيا ؟

قالت محمد بن عبد الله - ﷺ - :

- ما بيدى ما أتزوج به

قال نفيسة بنت منية :

- فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تجيب ؟

فتساءل محمد بن عبد الله - ﷺ - :

- فمن هى ؟

قالت نفيسة بنت منية :

- خديجة

فقال محمد بن عبد الله - ﷺ - :

- وكيف لى بذلك ؟

قالت نفيسة بنت منية :

- على

فقال أمين قريش :

- فأنا أفعل

وتزوج محمد - ﷺ - خديجة بنت خويلد ، وكانت فى الأربعين من عمرها ، وأمين قريش فى الخامسة والعشرين

*** ورقة بن نوفل يتنبأ لأمين قريش بالنبوة**

ذكرت الطاهرة لابن عمها ورقة بن نوفل - كان نصرانيًا وقد قرأ كتب أهل الكتاب، وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب نسطوراً ، وما كان يرى منه إذا كان الملكان يظللانه

فقال ورقة بن نوفل :

- لئن كان حقا يا خديجة أن محمدًا لنبى هذه الأمة

*** أولاد محمد - ﷺ - من خديجة**

ولدت خديجة بنت خويلد : القاسم وكان يكنى به أمين قريش

وأكبر بناته رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة

*** فى غار حراء .. وجبريل عليه السلام**

لما قاربت سنه الأربعين حبب إلى محمد بن عبد الله - ﷺ - الخلاء فكان يأخذ السويق والماء ويذهب إلى غار حراء فى شهر رمضان ، يطعم من جاءه من المساكين ، ويقضى وقته فى العبادة والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون ، وفيما وراءها من قدرة مبدعة ، وكان مستنكرًا لما عليه قومه من عقائد الشرك المهلهلة ، فإذا انقضى شهر رمضان انصرف إلى الكعبة فيطوف بها سبعًا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى دار خديجة .

وأصبح محمد بن عبد الله - ﷺ - لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح فلا يشك فيها أحد كما يشك فى ضياء الصبح ونوره .

ومات القاسم فحزن محمد - ﷺ - وخديجة حزنا شديدا

ورأى أمين قريش ذات ليلة رؤيا فشق عليه فقد رأى أن قلبه قد أخرج فطهر وغسل

ثم أعيد كما كان ، فلم يجد أحدًا يخبره بذلك إلا زوجته خديجة فقالت :

ولما بلغ الأربعين من عمره وكان شهر رمضان نزل عليه جبريل عليه السلام وقال له :

﴿ اقرأ ﴾

ولما خرج محمد بن عبد الله ﷺ من غار حراء سمع صوتا من السماء يقول :

ـ يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل

* أبشر يا ابن العم

رجع محمد ﷺ إلى داره مذعورًا حائرًا ، من يحدث ؟ ليس أمامه إلا زوجته الحكيمة فحدثها بالذى سمع وبالذى رأى

فقالت الطاهرة :

ـ أبشر يا ابن العم فوالذى نفس خديجة لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة

فنزلت كلمات خديجة على قلبه بردًا وسلامًا فقال ﷺ :

ـ يا خديجة والله ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئًا ولا الكهان وإنى أخشى أن أكون كاهنًا

فقالت الطاهرة فى حزم :

ـ كلا يا ابن العم لا تقل ذلك فإن الله لا يفعل بك أبدًا إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدى الأمانة ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الدهر ، وإن خلقك الكريم

* خديجة بنت خويلد أول من آمن

لما قام أبو القاسم ﷺ للأمر العظيم الذى ينتظره والعبئ الثقيل المهيأ له واصطفاه

الواحد الأحد . . آمنت خديجة فكانت أول من نطق بشهادة الحق :

ـ أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله

* فضائلها

كانت خديجة وزير صدق ونعم القرين تنفق مالها فى سبيل الله

قال المبعوث للناس كافة ﷺ :

ـ أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون (رواه الإمام أحمد ، والطبرانى فى الكبير ، والحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عباس)

وقال السراج المنير ﷺ :

ـ خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون (أخرجه الترمذى كتاب المناقب ، والإمام أحمد ، والحاكم فى المستدرك عن أنس) .

وقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

أربع نسوة سادات عالمهن : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون،وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد وأفضلهن عالما فاطمة (رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن عبد الله بن عباس) .

* بشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب

أتى جبريل ﷺ خاتم النبيين ﷺ ذات يوم وقال له :

هذه خديجة أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب (رواه البخارى ومسلم) .

تقول أم المؤمنين عائشة :

ـ ما حسدت أحداً ما حسدت خديجة وما تزوجني رسول الله ﷺ إلا بعد ما ماتت

وتقول بنت أبي بكر :

ما غرت على أحد من أزواج النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما بي أن أكون أدركتها وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله ﷺ لها ، وإن كان ليذبح الشاة فيتتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهن (رواه البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة) .

* * *

أم عطية الأنصارية

*** نسبها**

هى نسيبة بنت الحارث

كانت تغسل الموتى بمدينة رسول الله ﷺ

*** إسلامها**

أسلمت وبايعت النبى عليه الصلاة والسلام وهى من كبار نساء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

*** مع رسول الله ﷺ**

*** يوم أحد**

خرجت أم عطية الأنصارية مع جيش رسول الله ﷺ تصنع لأصحابه الطعام وتخدمهم فى رحالهم وتداوى الجرحى وتقوم على المرضى .

*** يوم الحديبية**

فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة رأى خاتم النبيين ﷺ فى النوم أنه دخل مكة هو وأصحابه محلقين رءوسهم ومقصرين ، وأنه دخل البيت وأخذ مفتاحه ، وطاف هو وأصحابه مع الطائفين .

وفى السحر قبل أن يؤذن بلال بن رباح الفجر خرج الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ متهلل الوجه تغمره سعادة عارمة .

وأخبر صاحب الخلق العظيم ﷺ أصحابه أنه يريد الخروج للعمرة فخفقت القلوب بالسرور وتهللت الوجوه بالفرح وقاموا ليتجهزوا للسفر

واستنفر أبو القاسم ﷺ العرب ومن حوله من البوادى من الأعراب ليخرجوا معه

وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت الحرام

وخرجت أم عطية الأنصارية مع أم المؤمنين أم سلمة مع جيش رسول الله ﷺ .

وقد تحقق ما كان يخشاه النبى عليه الصلاة والسلام فقد صده سادات قريش عن البيت الحرام

وعقدوا صلح الحديبية

*** يوم خيبر**

سمح نبى الرحمة ﷺ لعشرين امرأة من نساء الصحابة بالخروج مع الجيش لمساعدة المحاربين فى الاسعاف واغاثة الجرحى بالماء والطعام أثناء القتال ، وكان من بين هؤلاء النسوة أم عطية ، وأم سليم ، وأم عمارة ، وصفية بنت عبد المطلب و . . و . .

قالت أم عطية الأنصارية :

- يا رسول الله نسوة قد أردن الخروج معك نعين المسلمين ما استطعنا

فقال المبعوث للناس كافة ﷺ :

- على بركة الله

*** بيعة النساء**

وخرجت أم عطية الأنصارية مع جيش النبى ﷺ يوم الفتح العظيم

تقول أم عطية :

شاهدت بيعة النساء ، ولما فرغ النبى ﷺ من بيعة النساء لم يصافحهن بل غمس يده فى إناء به ماء وأمرهن فغمسن أيديهن . . فكانت هذه البيعة

وشهدت نسيبة بنت الحارث غزوة حنين وحصار الطائف .

تقول أم عطية :

- غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات فكنت أصنع لهم طعامهم وأخدمهم فى

رحالهم وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى

* فى مجلس رسول الله ﷺ .

لما نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [سورة الأحزاب : الآية ٥٩]

فقد كانت من عادة العربيات التبذل ، وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء، وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن ، وتشعب الفكرة فيهن .

فلما نزلت هذه الآية أمر الله عز وجل الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حوائجهن ، وكن يتبرزن فى الصحراء قبل أن تتخذ الكنف ـ جمع كنيف وهو المرحاض ـ

الجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار

وقيل : هو الرداء

وقيل : هو القناع

والصحيح أنه الثوب الذى يستر جميع البدن

قالت أم عطية الأنصارية :

ـ يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب

قال نبى الرحمة ﷺ :

ـ لتلبسها أختها من جلبابها

* أم عطية تغسل زينب بنت رسول الله ﷺ

لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ زوجة أبى العاص بن الربيع ، قال أبو القاسم ﷺ لأم عطية وبركة بنت ثعلبة ومن معهما :

ـ اغسلنها وترا ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك ، واغسلنها بماء سدر

واجعلن فى الآخرة كافورا أو شيئا من كافور وإذا فرغتن فآذننى

تقول نسيبة بنت الحارث :

ـ فآذناه فألقى إلينا حقوه ـ إزاره ـ

وقال عليه الصلاة والسلام :

ـ أشعرنها إياه

تقول أم عطية الأنصارية :

ـ فضفرنا شعرها ثلاثة : قرنيها وناصيتها وألقينا خلفها مقدمتها .

*** أم عطية تهدى النبى ﷺ**

دخل أبو القاسم ﷺ ذات يوم على عائشة فقال له :

ـ هل عندكم من شىء ؟

قالت الصديقة بنت الصديق :

ـ لا إلا شىء بعثت به إلينا نسيبة ـ أم عطية ـ من الشاة التى بعثت إلينا

قال عليه الصلاة والسلام :

ـ إنها قد بلغت محلها

*** أم عطية ورواية حديث خاتم النبيين ﷺ**

روت نسيبة بنت الحارث عن المبعوث للناس كافة ﷺ أحاديث كثيرة منها :

حديث فى غسل آنية النبى ﷺ

وحديثها : أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرج فى العيدين وذوات الخدور

وحديث : كنا لا نعد الكدرة والصفرة بعد الطهر شيئا

وحديث : نهينا عن إتباع الجنائز

سلافة بنت سعد الأنصارية

انفجرت أم القرى بمشاعر الغضب وماجت بالغرابة والإستنكار عندما جهر محمد ابن عبد الله - ﷺ - بدعوته إلى عبادة الله عز وجل وتضليل المشركين وعبادة الأصنام. كيف ينفى ابن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - الألوهية عن اللات والعزى ومناة وهبل و . . . ؟ ماذا كان يعبد الأباء ؟ هل كانوا ضالين ؟ لو اتبع أهل مكة محمد بن عبد الله - ﷺ - هل يبقى لهم خيار فى أنفسهم وأموالهم ؟ هل يسلم أبو سفيان بن حرب باللواء والقيادة ؟ وهل يتنازل بنو طلحة عن مفتاح الكعبة والحجاجة ؟ هل يرضى سادات قريش بزوال سلطانهم وكبريائهم على العرب . . بسهولة و . . . ؟

وراح أشراف قريش يفكرون . . إنهم أمام رجل صادق أمين يدعو إلى مكارم الأخلاق . لو أن له نظير أو مثيل خلال فترة طويلة من تاريخ الأباء والأجداد؟

لم يكن أمام أشراف قريش إلا العناد والكبر والصلف و . . . محاربة الدعوة والدين الجديد بكل الطرق . . وضيقوا السبيل أمام محمد - ﷺ وأصحابه وراحوا يجادلونه ثم رموه تارة بالكذب والكهانة وأخرى بالسحر والجنون . . ولكن أصحابه لم يفتنوا وأصبح له أتباع فى كل قبيلة وأنصار فى يثرب . . وهاجر أصحابه إلى يثرب . . ثم لحق بهم محمدٌ - ﷺ - .

واستشعر سادات قريش خطر محمد - ﷺ - فقال أبو الحكم بن هشام : لو أخلد محمد وأصحابه إلى الراحة فلن ينسوا أن لهم بمكة أهلا وأمولاً ومراتع صباً وملاعب شباب

فقال أمية بن خلف : وقد يقطع علينا طريق تجارتنا إلى الشام .

فقال زمعة بن الأسود : دون ذلك أهوال وأهوال .

واعترض محمد - ﷺ - وأصحابه عير قريش القادمة من الشام فبعث أبو سفيان

ابن حرب إلى سادات قريش يستنفرهم .. فخرج أبو الحكم بن هشام على رأس جيش ليلقن محمدًا - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه درسًا لا ينسوه .. كانت وقعة بدر .. وصارت آذان أهل مكة آذانًا تتلهف لسماع أنباء النصر على المسلمين.. ولكن لفحت القلوب الصواعق ونزلت بكل بيت من بيوت مكة أحزان وكآبة ودموع وحسرة .. وخرجت قريش لتثأر ليوم بدر .. فكانت واقعة أحد .. وعادت لقريش كرامتها وثأرت لقتلى بدر .

وقدم مكة أشراف اليهود من بنى النضير وقالوا لسادات قريش : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ـ يعنون محمدًا ـ ﷺ ـ

وعقد اللواء فى دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة وقد ملأ الحقد والغيظ قلبه فأبوه طلحة قد قتل يوم أحد وكذا عمه عثمان بن أبى طلحة وأبو سعيد بن أبى طلحة وأخواته الأربعة : مسافع بن طلحة والحرث بن طلحة وكلاب بن طلحة والجلاس بن طلحة .

وأوغرت سلافة بنت سعد صدر ابنها عثمان بن طلحة حقدًا على محمد ـ ﷺ ـ وأتباعه فخرج وهو يتحرق شوقًا للقاء المسلمين وليثأر لأبيه وعمه وأخواته الأربعة .

كانت الأحزاب عشرة آلاف .. راحوا يزحفون إلى المدينة وما من أحد منهم يشك فى أنها جولة واحدة ثم يصبح محمد ـ ﷺ ـ وأصحابه كأمس الدابر .. من يستطيع أن يقف أمام صناديد قريش وفرسان العرب المتعطشين لدماء المسلمين ؟؟

ولكن قريش وقبائل العرب وقفوا مذهولين أمام خندق واسع عميق حال بينهم وبين الوصول إلى محمد ـ ﷺ ـ وأصحابه واجتياح المدينة .. ولجأت قريش إلى الخديعة والوقعية فبعد أربعة أسابيع خان بنو قريظة عهد محمد ـ ﷺ ـ وهموا بالسماح للأحزاب بدخول المدينة من موقعهم .. ولكن ريحًا صرصرًا باردة عاتية هبت على الأحزاب .. اقتلعت خيامهم وأكفأت قدورهم .. فنادى أبو سفيان بن حرب :
ـ الرحيل .. الرحيل .

ورجع الأحزاب يجرون أذيال الخيبة وأخذ الناس يتحدثون ويقولون : إن محمدًا ـ ﷺ ـ رجل ممنوع .

واستيقظت أم القرى ذات صباح على خبر خطير : لقد جاء محمد ـ ﷺ ـ وأصحابه .

فخرجت قريش تتحسس الخبر . . لقد قدم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه معتمرين . . وكان صلح الحديبية .

وإذا كان الحزن قد عرف قلب سلافة بنت سعد يوم أن مات زوجها وأربعة من أبنائها يوم أحد . . فإن صدرها طفح بالغيظ والألم لما علمت أن ابنها عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص تركوا أم القرى وراء ظهورهم وخرجوا إلى المدينة وتبعوا محمدًا ـ ﷺ ـ .

وجاء ابن عبد الله ـ ﷺ ـ ومعه عشرة آلاف ودخل مكة . . وحطم الأصنام ـ كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا لكل حى من أحياء العرب صنم قد شدت أقدامها بالرصاص ـ

وأرسل محمد ـ ﷺ ـ بلال بن رباح إلى عثمان بن طلحة يأتى بمفتاح الكعبة فجاء عثمان فقال : إنه عند أمى . .

فرجع بلال إلى محمد ـ ﷺ ـ فأخبره أن مفتاح الكعبة عند سلافة بنت سعد فبعث محمد ـ ﷺ ـ إليها رسولاً فقالت سلافة بنت سعد : لا ، واللات والعزى لا أدفعه أبدًا .

فقال عثمان بن طلحة : يا رسول الله أرسلنى أخلصه لك منها .

فقال محمد ـ ﷺ ـ: « اذهب إليها » .

فجاء عثمان إلى أمه وقال لها : أعطنى مفتاح الكعبة .

فقالت سلافة بنت سعد : لا واللات والعزى لا أوصله إليك أبدًا .

فقال عثمان بن طلحة : يا أماه ادفعيه إلَّى فإنه جاء أمر غير ما كنا عليه ، إن لم تفعلى قتلت أنا وأخى ـ شيبة بن طلحة ـ ويأخذه منك غيرى .

فأدخلت سلافة بنت سعد ابنها عثمان حجرتها وقالت وهى تتنهد تنهيدة حارقة : ـ أى رجل يدخل يده ههنا ؟ أنشدك الله أن يكون ذهاب بائرة قومك على يديك.

وكان محمد - ﷺ - قائمًا ينتظر حتى أنه لينحدر منه كالجمان من العرق فلما رأى أبو بكر وعمر بن الخطاب ذلك انطلقا إلى دار سلافة بنت سعد .

وبينما عثمان بن طلحة يحاور أمه إذ سمعت صوت أبى بكر وعمر فى دارها ورفع عمر صوته وهو يقول : يا عثمان اخرج .

فقالت سلافة بنت سعد : يا بنى خذ مفتاح الكعبة فإن تأخذه أحب إلى من تأخذه تيم ـ قوم أبى بكر ـ وعدى ـ قوم عمر بن الخطاب ـ

فأخذه عثمان ببشر واستقبله رسول الله - ﷺ - ببشر فأخذ منه المفتاح .

ولما أخذ النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مفتاح الكعبة قال : « ادعوا إلى عمر».

فجاء الفاروق فقال له النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومفتاح الكعبة فى يده : «هذا الذى قلت لكم » .

ودخل رسول الله - ﷺ - هو وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة الكعبة وكان خالد بن الوليد يذب الناس وهو واقف على بابها . فرأى أبو القاسم - ﷺ - فى الكعبة صور الملائكة وصور الأنبياء وصور مريم وإبراهيم وإسماعيل فى أيديهما الأزلام يستقسمان فقال رسول الله - ﷺ - : « قاتل الله قومًا يصورون ما لا يخلقون »

وأمر الصادق المصدوق - ﷺ - عمر وعثمان بن عفان أن يمحوا كل صورة فى البيت الحرام . فمحيت الصور وبقيت صورة إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقال النبى ـ ﷺ : « يا عمر ألم آمرك ألا تترك فيها صورة ؟ قاتلهم الله حيث جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِين﴾ » [سورة آل عمران الآية : ٦٧]

ودعا رسول الله ـ ﷺ ـ بدلو من ماء فأتاه أسامة بن زيد بدلو به ماء فجعل أبو القاسم ـ ﷺ ـ يمحو صورة إبراهيم ـ عليه السلام ـ. . ووجد حمامة من عيدان فكسرها بيده الشريفة وطرحها فى فناء الكعبة وكبر فى نواح البيت الحرام وصلى ركعتين بين العمودين اليمانيين وبينه وبين الجدار ثلاث أذرع . . وفتح باب الكعبة وكان أول من ولج عبد الله بن عمر فتتبع خطوات رسول الله ـ ﷺ ـ . . ووقف رسول الله ـ ﷺ ـ على باب الكعبة فقال : « **لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاي الحاج . ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها. يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم وآدم من تراب** » .

ثم تلا النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات الآية :١٣].

وأقبلت سلافة بنت سعد لتسمع ماذا سيقول محمد ـ ﷺ ـ ؟ ماذ سيصنع بالذين آذوه وأخرجوه من قريته ؟ هل سيضرب أعناقهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة ؟ سيقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ؟ هل سينفوا من الأرض ؟

وارتفع صوت رسول الله ـ ﷺ ـ : « **ماذا تقولون وماذا تظنون أنى فاعل فيكم؟** ».

نظر أهل مكة بعضهم إلى بعض وقالوا : نقول خيرًا ونظن خيرًا . أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت .

فقال محمد ـ ﷺ ـ : « **أقول كما قال أخى يوسف** ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[سورة يوسف الآية : ٩٢] . **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » .

ولم يصدق أهل مكة آذانهم ؟ هل قال محمد - ﷺ - **« اذهبوا فأنتم الطلقاء»** حقًا ؟ وتهللوا بالسرور لكأنما نشروا من القبور .

ثم جاء النبى - عليه الصلاة والسلام - إلى مقام إبراهيم وكان لاصقًا بالكعبة فصلى ركعتين ثم أخره حتى لا يعوق الطائفين .. ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها وقال: **«لولا أن تغلب بنو عبد المطلب على وظيفتهم لنزعت منها دلوًا »** .

كانت السقاية فى بنى عبد المطلب وكان عليها العباس فخشى رسول الله - ﷺ - أن ينزع من زمزم دلوًا فيقتدى الناس به ويغلبون بنى عبد المطلب على وظيفتهم .. وانتزع عمه العباس دلوًا فشرب رسول الله - ﷺ - منه وتوضأ فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم .

وجلس النبى - عليه الصلاة والسلام - فى المسجد والناس حوله فقام على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجاج مع السقاية .

فتساءل رسول الله - ﷺ - **« أين عثمان بن أبى طلحة ؟ »**

فدعى له .. فأقبل عثمان بن أبى طلحة وقال : لبيك يا رسول الله .

فقال رسول الله - ﷺ - **« هاك مفتاحك يا عثمان .. اليوم يوم بر ووفاء»**

ودفع النبى - عليه الصلاة والسلام - المفتاح إلى عثمان وقال : **« خذوها يا بنى أبى طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم »**

ودفع السقاية إلى عمه العباس بن عبد المطلب .

وقدم عثمان بن أبى طلحة مفتاح الكعبة إلى أمه سلافة بنت سعد فقبضت على المفتاح بيدها وكأنها لا تصدق عينها .. ثم قالت : لقد ظننت أنه سيقتل أو ينفى أهل مكة .. ولكنه قال لهم : **« اذهبوا فأنتم الطلقاء »** .. ولما أخذت منى المفتاح ظننت أنه سيجمع السقاية والحجاجة لبنى عبد المطلب .. هذه سماحة ويسر ورحمة ما بعدها سماحة ويسر ورحمة .

ثم قالت سلافة بنت سعد لابنها عثمان : اصحبنى إلى رسول الله - ﷺ - لأبايعه . .

ففرح عثمان بن أبى طلحة وقال : هل آن لأمى أن تنطق بشهادة الحق ؟

قالت سلافة بنت سعد : نعم وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

* * * *

أم الخير بنت صخر

والدة أبى بكر بن أبى قحافة . . كان لا يعيش لأم الخير بنت صخر ولد فلما ولدت مولودًا استقبلت به الكعبة ثم قالت : اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لى .

وكانت أم الخير بنت صخر إذا هزته تقول : عتيق وما عتيق ذو المنظر الأنيق .

فعاش عتيق أو عبد الكعبة ولكنه كره الأصنام قال لها يومًا : إنى جائع فأطعمنى؟

ولكن كبير الآلهة ـ هبل ـ ظل غارقًا فى بهله وسكونه .

وكان عتيق بن أبى قحافة صديقًا لمحمد بن عبد الله يكثر غشيانه فى منزله ومحادثته . ورأى عبد الكعبة رؤيا فى النوم رأى القمر نزل إلى مكة فدخل كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه فى حجره . وكان عتيق تاجرًا يذهب إلى الشام واليمن فقص رؤياه على بعض أهل الكتاب ـ بحيرًا الراهب ـ فقال له : إن صدقت رؤياك فإنه سيبعث نبى من قومك تكون أنت وزيره فى حياته وخليفته بعد مماته .

وعبرها آخر من أهل الكتاب بأنه يتبع النبى المنتظر الذى ظل زمانه وأنه يكون أسعد الناس به . . فراح أبو بكر يبحث عن الحقيقة .

ولما كان عتيق بن أبى قحافة باليمن لقى رجلاً من أزد قد قرأ الكتب فسأل عبد الكعبة : أحسبك حرميًا ـ من أهل الحرم ـ

فقال عبد الكعبة : نعم .

فقال الرجل الأزدى : أحسبك قرشيًا .

قال عتيق بن أبى قحافة : نعم .

قال الرجل الأزدى : أحسبك تيميًا .

قال عبد الكعبة بن أبى قحافة : نعم .

قال الرجل الأزدى : بقيت لى فيك واحدة .

فتساءل عتيق بن أبى قحافة : وما هى ؟

قال الرجل الأزدى : تكشف لى عن بطنك ؟

فقال عبد الكعبة : لا أفعل أو تخبرنى لم ذلك ؟

قال الرجل الأزدى : أجد فى العلم الصادق أن نبيًا يبعث فى الحرم يعاون على أمره فتى وكهل فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة .

يقول عتيق بن أبى قحافة : فكشفت له عن بطنى فرأى شامة بيضاء أو سوداء فوق سرتى ورأى العلامة على الفخذ الأيسر .

فقال الرجل الأزدى : أنت هو ورب الكعبة .

ولما قضى عتيق أربه من اليمن أتاه ليودعه فقال : احفظ عنى أبياتًا من الشعر قلها فى ذلك النبى .

قال عتيق بن أبى قحافة : نعم .

فذكر الرجل الأزدى أبياتًا .

وقدم عتيق بن أبى قحافة مكة فجاءه صناديد قريش كعقبة بن أبى معيط وشيبة بن ربيعة وعمرو بن هشام وأبى البخترى فقالوا : يا أبا بكر : يتيم أبى طالب - يعنون محمدًا - ﷺ - يزعم أنه نبى ولولا انتظارك ما انتظرنا به فإذا قد جئت فأنت الغاية والكفاية .

فصرفهم أبو بكر بن أبى قحافة على أحسن شىء ثم جاء محمد بن عبد الله - ﷺ - فقرع الباب فخرج إليه وقال له : « يا أبا بكر إنى رسول الله إليك وإلى الناس كلهم فآمن بالله »

فتساءل أبو بكر : وما دليلك على ذلك ؟

قال محمد - ﷺ - : « **الشيخ الذى أفادك الأبيات - الرجل الأزدى -** »

فقال أبو بكر بن أبى قحافة : ومن أخبرك بهذا يا حبيبى ؟

قال محمد - ﷺ - : « **الملك العظيم الذى يأتى الأنبياء قبلى** »

فقال أبو بكر : مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

يقول أبو بكر بن أبى قحافة : فانصرفت وما بين لابتيها - جبليها - أشد سرورًا من رسول الله - ﷺ - بإسلامى .

وحين أسلم أبو بكر دعا إلى الله تعالى ورسوله - ﷺ - من وثق به من قومه فأسلم بدعائه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله .

يقول رسول الله - ﷺ - : « **ما كلمت أحدًا فى الإسلام إلا أبى على وراجعنى فى الكلام إلا ابن أبى قحافة فإنى لم أكلمه فى شىء إلا قبله واستقام عليه** » [رواه أبو نعيم عن ابن عباس] .

واجتمع المسلمون فى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى التى كانت تطل على الحرم - فوق جبل الصفا - يتحدثون . . وحانت التفاتة من أبى بكر فرأى قريشًا فى مجالسهم فضاق بهم كانوا آمنين فى بيت الله بينما كان المسلمين يترقبون خشية من الناس أليس رسول الله - ﷺ - وأصحابه على الحق وهم على الضلال ؟ كيف يختفى النور تاركًا الدنيا للظلمات ؟

وراح أبو بكر يحدث النبى - عليه الصلاة والسلام - ويلح عليه فى الظهور فقال أبو القاسم - ﷺ - : « **يا أبا بكر إنا قليل** » .

كانوا قلة حقًا ولكنهم كانوا أقوياء باليقين الذى نزل بأفئدتهم والإيمان الذى يملأ صدورهم . . فهان المشركون فى عينى أبى بكر فجعل يتحدث فى حماس وصدق يزين لرسول الله - ﷺ - الخروج إلى المسجد لإعلاء كلمة الله . ولم يزل به حتى خرج

النبى - عليه الصلاة والسلام - ومن معه من أصحابه إلى المسجد الحرام . .

وقام أبو بكر فى الناس خطيبًا ورسول الله - ﷺ - جالس ودعا إلى الله ورسوله فامتلأت قلوب سادات قريش حنقًا فقد ضاقوا بدعوة أبى القاسم - ﷺ - وكلموا عمه أبا طالب فيه وبيتوا الغدر لمن سب آلهتهم وسفه أحلامهم وشتم آباءهم وقبل أن ينالوا منه شيئًا يأتى أبو بكر بن أبى قحافة ليسخر منهم على أعين الناس ؟ إنها لفتنة وإن سكتوا عليها استشرى الشر بمكة فثاروا على أبى بكر وعلى أصحاب رسول الله - ﷺ - وضربوهم ضربًا مبرحًا ووطىء أبو بكر بالأرجل وضرب ضربًا شديدًا وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مطبقتين ويحرفهما إلى وجهه بعنف حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه فقد غرق فى دم غزير بعد هذه القسوة القاسية.

وطار الخبر إلى بنى تيم رهط أبى بكر فجاءوا والشر يطل من أعينهم وأصوات مزمجرة متوعدة تنطلق من أفواههم فأجلوا المشركين عن أبى بكر وحملوه فى ثوب إلى أن أدخلوه منزله لا يشكون فى موته . . ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا:

- والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة .

ثم رجعوا إلى أبى بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى إذا كان آخر النهار تكلم وقال : ما فعل رسول الله - ﷺ -؟

فراحوا يلومونه على ما فعل فعاد يقول : ما فعل رسول الله - ﷺ -؟

ونظر أبو بكر إلى أمه أم الخير فقالت : والله ما لى علم بصاحبك .

فقال أبو بكر : اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه .

وخرجت أم الخير إلى دار سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ودخلت على فاطمة بنت الخطاب وقالت لها : إن أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله .

فقالت أم جميل بنت الخطاب : لا أعرف محمدًا ولا أبا بكر .

كانت فاطمة بنت الخطاب ترتجف خشية أن يعرف أخوها عمر بن الخطاب أمر

إسلامها فيأتى فيبطش بها فهو جبار لا يطيق الدعوة الجديدة ويصب على أصحاب رسول الله - ﷺ - سوط عذاب . . ولما اطمأنت فاطمة بنت الخطاب إلى أم أبى بكر قالت لها : تريدين أن أخرج معك ؟

قالت أم الخير : نعم .

فخرجت معها إلى أن جاءت أبا بكر فوجدته صريعًا فصاحت وقالت :

ـ إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وإنى لأرجو أن ينتقم الله منهم .

فقال لها أبو بكر فى لهفة : ما فعل رسول الله - ﷺ - ؟

فالتفتت فاطمة بنت الخطاب ناحية أم أبى بكر فقالت : هذه أمك تسمع .

قال أبو بكر بن أبى قحافة : فلا عين عليك منها .

قالت أم جميل بنت الخطاب : سالم .

فقال أبو بكر : أين هو ؟

قالت فاطمة بنت الخطاب : فى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى .

فقال أبو بكر : والله لا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا أو آتى رسول الله - ﷺ -

وهم أبو بكر بالنهوض فخفت إليه أمه وقالت : فأمهلنا .

وأخذت أم الخير تفكر فى ذلك الدين الجديد الذى يتحمل أتباع محمد - ﷺ - فى سبيله كل هذا الاضطهاد والعذاب فلا يزدادون إلا إيمانًا وتسليمًا .

إنها تعرف ابنها أبا بكر عاقلاً رشيدًا وتعرف محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ حق المعرفة فهو الأمين الصادق الذى عرف بخلقه القويم . . وراحت تفكر فى الدعوة التى جاء بها فوجدتها دعوة يقبلها العقل ويستريح إليها الفؤاد .

ولما هدأت الأمور وسكن الناس خرجت بأبى بكر وأم جميل بنت الخطاب يتكىء على أمه حتى دخل على رسول الله - ﷺ - فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله

وأكب عليه المسلمون يقبلونه وقد غامت أعينهم بالدمع فقال أبو بكر :

- بأبى وأمى أنت يا رسول الله ما بى من بأس إلا ما نال الناس من وجهى وهذه أمى برة بولدها فعسى الله أن ينقذها بك من النار .

فدعا لها رسول الله - ﷺ - وتلا عليها آيات من الذكر الحيكم ودعاها إلى الإسلام فقالت أم الخير : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فطفق أبو بكر يدنو - ينظر إلى - إلى أمه وليس على وجه الأرض من هو أسعد منه لإسلام أمه البارة بولدها . .

أما أبو قحافة فظل على شركه .

وذات يوم كان رسول الله - ﷺ - بفناء الكعبة فقال سادات قريش للنبى - عليه الصلاة والسلام - : أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد أباؤنا ؟

فقال رسول الله - ﷺ - « أنا ذاك » .

فقاموا إليه وأقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكبه - ﷺ - ولوى ثوبه فى عنقه خنقًا شديدًا . . فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكب عقبة بن أبى معيط ودفعه عن رسول الله - ﷺ - ثم قال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟

وغلب سابور ملك الفرس جيوش الروم ففرح المشركون فقد كانوا يحبون أن تظهر فارس على الروم وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم أما فارس فهم أصحاب أوثان ونزل قوله تعالى : ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ الرُّومُ ② فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الروم الآية : ١ : ٤] .

فخرج أبو بكر إلى الكفار فقال لهم : أفرحتم بظهور إخوانكم - الفرس - على إخواننا - الروم - ؟ فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الله الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا - ﷺ - .

فقام إليه أبى بن خلف فقال : كذبت يا أبا فصيل .

فقال أبو بكر : أنت أكذب يا عدو الله .

فقال أبى بن خلف : أُناحبُك - أُقامرك - عشر قلائص - نوق شابة - وعشرة قلائص منى فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس .. اجعل لنا أجلاً .

قال أبو بكر : سبع سنين .

قال أبى بن خلف : اتفقنا .

وذكر ذلك أبو بكر لرسول الله - ﷺ - فقال : « **ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع** »[رواه الطبرانى فى المعجم الكبير وابن مردويه] .

ومضى السبع ولم يكن شىء ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين .. وذكر ذلك للنبى - ﷺ - فقال : « **ما بضع سنين عندكم ؟** » .

قالوا : دون العشر .

قال رسول الله - ﷺ - لأبى بكر : « **اذهب فزايدهم وازدد سنتين فى الأجل** ».

فأتاهم أبو بكر فقال أبى بن خلف : يا أبا فصيل لعلك ندمت .

فقال أبو بكر : لا والله هل لك فى العود فإن العود أحمد ؟

قال أبى بن خلف : نعم .

قال أبو بكر : تعال أزايدك فى الخطر وأمدك فى الأجل فاجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين .

فقال أبى بن خلف فى فرح : اتفقنا .

وكانت وقعة بدر وجاء الركبان بظهور الروم على الفرس وخربوا مدائنهم وقطعوا زيتونهم وربطوا خيولهم بالمدائن وأقاموا الرومية .. ففرح المسلمون وكرهه

المشركون. وجاء أبو بكر بمائة قلوص إلى رسول الله - ﷺ - فقال له : هذا السحت . . تصدق به .

فتصدق أبو بكر به .

وذات يوم كان أبو بكر وعمر بن الخطاب جالسان فى مسجد النبى - عليه الصلاة والسلام - فأقبل رجل فقال : يا رسول الله أى الجهاد أعظم ؟

قال رسول الله - ﷺ - : « أكثرهم لله تعالى ذكرًا »

فتساءل الرجل : فأى الصائمين أكثر أجرًا ؟

فقال أبو القاسم - ﷺ - : « أكثرهم لله ذكرًا »

فقال الرجل : أى الصلاة أعظم أجرًا يا نبى الله ؟

قال نبى الرحمة - ﷺ - : « أكثرهم لله عز وجل ذكرًا »

فقال الرجل : أى الزكاة أعظم أجرًا يا رسول الله ؟

قال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « أكثرهم لله عز وجل ذكرًا »

قال الرجل : أى الحج أعظم أجرًا يا نبى الله ؟

قال رسول الله - ﷺ - : « أكثرهم لله عز وجل ذكرًا »

فقال الرجل أى الصدقة أعظم أجرًا يا نبى الله ؟

قال أبو القاسم - ﷺ - : « أكثرهم لله عز وجل ذكرًا »

فقال أبو بكر الصديق للفاروق : ذهب الذاكرون بكل خير .

فقال النبى - ﷺ - : « أجل »

وكان لأبى بكر مملوك يغل عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة فقال له المملوك:
- مالك كنت تسألنى كل ليلة أين جئت بهذا ولم تسألنى الليلة ؟

قال أبو بكر الصديق : حملنى على ذلك الجوع من أين جئت بهذا ؟

قال المملوك : مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت لهم - تكهنت لهم - فوعدونى فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطونى .

فقال أبو بكر الصديق : إن كدت أن تهلكنى .

وأدخل يده فى حلقة فجعل يتقيًا وجعلت اللقمة لا تخرج فقيل له : إن هذه لا تخرج إلا بالماء .

فدعا بطست - قدح كبير - من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بتلك اللقمة . . فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟

قال أبو بكر : لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » . . فخشيت أن ينبت شىء من جسدى من هذه اللقمة .

ويوم فتح مكة جاء أبو بكر بأبيه يقوده فلما رآه رسول الله - ﷺ - قال : « هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ » .

فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت .

فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره وقال له : « أسلم » .

فقال أبو قحافة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله .

فهنأ النبى - ﷺ - بإسلام أبيه فقال أبو بكر الصديق : والذى بعثك بالحق لإسلام أبى طالب - مات على دين قومه أى على الشرك - كان أقر لعينى من إسلامه وذلك لأن إسلام أبى طالب كان أقر لعينك .

وذات ليلة قال أبو بكر : يا رسول الله علمنى ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت .

فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « يا أبا بكر قل : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شىء ومليكه أعوذ بك من شر

نفسى وشر الشيطان وشركه أو أقترف على نفسى سوءا أو أجره إلى مسلم » (رواه البخارى ومسلم عن ابن عمرو) .

وسأل أبو بكر رسول الله - ﷺ - : يا رسول الله أنعمل على ما فرغ منه - الخير - أو على أمر مؤتنف ؟

قال رسول الله - ﷺ - : « بلى على أمر قد فرغ منه »

فتساءل أبو بكر الصديق : ففيم العمل يا رسول الله ؟

قال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « كل ميسر لما خلق له »

ولما أنزلت ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ [سورة الزلزلة الآية : ١] بكى أبو بكر فسأله أبو القاسم - ﷺ - : «مايبكيك يا أبا بكر ؟ »

قال الصديق : يبكينى هذه السورة .

قال رسول الله - ﷺ - : « لو لا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم »

ويوم غزوة تبوك جاء عمر بن الخطاب بنصف ماله ودفعه إلى رسول الله - ﷺ - فسأله : « ما خلفت لأهلك يا عمر ؟ » .

قال الفاروق : خلفت لهم نصف مالى .

وجاء أبو بكر الصديق بماله كله يكاد يخفيه من نفسه ودفعه إلى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فسأله : « ما خلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر ؟ »

فقال الصديق عدة الله وعدة رسوله .

فبكى عمر بن الخطاب وقال : بأبى أنت وأمى يا أبا بكر والله ما استبقنا إلى باب خير قط إلا كنت سابقًا .

فنزل قوله تعالى : ﴿ إن تبدو الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء

فهو خير لكم ﴾ .

وخرج أبو بكر يومًا فاستقبله رسول الله - ﷺ - فقال له : بم بعثت يا رسول الله؟

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « بالعقل » .

فقال أبو بكر الصديق : فكيف لنا بالعقل ؟

قال رسول الله - ﷺ - : « إن العقل لا غاية له ولكن من أحل حلال الله وحرم حرامه سمى عاقلاً فإن اجتهد بعد ذلك سمى عابدًا فإن اجتهد بعد ذلك سمى جوادًا فمن اجتهد فى العبادة وسمح فى ثواب المعروف بلا حظ من عقل يدله على اتباع أمر الله عز وجل واجتناب ما نهى الله عنه فأولئك هم الأخسرون : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [سورة الكهف الآية : ١٠٤] .

وفى مجمع من أصحاب رسول الله - ﷺ - قيل لأبى بكر : هل شربت الخمر فى الجاهلية ؟

قال أبو بكر الصديق : أعوذ بالله .

فقيل : ولم ؟

قال أبو بكر الصديق : كنت أصون عرضى وأحفظ مروءتى فإن من شرب الخمر كان مضيعًا فى عرضه ومروءته .

فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - فقال : « صدق أبو بكر .. صدق أبو بكر » .

وسأل رسول الله - ﷺ - أصحابه ذات ضحى : « من أصبح منكم صائمًا ؟ »

قال أبو بكر الصديق : أنا .

فقال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ »

قال أبو بكر الصديق : أنا .

فتساءل رسول الله - ﷺ - : « فمن أطعم منكم مسكينًا ؟ »

قال أبو بكر الصديق : أنا .

فتساءل النبى - عليه الصلاة والسلام - « فمن عاد منكم اليوم مريضًا ؟»

قال أبو بكر : أنا .

قال أبو القاسم - ﷺ - : « ما أجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة »

وجلس رسول الله - ﷺ - على المنبر يومًا فقال : « عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده »

فبكى أبو بكر وقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا .

فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « إن آمن الناس على ماله وصحبته أبو بكر ولو كنت متخذً خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام لا تبقين فى المسجد خوخة - بابًا - إلا خوخة أبى بكر » .

وجلس رسول الله - ﷺ - يومًا يفقه أصحابه فقال : « إن الله وعدنى أن يدخل من أمتى أربعمائة ألف بغير حساب ثم بحثى ربى عز وجل بكفيه ثلاث حثيات »

فقال أبو بكر الصديق : زدنا يا رسول الله ؟

قال رسول الله - ﷺ - : « والله هكذا »

فقال عمر بن الخطاب : حسبك يا أبا بكر .

فقال أبو بكر : دعنى وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا .

قال الفاروق : إن الله إن شاء أدخل خلقه الجنة بكف واحد .

فقال رسول الله - ﷺ - : « صدق عمر »

ولما انتقل رسول الله - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى بايع المسلمون أبا بكر خليفة لرسول الله - ﷺ - فقيل لأبى قحافة : قد ولى ابنك الخلافة .

فقرأ أبو قحافة قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٢٦] ثم تساءل : لم ولوه ؟

قالوا : لسنه .

فقال أبو قحافة : أنا أسن منه .

ومرض أبو بكر بالحمى فدخلت عليه عائشة وطلبت منه أن يعهد بالأمر وهى حزينة كئيبة فرفع رأسه وقال : أى أمة هذا يوم يجلى لى عن غطائى وأشاهد جزائى: إن فرحًا فدائم وإن ترحًا فعقيم إنى اضطجعت بإمامة هؤلاء القوم حين كان النكوص إضاعة والخذل تفريطًا فشهيدى الله ما كان يقبلنى إياه فتبلغت بصفحتهم وتعللت بدره لقحتهم فأقمت صلاتى معهم لا مختالاً أشرًا ولا متكاثرًا بطرًا . . لم أعد سد الجوعة وورى العورة وقواتة القوام - ما يعاش به - حاضرى الله من ممعض تهفو منه الأحشاء وتجب له الأمعاء فاضطررت إلى ذلك اضطرار المريض إلى المعيف الآجن .

وطلب أبو بكر من ابنته إذا مات أن تبعث إلى عمر بن الخطاب بعبده الحبشى وبعير وبرده ودثاره كان حشوها قطع السعف .

ولما حضرت أبو بكر الوفاة قال لمن حوله : إذا أنا مت وفرغتم من جهازى فاحملونى حتى تقفوا بباب البيت الذى فيه قبر رسول الله - ﷺ - فقفوا بالباب وقولوا : السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فإن أذن فتح الباب - وكان الباب مغلقًا بقفل - فادخلونى وادفنونى وإن لم يفتح فأخرجونى إلى البقيع وادفنونى به .

وتوفى أبو بكر بين المغرب والعشاء فأقامت عائشة عليه النواح فبلغ عمر بن الخطاب فنهاها عن النواح على أبى بكر فأبت النوائح أن ينتهين فقام وقال لهشام بن الوليد : أخرج إلى ابنة أبى قحافة .

فعلاها بالدرة ضربات فتفرق النوائح حين سمعن ذلك فقال تردن أن يعذب أبو بكر ببكائكن ؟ إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه** »

ولما أرادوا دفن أبى بكر ذهبوا إلى البيت الذى فيه قبر رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا: السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن . . فسقط القفل وانفتح الباب وسمع هاتف من داخل البيت : أدخلوا الحبيب إلى الحبيب فإن الحبيب إلى الحبيب مشتاق .

وحفرت لأبى بكر حفرة فى حجرة ابنته عائشة وجعل رأسه عند كتفى رسول الله ـ ﷺ ـ . وألصق اللحد بقبر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ورش عليه بالماء .

وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال .

ولما فتح بيت المال بعد وفاة أبى بكر ـ كان بيت المال معه فى داره ـ لم يجدوا فيه درهمًا ولا دينارًا إلا دينارًا واحدًا سقط من غرارة .

تقول أم المؤمنين عائشة : كتب أبى وصية سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبى قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهى الفاجر ويصدق الكاذب إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذاك ظنى به ورجائى فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[سورة الشعراء الآية :٢٢٧].

وورثت أم الخير وأبو قحافة الخليفة الأول . . ثم لحقت أم الخير بابنها . . ومات أبو قحافة فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو ابن تسع وتسعين سنة .

* * * *

رقيقة بنت أبى صيفى

هى رقيقة بنت أبى صيفى بن هاشم بن عبد المطلب بن هاشم . . بنت عم العباس وإخوته من بنى عبد المطلب . . والدة مخرمة بن نوفل .

كانت لدة عبد المطلب ـ على سنه ـ وهو عمها

كان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب مع جده شيبة الحمد ـ عبد المطلب وسمى شيبة لأن برأسه شيبة ـ بعد موت أمه آمنة بنت وهب وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له وكان محمد يأتى وهو غلام حتى يجلس عليه بجانب جده فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب : دعو ابنى فوالله إن له لشأنًا.

ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع .

وقال قوم من بنى مدلج لعبد المطلب : احتفظ به فإنا لم نر قدمًا أشبه بالقدم الذى فى المقام ـ قدم إبراهيم عليه السلام ـ منه

فقال عبد المطلب لابنه أبى طالب : اسمع ما يقول هؤلاء .

وقال عبد المطلب لبركة الحبشية ـ أم أيمن : يا بركة لا تغفلى عن ابنى فإنى وجدته مع غلمان قريب من السدرة وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابنى نبى هذه الأمة .

وكان عبد المطلب لا يأكل طعامًا إلا يقول : على بابنى إنه يؤسس ملكًا . . فيؤتى بمحمد إليه .

تقول . رقيقة بنت أبى صيفى : تتابعت على قريش سنون أمحلت ـ أيبست ـ الضرع وأدقت العظم ـ جعلته ضعيفًا من الجهد ـ .

وبينما رقيقة بنت أبى صيفى راقدة أو مهمومة ـ التهويم أول النوم ـ إذا هى بهاتف يصرخ بصوت صحل يقول : يا معشر قريش إن هذا النبى مبعوث قد أظلتكم أيامه

وهذا أبان ـ وقت ـ نجومه فحى هلا ـ كلمة تعجيل ـ بالحيا ـ مقصور المطر ـ والخصب ـ أى أتاكم المطر والخصب عاجلاً ـ ألا فانظروا رجلاً منكم وسيطًا ـ نسيبًا ـ عظامًا ـ أبلغ من عظيم ـ جسامًا ـ أبلغ من جسيم ـ أبيض بضا ـ البض الرقيق البشرة ـ أوطف ـ طويل ـ الأهداب سهل الخدين ـ أشم ـ مرتفع ـ العرنين ـ الأنف تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم ـ له فخر يكظم عليه ـ يخفيه ولا يفاخر به ـ وسنة ـ طريقة ـ تهدى إليه ـ تدل الناس عليه ـ فيلخص هو وولده وليهبط إليه من كل بطن فليشنوا ـ فليصبوا ويغتسلوا ـ من الماء وليمسوا من الطيب وليستلموا الركن ثم ليرقوا ـ يصعدو ـ أبا قبيس ـ جبل أبى قبيس ـ ثم ليدع الرجل وليؤمن القوم فغثتم ـ أتاكم الغيث

تقول رقيقة بنت أبى صيفى : فأصبحت علم الله مذعورة اقشعر جلدي وده عقلى واقتصصت رؤياى ونمت ـ فشت ـ فى شعاب مكة ذو الحرمة والحرم .

وما بقى أبطحى إلا قال : هذا شيبة الحمد ـ عبد المطلب ـ

وتناهت ـ جاءت ـ إليه رجالات قريش وهبط إليه من كل بطن رجل فشنوا ومسوا الطيب واستلموا الركن ثم ارتقوا أبا قبيس واصطفوا حوله ما يبلغ مهلة حتى إذا استووا بذروة الجبل قام عبد المطلب ومعه حفيده محمد بن عبد الله غلام فرفع يديه وقال : اللهم ساد الخلة ـ الحاجة ـ وكاشف الكربة أنت معلم غير معلم ومسئول غير مبخل وهذه عبداك ـ مقصور العباد ـ واماؤك بعذرات ـ أفنية ـ حرمك يشكون إليك سنيهم ـ السنة القحط ـ التى أذهبت الخف ـ الغنم ـ والظلف ـ الإبل ـ اللهم امطر علينا مغدقًا ـ الغدق الكثير ـ مرتعًا ـ ترتع فيه الدواب ـ

تقول رقيقة بنت أبى صيفى : قال شيوخ قريش كعبد الله بن جدعان وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة لعبد المطلب : هنيئًا لك أبا البطحاء ـ عاش بك أهل البطحاء ـ

قالت رقيقة فى ذلك :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا   وقد فقدنا الحيا واجلوز المطر

فجاء بالماء جونى له سيــــــل سحا فعاشت به الأنعام والشجر

منا من الله بالميمون طــــائره وخير من بشـرت يومًا به مضـر

مبارك الأمر يستسقى الغمام بـه ما فى الأنام له عدل ولا خطـر

ولما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى ابنه أبا طالب بحفظ محمد بن عبد الله .

وكان أبو طالب يحب ابن أخيه حبًا شديدًا لا يحبه ولده وكان لا ينام إلا جنبه ويخرج فيخرج معه وكان يخصه بالطعام وكان إذا أكل عيال أبى طالب جميعًا أو فرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم محمد بن عبد الله شبعوا فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم قال لهم : كما أنتم حتى يأتى ولدى .

فيأتى محمد فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم وإن لم يكن منهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب لمحمد : إنك لمبارك .

وكان الصبيان يصبحوا رمصًا شعثًا ويصبح محمد بن عبد الله دهينًا كحيلاً .

يقول ابن عباس:كان بنو أبى طالب يصبحون رمصًا عمصًا ويصبح رسول الله ـ ﷺ ـ صقيلاً دهينًا وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان صفحتهم أول البكرة فيجلسون وينتبهون ويكف رسول الله ـ ﷺ ـ يده فلا ينتهب معهم فلما رأى أبو طالب ذلك عزل له طعامه على حده .

وخرج أبو طالب فى ركب إلى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صب به محمد بن عبد الله فرق له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معى ولا أفارقه ولا يفرقنى أبدًا .

فخرج به فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام رأى بحيرى الراهب ـ كان فى صومعة له وكان إليه علم أهل النصرانية ـ غمامة تظلل محمدًا من بين القوم فلما نزلوا فى ظل الشجرة قريبًا منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على محمد بن عبد الله حتى استظل تحتها فصنع بحيرى لهم طعامًا كثيرًا ـ

كانوا كثيرًا ما يمرون به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم - وأرسل إليهم وقال لهم : يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم كبيركم وصغيركم وعبدكم وحركم .

فقال رجل من قريش : والله يا بحيرى إن لك لشأنًا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرًا فما شأنك اليوم ؟

قال بحيرى الراهب : صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعامًا فتأكلون منه كلكم .

فأجتمعوا إليه وتخلف محمد بن عبد الله من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة . فلما رآهم بحيرى لم ير الصفة التى يعرف ويجده عنده قال : يا معشر قريش لا يتخلفن أحد عن طعامى .

قالوا : يا بحيرى ما تخلف أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدثنا فتخلف فى رحالنا .

فقال بحيرى : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

قال رجل من القوم : واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا . ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم. فلما رأى بحيرى جعله يلحظه لحظًا شديدًا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له ياغلام : أسأل بحق اللات والعزى ألا أخبرتنى عما أسألك عنه - قال له بحيرى ذلك لأنه سمع رجلاً منهم يحلف بهما .

فقال محمد بن عبد الله : لا تسألنى باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما .

فقال بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه .

فقال محمد بن عبد الله : « **سلنى عما بدا لك** » .

فجعل بحيرى الراهب يسأل عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فجعل محمد بن عبد الله يخبره فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التى عنده فلما فرغ بحيرى الراهب أقبل على عمه أبى طالب فقال : ما هذا الغلام منك ؟

قال أبو طالب : ابنى .

قال بحيرى الراهب : ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا .

فقال أبو طالب : فإنه ابن أخى .

فتساءل بحيرى : فما فعل أبوه ؟

قال أبو طالب : مات وأمه حبلى به .

قال بحيرى الراهب : صدقت ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرًا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده .

فخرج عمه أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

ولما بعث الله محمدًا - ﷺ - ناصبه أشراف قريش العداء فحدب عليه عمه أبو طالب وآزره ونصره - وإن بقى على شركه .

وأسلمت رقيقة بنت أبى صيفى ونطقت بشهادة الحق وكانت أشد الناس على ابنها مخرمة بن نوفل لكونه لم يسلم وكانت تقول له : لقد تبعه كثير من الناس ولقد حدثنى عبد الرحمن بن عوف - كانت عاتكة بنت عوف زوجة مخرمة بن نوفل وأم ولده المسور .

ولما أظهر رسول الله - ﷺ - الإسلام أسلم أهل مكة كلهم وأسلم مخرمة بن نوفل حتى أن كان النبى - عليه الصلاة والسلام - ليقرأ السجدة فيسجدون ما يستطيع بعضهم أن يسجد من الزحام حتى قدم رؤساء قريش : أبو جهل بن هشام وعمه الوليد

ابن المغيرة وغيرهما وكانوا بالطائف فقالوا : تدعون دين آبائكم ؟

فكفروا وكفر مخرمة بن نوفل .

ولما ائتمر سادات قريش فى دار الندوة وقرروا أن يقتلوا رسول الله - ﷺ - قبل هجرته إلى يثرب - قالت رقيقة بنت أبى صيفى لرسول الله - ﷺ - : إن قريشًا قد اجتمعت تريد بياتك الليلة .

فتحول رسول الله - ﷺ - عن فراشه وبات عليه على بن أبى طالب .

وكان مخرمة بن نوفل له سن وعلم بأيام قريش وكان يؤخذ عنه النسب وكان أحد علماء قريش . . وكان إسلامه عام الفتح فكان من المؤلفة قلوبهم .

قال مخرمة بن نوفل لابنه المسور : يا بنى بلغنى أن النبى - ﷺ - قدمت عليه أقبية - ثياب وغنائم حنين - وهو يقسمها فاذهب بنا إليه . .

فذهبا فوجدا رسول الله - ﷺ - فى منزله فقال مخرمة بن نوفل لابنه : ادع النبى - ﷺ - ؟

فأعظم المسور بن مخرمة ذلك وقال : أدعو لك رسول الله - ﷺ - ؟

قال مخرمة بن نوفل : يا بنى إنه ليس بجبار .

فدعى المسور رسول الله - ﷺ - فجاء وعليه ديباج مزور - محسن - بالذهب فقال: ما كنت أدرى أن تقسم فى قريش قسمًا فتخطئنى .

قال رسول الله - ﷺ - : « يا مخرمة هذا - الديباج المزور بالذهب - خبأناه لك».

فأعطاه إياه - كان يتقى لسانه - وأعطاه خمسين بعيرًا .

وحسن إسلام مخرمة بن نوفل فكان أحد الذين نصبوا أعلام الحرم لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب . . ومات بالمدينة زمن معاوية بن أبى سفيان سنة أربع وخمسين من الهجرة .

أم منيـــــع

*** نسبها**

هى أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب ابن سلمة وهى أم شباث .

وقيل : أم معاذ بن جبل

*** إسلامها**

أسلمت أم منيع وبايعت العقبة ، فقد كانت مع من شهد العقبة هى ونسيبة بنت كعب .

تقول أم منيع :

اجتمع الأنصار أسفل العقبة ثم جاء رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب فقال :

ـ يا معشر الخزرج إنكم قد دعوتم محمدا إلى ما دعوتموه إليه ، ومحمد أعز الناس فى عشيرته يمنعه والله من كان منا على قوله ومن لم يكن منا على قوله منعه للحسب والشرف ،وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة سترميكم عن قوس واحدة فارتؤوا رأيكم وائتمروا أمركم ولا تفترقوا إلا عن اجتماع فإن أحسن الحديث أصدقه .

فسكت القوم وتكلم عبد الله بن عمرو بن حرام فقال :

ـ نحن والله أهل الحرب غذينا بها ومرنا عليها وورثناها عن آبائنا كابرا عن كابر ، نرمى النبل حتى تفنى ، ثم نطاعن بالرماح حتى نكسرها ، ثم نمشى بالسيوف فنضارب بها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا .

ثم قال أبو جابر لرسول الله ﷺ :

ـ تكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت

فقال خاتم النبيين ﷺ:

ـ أشترط لربى عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم

فتساءل عبد الله بن رواحة :

ـ فإذا فعلنا فما لنا ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ لكم الجنة

فقالوا :

ـ ربح البيع ، لا نقيل ولا نستقيل نبايعك

*** يوم الحديبية**

خرجت أم منيع مع جيش رسول الله ﷺ لزيارة البيت الحرام

تقول أم منيع :

ـ أعلن رسول الله ﷺ بكل صراحة ووضوح أنه لا يريد الحرب وإنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته .

ولكن لما شاع بين العرب نبأ خروج النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه معتمرين، اعتبرت قريش خروج أبى القاسم ﷺ فى هذا العدد الكبير من أصحابه ـ كانوا ألفا وأربعمائة ـ بادرة خطيرة فيها مساس بكرامتهم وخدش لكبريائهم الوثنى فقرروا صده عن البيت الحرام فعرج رسول الله ﷺ وأصحابه إلى الحديبية .

فكان صلح الحديبية

*** يوم خيبر**

خرجت أم منيع مع بعض النسوة يوم خيبر لتسقى جند الإسلام وتداوى الجرحى.

تقول أم منيع :

لما كان المسلمون فى الطريق إلى خيبر رفع بعض الناس أصواتهم بالدعاء والتكبير فأحدثوا ضجة فقال لهم النبى ﷺ :

ـ أيها الناس أربعوا على أنفسكم ـ ارفقوا على أنفسكم ـ **فانكم ما تدعون أصم ولا غائبا ، وإنما تدعون سميعا بصيرا ، وإنما الذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته** [رواه الإمام أحمد ، والطبرانى فى الكبير عن أبى موسى الأشعرى].

*** يوم حجة الوداع**

وخرجت أم منيع مع زوجات رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع

تقول أم منيع :

قال رسول الله ﷺ :

ـ ماء زمزم لما شرب له ، وإن شربته تشتفى به شفاك ، وإن شربته لشبعك أشبعك الله به ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه ، وهى هزمة جبريل وسقيا الله إسماعيل [رواه الدارقطنى عن عبد الله بن عباس] .

* * *

أميمة بنت صبيح

أميمة بنت صبيح بن الحارث والدة أبى هريرة .

كان إسلام أبى هريرة بين الحديبية وخيبر فخرج من دوس إلى المدينة مهاجراً .

يقول أبو هريرة : قدمت ورسول الله - ﷺ -بخيبر وأنا يومئذ قد زدت عن الثلاثين . . وكان اسمى فى الجاهلي عبد شمس بن صخر فسمانى رسول الله - ﷺ - عبد الرحمن وكنيت أبا هريرة لأنى وجدت هرة فحملتها فى كمى فقيل لى : أبو هريرة .

وسكن أبو هريرة الصفة .

يقول أبو هريرة : لقد رأيتنى أصرع بين منبر رسول الله - ﷺ -وحجرة عائشة فيقال : مجنون وما بى جنون وما بى إلا الجوع .

ودعا أبو هريرة أمه أميمة بنت صبيح إلى الإسلام يومًا فأسمعته فى رسول الله - ﷺ -ما يكره فأتى النبى - عليه الصلاة والسلام - وهو يبكى وقال :

- يا رسول الله إنى كنت أدعو أمى إلى الإسلام فتأبى على وإنى قد دعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره فادع الله إن يهدى أم أبى هريرة .

فقال أبو القاسم - ﷺ -: « اللهم اهد أم أبى هريرة »

فخرج أبو هريرة مستبشراً بدعوة نبى الرحمة - ﷺ -.

ولما رجع أبو هريرة إلى الدار واقترب من الباب فإذا هو مردود فسمعت أميمة بنت صبيح حس قدم أبى هريرة فقالت : مكانك يا أبا هريرة

وسمع خضخضة الماء - حركته - فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب وقالت : يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

فرجع أبو هريرة إلى أبى القاسم ـ ﷺ ـ وهو يبكى من شدة الفرح وقال :يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أميمة بنت صبيح أم أبى هريرة .

فحمد الله وأثنى عليه وقال : « خيراً » .

فقال أبو هريرة : يا رسول الله ادع الله أن يحببنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلنا .

فقال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « اللهم حبب عبدك هذا ـ يعنى أبا هريرة ـ وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين » .

يقول أبو هريرة : ما خلق مؤمن سمع بى ولا يرانى إلا أحبنى .

واجتمعت نفس ومشاعر أبى هريرة الممزقة فأضاف وجوده إلى العلم كله لا يتجه متجهًا ولا يعمل عملاً ولا يقول قولاً إلا لحساب رسول الله ـ ﷺ ـ فكان واحدًا من صحابة أبى القاسم ـ ﷺ ـ علقت نفسه بنفسه الشريفة وقرب رسول الله ـ ﷺ ـ أبا هريرة إليه وأدناه وخالطه مخالطة الأخ الودود لأخيه فلازمه ورصد حركات النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يفارقه فى سفر ولا فى حضر وكرس نفسه ودقة ذاكرته لحفظ أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ وتوجيهاته .

قال أبو هريرة : يا رسول الله إنى أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **افتح كساءك** » .

فبسط أبو هريرة رداءه فقال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ :**ضمه إلى صدرك** .

فضم أبو هريرة رداءه إلى صدره .

يقول أبو هريرة : فما نسيت حديثًا بعد .

وكان أبو هريرة إذا سمع حديثًا انطلق إلى أميمة بنت صبيح فعلمها إياه .

سأل أبو هريرة رسول الله ـ ﷺ ـ يومًا : يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟

فاستوى رسول الله - ﷺ -جالسًا وقال : « لقد سألت يا أبا هريرة .. إنى فى الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسى وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو؟ فاستقبلانى بوجوه لم أرها قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إلى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهم بعضدى لا أجد لأحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه فأضجعانى بلا قصر ولا هصر فقال أحدهم لصاحبه : افلق صدره فهوى أحدهما إلى صدرى ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له : أخرج الغل والحسد فأخرج شيئاً كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له : أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذى أخرج شبه الفضة ثم هز إبهام رجلى اليمنى فقال : أعد أسلم فرجعت بها أعدو رقة على الصغير ورحمة للكبير » .

فقال أبو هريرة : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك ؟

قال أبو القاسم - ﷺ - : « لقد ظننت ألا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث »..

يقول أبى بن كعب : إن أبا هريرة كان جريئًا على أن يسأل رسول - ﷺ -عن أشياء لا يسأله عنه غيره .

جاءت امرأة أبا هريرة فقالت : يا صاحب رسول الله هل من توبة ؟ إنى زنيت وولدت وقتلته .

فقال أبو هريرة : لا ، لا نعمت العين ولا كرامة . .

فقامت وهي تدعو

بالحسرة . . ثم صلى أبا هريرة مع رسول الله - ﷺ - الصبح فقص عليه ما قالت المرأة وما قال لها فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « بئسما قلت أما كنت تقرأ هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن

تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الفرقان الآية : ٦٨ ـ ٧٠] ؟ » .

فلما قرأ أبو هريرة هذه الآية على المرأة رت ساجدة وقالت : الحمد لله الذى جعل لى مخرجًا .

وأقبل رجل ـ أبو فروة ـ النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال : ـ يا رسول الله أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها ولم يترك حاجة ولا داجة فهل له من توبة ؟

قال أبو القاسم - ﷺ - : « أسلمت ؟

قال أبو فروة : نعم .

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فافعل الخيرات واترك السيئات فيجعلها الله لك خيرات كلها .

فتساءل أبو فروة : وغدراتي وفجراتى ؟

قال نبى الرحمة - ﷺ - : نعم ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر الآية : ٥٣] .

فما زال أبو فروة يكبر ويهلل حتى توارى عن أعين الصحابة .

وسألت أميمة بنت صبيح أبا هريرة : أفضل عمل ابن آدم ؟

قال أبو هريرة : قال رسول الله - ﷺ - : « ما عمل ابن آدم شيئًا أفضل من الصلاة وإصلاح ذات البين وخلق حسن » [رواه البخارى فى تاريخه والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة] .

فقالت أميمة بنت صبيح : لماذا سمى الخضر ؟

قال أبو هريرة : قال الصادق المصدوق - ﷺ -: « إنما سمى خضرًا لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز من تحته خضراء » [رواه الترمذى عن أبى هريرة] .

وسألت أم أبى هريرة ابنها عن الشفاعة فقال : قال رسول الله - ﷺ - : « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع** » .

فقالت أميمة بنت صبيح : ما معنى ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [سورة الإسراء الآية : ٧٩] ؟

قال أبو هريرة : سئل عنها النبى - ﷺ - فقال : « **هى الشفاعة .. هو المقام الذى أشفع لأمتى فيه** » .

وسألت أميمة بنت صبيح عن: فضل صلاة الجماعة ؟

قال أبو هريرة سألت رسول الله - ﷺ - عن فضل صلاة الجماعة فقال : « **فضل صلاة الجماعة على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر واقرءوا إن شئتم ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾** [سورة الإسراء الآية : ٧٨] .

وسمع أبو هريرة أمه تقرأ قوله تعالى ﴿تلفح وجوههم النار﴾ فقال : قال رسول الله - ﷺ - : « **إن جهنم لما سيق لها أهلها تلقاهم لهبًا ثم تلفحهم لفحة فلم يبق لهم لحم إلا سقط على العرقوب** » .

كان أبو هريرة يلزم رسول الله - ﷺ - بشبع بطنه حتى لا يأكل الخمير ولا يلبس الحبير ولا يخدمه أحد . وكان فى سبعين رجلاً من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء ما بردة أو كساء قد ربطوها فى أعناقهم يشتد بهم الألم من الجوع . فيخرج من بيته إلى المسجد لا يخرجه إلا الجوع فيجد نفرًا من أصحاب النبى - عليه الصلاة والسلام - فيقولون : يا أبا هريرة ما أخرجك هذه الساعة ؟

فيقول أبو هريرة : ما أخرجنى إلا الجوع .

فيقولون : نحن والله ما أخرجنا إلا الجوع .

فقاموا فدخلوا على رسول الله - ﷺ - فقال : « ما جاء بكم هذه الساعة ؟ »

قال : يا رسول الله جاء بنا الجوع .

فدعا أبو القاسم - ﷺ - بطبق فيه تمر فأعطى كل رجل منهم تمرتين وقال « **كلوا هاتين التمرتين واشربوا عليهما من الماء فإنهما ستجزيانكم يومكم هذا** » .

فأكل أبو هريرة تمرة وجعل تمرة فى حجره فسأله النبى - عليه الصلاة والسلام - : «**يا أبا هريرة لم رفعت هذه التمرة ؟** » .

قال أبو هريرة : رفعتها لأمى .

فقال النبى - ﷺ - : « **كلها فإنا سنعطيك لها تمرتين** » .

فأكل أبو هريرة التمرة وأعطاه أبو القاسم - ﷺ - تمرتين .

وذات يوم كان رسول الله - ﷺ - ومعه أبو هريرة وبعض الصحابة فى المسجد فدخل أعرابى فصلى فأخف صلاته ثم انصرف فسلم على النبى - عليه الصلاة والسلام - فقال أبو القاسم - ﷺ - : « وعليك ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ » .

فرجع الأعرابى فصلى ثم جاء فسلم عليه فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : «**وعليك فارجع صلِّ فإنك لم تصلِّ** » .

ففعل ذلك مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يأتى النبى - عليه الصلاة والسلام - فيسلم على رسول الله - ﷺ - فيقول : **وعليك فارجع صلِّ فإنك لم تصلِّ** .

فخاف الناس وكبر عليهم أن يكون من أخف صلاته لم يصلِّ .

فقال الأعرابى : فأرنى يا رسول الله وعلمنى فإنما أنا بشر أصيب وأخطىء .

فقال رسول الله - ﷺ - : « **أجل إذا قمت إلى الصلاة فتوضأ كما أمرك الله ثم تشهد فأقم فإن كان معك قرآن فاقرأ وإلا فاحمد الله وكبره وهلله ثم اركع فاطمئن راكعًا ثم اعتدل قائمًا ثم اسجد فاطمئن ساجدًا ثم اجلس فاطمئن جالسًا ثم قم فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك وإن انتقصت منه شيئًا انتقصت من صلاتك** » .

وكان هذا أهون على الناس من الأولى أنه من انتقص من ذلك شيئًا انتقص من

صلاته ولم تذهب كلها .

ثم قال الصادق المصدوق - ﷺ - « **إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ولكن ائتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا** » [أخرجه مسلم فى صحيحه والإمام أحمد والترمذى عن أبى هريرة] .

وسأل أحد الصحابة النبى - عليه الصلاة والسلام - : أى المساجد أفضل ؟

فقال رسول الله - ﷺ -: « **صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام** »[أخرجه مسلم كتاب الحج ، وابن ماجه عن أبى هريرة] .

وسئل الشافع المشفع - ﷺ -عن فضل القعود فى المسجد وانتظار الصلاة - لانتظار الصلاة - فقال : « **لا يزال أحدكم فى صلاة ما دام ينتظرها ولا تزال الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى المسجد : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه مالم يحدث** » [رواه عبد الرزاق عن أبى هريرة] .

فمال رجل على أذن أبى هريرة وسأله : وما الحدث يا أبا هريرة ؟

قال أبو هريرة : فساء أو ضراط .

وبينما أبو القاسم - ﷺ - يصلى وخلفه أصحابه عطس رفاعة بن رافع فقال : الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه مباركًا عليه كما يحب ربنا ويرضى .

فلما فرغ رسول الله - ﷺ - من صلاته تساءل : « **من المتكلم فى الصلاة ؟** »

فنظر أبو هريرة نحو رفاعة بن رافع فقال : أنا يا نبى الله .

فقال الصادق المصدوق - ﷺ - : « **كيف قلت ؟** »

قال رفاعة بن رافع : قلت : الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه مباركًا عليه كما يحب ربنا ويرضى .

فقال الشافع المشفع - ﷺ - : **والذى نفسى بيده لقد ابتدرها - تسارع إليها - بضعة وثلاثون ملكًا أيهم يصعد بها - إلى السماء -** » .

وقال أبو القاسم - ﷺ - : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن - كبير القرن - ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر »[أخرجه مسلم عن أبى هريرة] .

وقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فدنا واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصا فقد لغا - يعنى من تحدث أو أحدث صوتًا - » .

وقال الشافع المشفع - ﷺ - : « من قال يوم الجمعة والإمام يخطب أنصت فقد لغا - إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة : أنصت والإمام يخطب فقد لغوت » .

وحدث رسول الله - ﷺ - أصحابه يومًا فقال : « ثلاثة لو يعلم الناس ما فيهن ما أخذت إلا بسهمه حرصًا على ما فيهن من الخير والبركة » .

فقال أبو هريرة وبعض الصحابة : ما هن يا نبى الله ؟

قال أبو القاسم - ﷺ - : « التأذين بالصلوات والتهجير بالجماعات والصلاة فى أول الصفوف » .

ودخل المسجد رجل فجلس فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « ما منعك أن تركع ركعتين قبل أن تجلس ؟ » .

قال الرجل: يا رسول الله رأيتك جالسًا والناس جلوس .

فقال نبى الرحمة الذى أرسله الله عز وجل رحمة للعالمين - ﷺ - : « فإذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين » .

فقال الرجل : يا رسول الله حدثنى عن فضل الصلاة فى جماعة ؟

قال أبو القاسم - ﷺ - : « صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى بيته

وصلاته فى سوقه بضعًا وعشرين درجة وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى إلى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة - لا يريد إلا الصلاة - فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فإذا دخل المسجد كان فى الصلاة ما كانت الصلاة هى تحبسه والملائكة يصلون على أحدكم ما دام فى مجلسه الذى يصلى فيه يقولون : اللهم ارحمه اللهم اغفر له وتب عليه مالم يحدث فيه »[أخرجه البخارى كتاب مواقيت الصلاة عن أبى هريرة] .

يقول أبو هريرة : سمعت رسول الله - ﷺ -يقول : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها سخطه إلى يوم يلقاه »[رواه مالك والترمذى] .

وسأل الصادق المصدوق - ﷺ -: « أتدرون ما الغيبة ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال الشافع المشفع ﷺ :

- ذكرك أخاك بما يكره

فقالوا :

- أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟

قال الشافع المشفع : - ﷺ - : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقوله فقد بهته »[رواه مسلم ، والترمذى عن أبى هريرة] .

وتحدث النبى - عليه الصلاة والسلام - عن الظن فقال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » .

ونهى أبو القاسم - ﷺ - عن الكذب فقال : « كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع » .

وقرأت أميمة بنت صبيح السجدة .. ولم تسجد فهتف بها أبو هريرة

- اسجدى .. قال الصادق المصدوق - ﷺ - : « إذا قرأ ابن آدم السجدة إعتزل الشيطان يبكى يقول : يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود

فأبيت فلى النار » [رواه ابن ماجه ، الإمام أحمد ، ومسلم عن أبى هريرة] .

وسألت أميمة بنت صبيح ابنها أبا هريرة عن قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [سورة المؤمنون الآية : ١٠] فقال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ .

وأتت امرأة من الأنصار أميمة بنت صبيح فسألتها عن اتيان المرأة فى دبرها فقالت: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ـ ﷺ ـ :« ملعون من أتى امرأته فى دبرها» .

ثم قالت : قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « إن الذى يأتى امرأته فى دبرها لا ينظر الله إليه » .

وجاء أعرابى رسول الله ـ ﷺ ـ يستعينه فى شىء فأعطاه النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وسأله : « أحسنت إليك ؟ » .

قال الأعرابى : لا ولا أجملت .

فغضب أبو هريرة ونفر من الصحابة وهموا أن يقوموا إليه فأشار أبو القاسم ـ ﷺ ـ إليهم أن كفوا .

وقام رسول الله ـ ﷺ ـ إلى منزله وقدم إليه شيئًا وسأله : « أحسنت إليك ؟ »

قال الأعرابى نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا .

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك فقلت ما قلت وفى أنفس أصحابى عليك من ذلك شىء فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب عن صدورهم »

فقال الأعرابى : نعم .

فلما جاء الأعرابى سأله أبو القاسم ـ ﷺ ـ : إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضى كذلك يا أعرابى؟»

فقال الأعرابى : **نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً .**

قال رسول الله - ﷺ -لمن حوله : إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل له ناقة فشردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً فقال لهم صاحب الناقة : خلوا بينى وبين ناقتى فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها فتوجه إليها وأخذ لها من قشام ـ طعام أو نبات الأرض ـ الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها وإنى لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار »

ولقى أبو هريرة امرأة شم منها ريح الطيب ولذيلها إعصار فقال : يا أمة الجبار جئت من المسجد ؟

قالت المرأة : نعم .

فسألها أبو هريرة : تطيبت ؟

قالت المرأة : نعم .

قال أبو هريرة : إنى سمعت رسول الله - ﷺ -يقول : « لا يقبل الله صلاة امرأة تطيبت حتى ترجع فتغسل غسلها من الجنابة »

وقال أبو هريرة لأبى القاسم - ﷺ - : يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد .

قال نبى الرحمة - ﷺ - : « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم فى بيوتكم ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كى يغفر لهم »

قال أبو هريرة وبعض الصحابة : يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟

قال الصادق المصدوق - ﷺ - : « لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الأزفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ثلاثة لا يرد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حتى

يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين »

وذات ليلة وجد أبا هريرة أمه تقرأ الفاتحة فقال : قال رسول الله - ﷺ - : «الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب »

فسألته : ما معنى قوله : ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [سورة طه الآية : ١٢٤] ؟

قال أبو هريرة : قال رسول الله - ﷺ - « عذاب القبر - ضمة القبر له » .

فقالت أميمة بنت صبيح : زدنى يا بنى .

قال أبو هريرة : قال الهادى البشير - ﷺ - : « المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويفسح له فى قبره سبعون ذراعًا وينور له قبره كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما نزلت هذه الآية ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [سورة طه الآية : ١٢٤] ؟ المعيشة الضنك الذى قال الله : إنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة »

وقرأت أميمة بنت صبيح : ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية ٨٧ - ٨٨] .

قال أبو هريرة : قال رسول الله - ﷺ - : « لما أراد الله حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحمًا ولا تكسر له عظمًا فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسًا فقال فى نفسه : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو فى بطن الحوت أن هذا تسبيح دواب البحر قال : وسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا : يا ربنا إنا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة قال : ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر قالوا : العبد الصالح الذى يصعد إليك منه كل يوم وليلة عمل صالح ؟ قال : نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه فى الساحل كما قال تعالى : ﴿وهو سقيم﴾ »

وسألت أميمة بنت صبيح ابنها عن فضل يوم الجمعة فقال : قال رسول الله

- ﷺ - : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلى - وقبض أصابعه يقللها - فسأل خيراً إلا أعطاه إياه »

وسأل أبو هريرة أمه : هل قرأت قلب القرآن ؟

فقالت أميمه بنت صبيح فى عجب : ما قلب القرآن ؟

قال أبو هرير : قال رسول الله - ﷺ - : « إن لكل شىء قلبًا وقلب القرآن سورة يس » [رواه الترمذى والدرامى عن أنس].

قالت أم أبى هريرة لابنها : ما أقول إذا دخلت المسجد ؟

قال أبو هريرة : قال الصادق المضدوق - ﷺ - : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى - ﷺ - وليقل : اللهم افتح لى أبواب رحمتك وإذا خرج فليسلم على النبى - ﷺ - وليقل : اللهم اعصمنى من الشيطان الرجيم » [رواه ابن ماجه وأبو داود] .

وجاء رجل إلى النبى - عليه الصلاة والسلام - وقال له : يا رسول الله إن امرأتى ولدت غلامًا أسود .

فتساءل نبى الرحمة - ﷺ - : « هل لك من إبل ؟ » .

قال الرجل : نعم .

فتساءل النبى - عليه الصلاة والسلام - : « فما ألوانها » ؟ .

قال الرجل : حمر .

فعاد الصادق المصدوق - ﷺ - يتساءل : « فهل فيها من أوراق » ؟

قال الرجل : نعم .

فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « فأنى أتاها ذلك » ؟

قال الرجل : عسى أن يكون نزعة عرق - يرجع إلى الورثة .

فقال الهادى البشير - ﷺ -: وهذا - يعنى الولد - عسى أن يكون نزعة عرق » .

وسأل أحد الصحابة رسول الله، - ﷺ -عن أسماء الله فقال : « إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » .

ثم قال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « كل أمتى يدخلون الجنة يوم القيامة إلا من أبى ».

فقال أبو هريرة ونفر من الصحابة : من يأبى يا رسول الله ؟

قال أبو القاسم - ﷺ : « من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » . ثم أردف: « إن أهل الجنة ليتراءون فى الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدرى الغارب فى الأفق الطالع فى تفاصيل أهل الدرجات » .

فقال أبو هريرة : يا رسول الله أولئك النبيون ؟

قال رسول الله - ﷺ - : « بلى والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل» .

ثم قال - عليه الصلاة والسلام - : « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغطون ولا يتمخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء » [رواه الإمام أحمد] .

ثم تساءل النبى - ﷺ - : « ألا أخبركم بخير البرية ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال نبى الرحمة - ﷺ - : رجل أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله كلما كانت هيعة - نداء للجهاد فى سبيل الله - استوى عليه . ألا أخبركم بخير البرية ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال أبو القاسم - ﷺ - : **رجل فى ثلة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة . ألا أخبركم بشر البرية ؟**

قالوا : بلى .

قال رسول الله - ﷺ - : **الذى يسأل بالله ولا يعطى به** »[رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة] .

وسمع أبو هريرة أمه تقول : إن رمضان على الأبواب .

فقال لها : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا : شهر رمضان** » .

ثم أضاف قائلاً : قال الصادق المصدوق - ﷺ - : « **جعل الله الأهلة فإذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فافطروا فإن غمى عليكم فأكملوا العدة ثلاثين** » .

ودخلت ابنة أبى هريرة عليه وقالت : لقد ارتكبت إثمًا . .

فتساءل أبو هريرة : لماذا ؟

قالت ابنة أبى هريرة : نسيت وشربت شربة ماء .

فقال أبو هريرة أكملى صومك فقد قال أبو القاسم - ﷺ - : « **سقاه الله وأطعمه** » .

وذكر أبو هريرة أبا القاسم - ﷺ - أمام زوجته فلم تصلِّ ولم تسلم عليه فقال : قال رسول الله - ﷺ - : « **صلوا على فإنها زكاة لكم وسلوا الله لى الوسيلة فإنها درجة فى أعلى الجنة ولا ينالها إلا رجل وأرجو أن أكون أنا هو** »

وسألت امرأة أبى هريرة عن الفلق فقال : جب فى جهنم مغطى .

وسمع أبو هريرة أمه تقرأ سورة الدخان فقال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول:

« من قرأ سورة الدخان فى ليلة الجمعة غفر له »

وسألت أميمة بنت صبيح ابنها : يا أبا هريرة حدثنى عن الحب فى الله ؟

قال أبو هريرة : قال رسول الله - ﷺ - : « **لو أن رجلين تحابا فى الله أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول : هذا الذى أحببته فىّ** » .

وذات ضحى جلس رسول الله - ﷺ - فى ظل مسجده وحوله أصحابه فقال : «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء** ؟ [رواه الترمذى عن أبى هريرة] .

فقال أبو هريرة : يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرًا ؟

قال النبى - عليه الصلاة والسلام - : **والله أعلم بما كانوا عاملين** .

فقال البراء بن عازب : وأطفال المسلمين ؟

قال رسول الله - ﷺ - : **هم مع آبائهم** » .

تساءل أبو هريرة هل يحتج أحد يوم القيامة ؟

قال رسول الله - ﷺ - : « **أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئًا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات فى فترة فأما الأصم فيقول : رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا وأما الأحمق فيقول : رب قد جاء الإسلام والصبيان يحذفونى بالبعر وأما الهرم فيقول : رب لما جاء الإسلام وما أعقل شيئًا وأما الذى مات فى الفترة فيقول : رب ما أتانى لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فوالذى نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا ومن لم يدخلها يسحب إليها** » [رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة] .

وجاء ناس من أصحاب رسول الله - ﷺ - فقالوا : يا رسول الله إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به .

فتساءل النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « وقد وجدتموه ؟

قالوا : نعم .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : ذاك صريح الإيمان » .

قال أبو هريرة : يا رسول الله إذا هم العبد بسيئة ولم يفعلها هل تكتب عليه ؟

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « قال الله : إذا تحدث عبدى بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة مالم يعمل فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها فإن عملها فأنا أكتبها له بمثلها »

ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن الله تجاوز لى عن أمتى ما حدثت به نفسها ما لم تكلم أو تعمل » [رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة] .

ودعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ على طعام .

يقول أبو هريرة : فانطلقنا معه فلما طعم رسول الله ـ ﷺ ـ وغسل يديه قال : «الحمد لله الذى يطعم ولا يطعم ومن علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا من الشراب وكسانا من العرى وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودع ربى ولا مكافىء ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذى أطعمنا من الطعام وسقانا من الشراب وكسانا من العرى وهدانا من الضلال وبصرنا من العمى وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً الحمد لله رب العالمين ﴿قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ » .

ورأى أبو هريرة زوجته فى يدها حديدة تهدد بها ابنتها فقال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لا يشيرن أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان أن ينزغ فى يده فيقع فى حفرة من النار »

وسألت أميمة بنت صبيح أبا هريرة عن صدقة الربا فقال : قال الصادق المصدوق ـ ﷺ ـ : « إن الرجل ليتصدق بالصدقة من الكسب الطيب ولا يقبل الله إلا الطيب فيتلقاها الرحمن بيده فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله »

وقال رسول الله - ﷺ -لأصحابه : « لا يدخل النار إلا الشقى

قال أبو هريرة : ومن الشقى ؟

قال النبى - عليه الصلاة والسلام - : من لم يعمل بطاعة الله ومن لم يترك له معصية »[رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه عن أبى هريرة] .

وسأل أحد الصحابة النبى - عليه الصلاة والسلام - عن استئذان النكاح فقال : «لا تنكح البكر حتى تستأمر ولا الثيب حتى تشاور »

قال أبو هريرة وبعض الصحابة : يا رسول الله إن البكر تستحى ؟

قال نبى الرحمة - ﷺ -: « فإن سكوتها رضاها » [رواه ابن عساكر] .

ورأى النبى - عليه الصلاة والسلام - فى يد أبى هريرة سواكًا فقال :

« لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك».

وذات يوم أبصر أبو هريرة رجلاً يمزج اللبن بالماء فاقترب منه وقال : يا هذا ماذا تفعل يوم القيامة عندما يطلب الجبار منك أن تفصل اللبن عن الماء ؟

فأقسم الرجل ألا يعود إلى ذلك .

وذات ليلة رجع أبو هريرة إلى بيته فوجد امرأته نائمة فأيقظها وقال لها

- قال رسول الله - ﷺ -: « قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام لسليمان : يا بنى لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة »

ووكل رسول الله - ﷺ -أبا هريرة بحفظ زكاة رمضان فأتاه آت فجعل يحثو من الطعام فأخذه أبو هريرة وقال : لأرفعنك إلى رسول الله - ﷺ -

قال : دعنى فإنى محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة .

فخلى أبو هريرة عنه .

فلما أصبح سأله النبى - عليه الصلاة والسلام - : « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك

البارحة ؟

قال أبو هريرة : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله .

فقال أبو القاسم ـ ﷺ ـ : **أما أنه قد كذبك وسيعود »** .

فعرف أبو هريرة أنه سيعود لقول رسول الله ـ ﷺ ـ أنه سيعود. فرصده أبو هريرة فجاء يحثو من الطعام فأخذه أبو هريرة وقال : لأرفعنك إلى رسول الله ـ ﷺ ـ .

قال : دعنى فإن محتاج ولى عيال ولا أعود .

فرحمه أبو هريرة وخلى سبيله فلما أصبح قال له النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **« يا أبا هريرة : ما فعل أسيرك البارحة ؟**

قال أبو هريرة : يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله .

قال الصادق المصدوق ـ ﷺ ـ : **أما انه قد كذب وسيعود »** .

فرصده أبو هريرة الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام فأخذه أبو هريرة وقال : ـ لأرفعنك إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود .

فقال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها .

فتساءل أبو هريرة : وما هى ؟

قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى **﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾** [سورة البقرة الآية : ٢٥٥] حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح».

فخلى أبو هريرة سبيله : فلما أصبح سأله النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **« ما فعل أسيرك البارحة ؟ »**.

قال أبو هريرة : يا رسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت

سبيله .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : **« ما هى ؟ »** .

قال أبو هريرة : قال لى : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية. ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقال لى : لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شىء على الخير .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : **« أما إنه صدقك وهو كذوب . تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ »** .

قال أبو هريرة : لا .

قال الصادق المصدوق ـ ﷺ ـ : **«ذاك شيطان »** .

ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **« يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش ؟ »** .

قال أبو هريرة : نعم فداك أبى وأمى .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **« أن تقول : لا قوة إلا بالله »** .

وخرج أبو هريرة مع رسول الله ـ ﷺ ـ يوم فتح مكة وشهد حنينًا وحصار الطائف . .

وجاء رجل إلى زيد بن ثابت فسأله . . فقال زيد للرجل : عليك بأبى هريرة .

يقول زيد بن ثابت فإنى بينما أنا وأبو هريرة وفلان فى المسجد ندعو الله ونذكره إذ خرج علينا رسول الله ـ ﷺ ـ حتى جلس إلينا فقال : **« عودوا للذى كنتم فيه »**.

قال زيد بن ثابت : فدعوت أنا وصاحبى فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يؤمن على دعائنا .

ودعا أبو هريرة فقال : إنى أسألك ما سأل صاحباك وأسألك علمًا لا ينسى.

فقال رسول الله - ﷺ -: « آمين ».

فقال زيد بن ثابت وصاحبه : يا رسول الله ونحن نسألك علمًا لا ينسى .

فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « سبقكم بها الغلام الدوسى - يعنى أبا هريرة - »

وعلم رسول الله - ﷺ -أن رجلاً من الأنصار مريضًا فصحب أبا هريرة وانطلقا إليه فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « من عاد مريضًا أو زار أخا له فى الله ناداه مناديان : طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا »

ثم قال الهادى البشير - ﷺ - : « إن رجلاً زار أخا له فى قرية فأرصد الله تعالى على مدرجته - طريقه - ملكًا فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمة تربها - تقوم بها وتسعى فى صلاحها - ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » [رواه الإمام أحمد ، والبخارى فى الأدب] .

ولما رجع رسول الله - ﷺ -وأبو هريرة لقيا رجلاً فشكا لرسول الله - ﷺ -جاره فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - له : « اذهب فاصبر »

فرجع الرجل يشكو جاره فقال له رسول الله - ﷺ - : « اذهب فاصبر»

فأتاه الرجل مرة ثالثة فقال له النبى - عليه الصلاة والسلام - : « اذهب فاطرح متاعك فى الطريق » .

فرجع الرجل وطرح متاعه فى الطريق فجعل الناس يمرون ويسألونه فيخبرهم بخبر جاره فقالوا : عليه اللعنة .. فعل الله به وفعل .

فجاء إليه جاره فقال : ارجع فإنك لن ترى منى شيئًا تكره .

وأقبل رجل فقال : يا رسول الله : إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها .

قال رسول الله - ﷺ - : « هى فى النار »

فقال أبو هريرة : يا رسول الله : فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها وإنها تتصدق بالأنوار من الأقط ولا تؤذى جيرانها .

قال أبو القاسم - ﷺ - : « هى فى الجنة »

ثم قال رسول الله - ﷺ - : « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله غفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك » .

ثم أردف « إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فإنه لا يدرى ما يكتب له من أمنيته» .

وسأل أبو هريرة رسول الله - ﷺ - عما رأى ليلة أسرى به فقال : « رأيت ليلة أسرى بى لما انتهيت إلى السماء السابعة فنظرت فوق فإذا رعد وبرق وصواعق وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء آكلوا لربا فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل منى فإذا أنا بوهج ودخان وأصوان فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم لا يتفكرون فى ملكوت السموات والأرض ولولا ذلك لرأوا العجائب » [رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة] .

وجلس رسول الله - ﷺ - فى مسجده عقب صلاة العصر فقال لأصحابه : « إن من عباد الله عبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء » .

فقال أبو هريرة : من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم ؟

قال أبو القاسم - ﷺ - : « هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس » .

ثم قرأ : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس الآية :

٦٢] [رواه ابن جرير ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة] .

وخرج أبو هريرة مع النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يوم تبوك وحجة الوداع . . ورجع رسول الله - ﷺ -يشتكى . . وذهب أبو هريرة يعود رسول الله - ﷺ -فأذن له فدخل فسلم وهو قائم والنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ متساند إلى صدر على بن أبى طالب ويده على صدره ضامة إليه والنبى - ﷺ -باسط رجليه فقال لأبى هريرة : « ادن يا أبا هريرة .

ثم قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **ادن يا أبا هريرة .**

فدنا حتى مست أطراف أصابع أبى هريرة أصابع النبى - ﷺ - ثم قال له : **اجلس.**

فجلس أبو هريرة . . فقال له: **ادن من طرف ثوبك .**

فمد أبو هريرة ثوبه فأمسك بيده ففتحه وأدناه - ﷺ - فقال له رسول الله ـ **«أوصيك يا أبا هريرة بخصال لا تدعهن ما بقيت »**

قال أبو هريرة : أوصنى ما شئت .

قال الصادق المصدوق - ﷺ - : **« عليك بالغسل يوم الجمعة والبكور إليها ولا تلغ ولا تله وأوصيك بصيام ثلاثة أيام من كل شهر فإنه صيام الدهر وأوصيك بركعتى الفجر لا تدعهما وإن صليت الليل كله فإن فيهما الرغائب .. فإن فيهما الرغائب .. فإن فيهما الرغائب »** .

ثم قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ضم إليك ثوبك .

فضم أبو هريرة ثوبه إلى صدره وقال : يا رسول الله بأبى وأمى أسر هذا أو أعلنه؟

قال أبو القاسم - ﷺ - : **أعلنه يا أبا هريرة .. أعلنه يا أبا هريرة .. أعلنه يا أبا هريرة »** .

ولما انتقل رسول الله - ﷺ - إلى جوار ربه راح أبو هريرة يحدث فيقول : قال

رسول الله - ﷺ - : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » [أخرجه البخارى والإمام أحمد والترمذى عن أبى هريرة] .

وقال : قال الصادق المصدوق - ﷺ - « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم » .

ثم قال : قال رسول الله - ﷺ - : « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداع - غير تام - فهى خداع فهى خداع » [رواه ابن عدى عن عائشة] .

وقال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » [رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة] .

وقال : قال أبو القاسم - ﷺ - « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولو : لا إلـه إلا الله فمن قال : لا إلـه إلا اللـه فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل» [رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة] .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله - ﷺ - « ثلاث لا يمنعن : الماء والكلأ والنار »

وقال : الصادق المصدوق - ﷺ - : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » [رواه الترمذى عن أبى هريرة]

وقال أبو هريرة : قال رسول الله - ﷺ - : « لما قضى الله على الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتى غلبت غضبى »

وجاء رجل إلى أبى هريرة فقال : إنى أصبحت صائمًا فجئت أبى فوجدت عنده خبزًا ولحمًا فأكلت حتى شبعت **ونسيت أنى صائم** .

فقال أبو هريرة : **الله أطعمك** .

فخرج الرجل حتى أتى صديقًا فوجد عنده لقحة ـ ناقة ذات لبن ـ تحلب فشرب من لبنها حتى روى ثم رجع إلى أبى هريرة وقال له : أتيت فلانًا فوجدت عنده لقحة تحلب فشربت من لبنها حتى رويت ونسيت أنى صائم .

فقال أبو هريرة : **الله سقاك** .

ثم خرج الرجل إلى أهله وثقل فلما استيقظ دعى بماء فشرب .. وأسرع إلى أبى هريرة فقال له : **يابن أخى أنت لم تعود للصيام** .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله - ﷺ -: « **ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان يقولان - ينزلان - فيقول أحدهما : اللهم اعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكًا تلفًا** »[رواه الترمذى عن الزبير] .

وأخذ يحدث ويحدث لا يصده عن الحديث صاد فقال طلحة بن عبيد الله :

ـ لا شك أن أبا هريرة سمع من رسول الله - ﷺ -ما لم نسمع .

وعجب أصحاب رسول الله - ﷺ - وتساءلوا :

أنى له كل هذه الأحاديث ؟ ومتى سمعها ووعاها ؟

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأبى هريرة :

لتتركن الحديث عن رسول الله - ﷺ - أو لألحقنك بأرض دوس ـ أرض قومه ـ

هل خشى أمير المؤمنين أن تشغل الناس كثرة الأحاديث عن قراءة القرآن ؟ هل يضمن أبو حفص أن تحرف وتزيف ؟ أو تتخذ سبيلاً للكذب على رسول الله ـ ﷺ ـ والنيل من الإسلام ؟

وكان أبو هريرة واثقًا من نفسه ومن أمانته لقد حفظ أكثر من خمسمائة آلاف وثلاثمائة وكسر حديثا . . لقد كان أحفظ أصحاب رسول الله - ﷺ - وكان أحفظهم لأخبار رسول الله - ﷺ - .

قال أبو هريرة وكأنه يدفع عنه الريب والشكوك وينفى عن نفسه اتهام الفاروق : يا أمير المؤمنين قال رسول الله الصادق المصدوق أبو القاسم - ﷺ - « من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار » [رواه النسائى ، وابن ماجه عن أنس]

ثم قال: يا أبا حفص إنكم لتقولون أكثر أبو هريرة فى حديثه عن النبى - ﷺ - . . وتقولون : إن المهاجرين الذين سبقوه إلى الإسلام لا يحدثون هذه الأحاديث ؟؟ ألا إن أصحابى من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم بالسوق وأن أصحابى من الأنصار كانت تشغلهم أرضهم . . وإنى كنت امرءًا مسكينًا أكثر مجالسة رسول الله - ﷺ - فأحضر إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا . . وإن النبى - ﷺ - حدثنا يومًا فقال : « من يبسط رداءه حتى يفرغ من حديثى ثم يقبضه إليه فلا ينسى شيئًا كان قد سمعه منى» . . فبسطت ثوبى فحدثنى ثم ضممته إلى فوالله ما كنت نسيت شيئًا سمعته منه . . وايم الله لولا آية فى كتاب الله ما حدثتكم بشىء أبدًا هى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٥٩].

واستعمل أمير المؤمنين عمر أبا هريرة على البحرين . فربح عشرة آلاف ادخرها من مصادره الحلال فلما علم الفاروق دعاه إلى المدينة . . فقدم فقال له :

يا عدو الله وعدو كتابه أسرقت مال الله ؟

قال أبو هريرة : ما أنا بعدو الله ولا عدو كتابه لكنى عدو من عاداهما ولا أنا من يسرق مال الله .

فتساءل أمير المؤمنين عمر : **فمن أين لك عشرة آلاف ؟**

قال أبو هريرة خيل نتجت ـ تناتجت ـ وأعطية تتابعت وخراج رقيق لى .

فنظر عمر بن الخطاب فوجدها كما قال أبو هريرة . . فدعاه ليستعمله وعرض عليه الولاية من جديد فأبى أبو هريرة وقال : حتى لا يشتم عرضى ويضرب ظهرى . . وأخاف أن أقضى بغير علم وأقول بغير حلم .

فقال أمير المؤمنين عمر : لقد طلب العمل من كان خيراً منك .

فتساءل أبو هريرة : ومن ؟.

قال أبو حفص : يوسف .

-قال أبو هريرة : إن يوسف نبى الله وأنا أبو هريرة بن أميمة وأخشى أن أقضى بغير حكم وينزع مالى .

وسمع أبو هريرة رجلاً فى المسجد يقرأ قوله تعالى ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ .

فقال أبو هريرة : قال الصادق المصدوق ـ ﷺ ـ : « ما خلا يهودى بمسلم إلا هم بقتله » .

وقرأ رجل سورة التين . . فلما انتهى إلى آخرها قال أبو هريرة : سمعت حبيبى أبا القاسم ـ ﷺ ـ يقول : « من قرأ بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فليقل : بلى» .

وجاء رجل إلى أبى هريرة فقال له : إن فلانًا خبب ـ خدع وأفسد ـ على امرأتى .

فقال أبو هريرة : قال البشير النذير ـ ﷺ ـ : « من خبب عبداً على أهله فليس منا ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا » [رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة].

يقول أبو هريرة : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » [رواه سعيد بن منصور عن

مكحول مرسلا] .

وقال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : من لم يسأل الله يغضب عليه »

ولقى أبو هريرة سعيد بن المسيب فقال له : اسأل الله يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة .

فقال سعيد بن المسيب : أو فيها سوق ؟

قال أبو هريرة نعم أخبرنى رسول الله - ﷺ - إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدى فى روضة من رياض الجنة ويوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دنى على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسًا .

ولقى أبو هريرة كعب الأحبار فجعل يحدثه ويسأله . . فقال كعب الأحبار : ما رأيت رجلاً لم يقرأ التوراة أعلم بما فى التوراة من أبى هريرة .

ولما حاصر المتمردون دار أمير المؤمنين عثمان بن عفان دخل أبو هريرة على ذى النورين وقال له : جئت لأنصرك وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين .

فقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان : يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعًا وإياى معهم ؟

قال أبو هريرة : لا .

قال ذو النورين : فإنك إن قتلت رجلاً واحدًا فكأنما قتلت الناس جميعًا فانصرف مأذونًا لك مأجورًا غير مأزور .

فانصرف أبو هريرة ولم يقاتل .

وسئل أبو هريرة عن وصف رسول الله - ﷺ - فقال : ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله - ﷺ - كأن الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت أحدًا أسرع فى مشيته من رسول الله - ﷺ - كأنما الأرض تطوى له وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث .

تقول أميمة بين صبيح : سمعت أبا هريرة يقول دعاء سمعه من رسول الله - ﷺ - لا ادعه : « اللهم اجعلنى أعظم شكرك وأتبع نصيحتك وأكثر ذكرك وأحفظ وصيتك »

وسألت أميمة بنت صبيح ابنها أبا هريرة : لماذا سمى الله إبراهيم خليله الذى وفى؟

قال أبو هريرة : سألنا رسول الله - ﷺ - هذا السؤال فقال : « لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [سورة الروم الآية : ١٨] » .

وقتلت ابنة أبى هريرة نملة فقال لها : نهى الصادق المصدوق أبو القاسم - ﷺ - عن قتل أربع من الدواب : النملة والنحلة والهدهد والصرد .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله - ﷺ - : « سافروا تربحوا وصوموا تصحوا واغزوا تغنموا » .

وقال أبو عثمان لأبى هريرة : يا أبا هريرة سمعت من إخوانى بالبصرة أنك تقول : سمعت نبى الله- ﷺ - يقول : « إن الله يجزى بالحسنة ألف ألف حسنة »

فقال أبو هريرة : بل سمعت رسول الله- ﷺ - يقول : « يجزى الله بالحسن ألفى ألفى حسنة ثم تلا هذه الآية﴿ فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ﴾»

ثم قال أبو هريرة : قال النبى- ﷺ - : « إن فى الجنة لغرفًا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها . فقلنا : لمن هذه يا رسول الله ؟ قال : لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام »

ثم أردف : سألنا أبو القاسم يومًا : أتدرون من السابقون إلى ظل الله عز وجل ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال : الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم .

ونهض أبو عثمان ولم يسلم فقال له أبو هريرة : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

ـ « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة » .

وقال أبو هريرة لمروان بن الحكم :

قال رسول الله ﷺ :

ـ إذا صلى أحدكم ركعتى الفجر فليضطجع عن يمينه

فقال مروان بن الحكم :

ـ أما يكفى ممشاه إلى المسجد حتى يضطجع ؟

فقال أبو هريرة : لا .

فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال : أكثر أبو هريرة .

فقيل لأبى عبد الرحمن : هل تنكر شيئًا مما قال ؟

قال عبد الله بن عمر : لا ، ولكنه أجرأ وجبنا .

فبلغ ذلك أبا هريرة فقال : ما ذنبى إن كنت حفظت ونسوا ـ يقصد أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ .

ولما مات ريحانة رسول الله ـ ﷺ ـ الحسن بن على ذهب أبو هريرة إلى مروان بن الحكم وكان الأمير يومئذ فقال له : إنا نريد أن ندفن حفيد رسول الله ـ ﷺ ـ عند جده .

فقال مروان بن الحكم : تدخل فيما لا يعنيك ؟ منعوا عثمان من دفنه .

ويريدون دفن الحسن فى بيت عائشة؟

فقال أبو هريرة :

ـ ولكنك تريد رضا الغائب ـ معاوية بن أبى سفيان ـ والله ما هو إلا ظلم يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه .

ودفن مع أمه بالبقيع .

يقول أبو الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم : أرسل مروان إلى أبى هريرة فجعل يحدثه وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به حتى إذا كان رأس الحول أرسل إليه فسأله وأمرنى أن أنظر فما غير حرفا عن حرف .

واختلف مروان بن الحكم أبا هريرة على مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ وخرج إلى مكة فصلى أبو هريرة بالناس يوم الجمعة وقرأ : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۞ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة الآية : ١ـ ٢] . وفى السجدة الثانية قرأ : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون الآية : ١] .

فقال أبو عبد الله بن أبى رافع : تقرأ بسورتين كان على بن أبى طالب يقرأ بهما بالكوفة ؟

قال أبو هريرة : إنى سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقرأ بهما .

وسأل رجل أبا هريرة عن قوله تعالى ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۞ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة النور الآية : ٣٦ ، ٣٧] .

قال أبو هريرة : المسبحون هم المراقبون أمر الله والطالبون رضاءه الذين لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله شىء من أمور الدنيا والذين إذا سمعوا النداء ـ الأذان ـ تركوا كل شغل وبادروا ـ أولئك أهل الأسواق ـ فقد سمعت حبيبى ـ ﷺ ـ يقول : « من غدًا إلى المسجد أعد الله له نزلاً فى الجنة كلما غدا أو راح »

ثم أردف : « كل تسبيح فى القرآن صلاة »

وشهد أبو هريرة جنازة . . فلما رجع قال لأصحابه : سمعت أبا القاسم ـ ﷺ ـ يقول : « كان ملك الموت يأتى الناس عيانًا فأتى موسى ـ عليه السلام ـ فقال : أجب

ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها فرجع إلى الله فقال : إنك بعثتنى إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عينى ولولا كرامته عليك لعتبت عليه ـ لشققت عليه ـ فرد الله عز وجل عينه وقال له : اذهب إلى عبدى فقل له : الحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على مسك ـ جلد ـ ثور فما وارت يدك عن شعرة فإنك تعيش بها سنة فأتاه فقال له : ما بعد هذا ؟ قال : الموت قال موسى ـ عليه السلام ـ : فالآن فشمه شمة فقبض روحه »

وسأل رجل أبا هريرة عن قوله تعالى : ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّن ﴾ [سورة الحجرات الآية : ١٢] .

فقال : لا تحدث غيرك بمساوىء إنسان ولا تسىء الظن به فقد سمعت الصادق المصدوق ـ ﷺ ـ يقول : « **إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسهم ما لم تتكلم به أو تعمل** » .

ورأى أبو هريرة رجلاً يتكفف الناس فقال لمن حوله : سمعت الهادى البشير ـ ﷺ ـ يقول : « **لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه فيستغنى عن الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول** » [رواه البيهقى فى شعب الإيمان] .

وسأل رجل أبا هريرة عن فضل شهر رمضان فقال : سمعت نبى الرحمة ـ ﷺ ـ يقول : « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادى مناد : يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة** »

وأردف : وقال الصادق المصدوق ـ ﷺ ـ : « **لا تقدموا الشهر بيوم أو يومين إلا أن يوافق ذلك صومًا كان يصومه أحدكم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين ثم افطروا** »

وقال رجل لأبى هريرة : ما يقول الرجل إذا رأى مبتلى بمرض أو غيره ؟

قال أبو هريرة : قال الشافع المشفع - ﷺ - : « من رأى مبتلى فقال : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا لم يصبه ذلك البلاء » [رواه الشيرازى فى الألقاب عن أبى هريرة] .

يقول أبو عثمان النهدى : تضيفت أبا هريرة سبعًا فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثًا يصلى هذا ثم يوقظ هذا وكان أبو هريرة يسبح كل يوم اثنتى عشرة تسبيحة ويقول : أسبح بقدر ذنبى .

واشتكى أبو هريرة . فدخل عليه أبو سلمة بن عبد الرحمن وهو شديد الوجع فاحتضنه وقال : اللهم اشف أبا هريرة .

فقال أبو هريرة : اللهم لا ترجعها . . اللهم لا ترجعها والله الذى نفس محمد بيده ليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه فيتمنى أنه صاحبه .

وبينما كان عواده يدعون له بالشفاء من مرضه كان يلح على الله قائلاً : اللهم إنى أحب لقاءك فأحب لقائى .

ولما حضره الموت قال : لا تضربوا على فسطاطًا ولا تتبعونى بمجمرة وأسرعوا بى.

وعن ثمان وسبعين سنة مات أبو هريرة فى العام التاسع والخمسين للهجرة .

وبين ساكنى البقيع الأبرار تبوأ جثمانه لقد دعى إلى رحلة الأبد فلبى الدعاء فى شوق عظيم .

* * *

أم علقمة

جلس رسول الله - ﷺ -في مسجده ومعه أصحابه يحدثهم عن بر الوالدين والإحسان إليهما فأقبل رجل من الأنصار وقال : يا نبى الله إن علقمة قد حضرته الوفاة فقلنا له : قل لا إلـه إلا الله . . فلم يستطع .

فتساءل نبى الرحمة - ﷺ - : « كان يصلى ؟

قال الأنصارى : نعم .

فقام النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومعه نفر من أصحابه ومشوا إلى دار علقمة . ودخل أبو القاسم - ﷺ -وقال له : يا علقمة قل : لا إلـه إلا الله

فقال علقمة : لا أستطيع .

فتساءل رسول الله - ﷺ - ولم ؟

فقال أهل بيت علقمة : كان يطيع زوجته ويعق أمه .

فقال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : أحية والدته ؟

قالوا : نعم .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : ادعوها .

فجاءت أم علقمة . . كانت عجوزًا تتوكأ على عصا فقال لها رسول الله ـ ﷺ ـ : ـ هذا ابنك ؟

فنظرت أم علقمة نحو علقمة بعينين ذابلتين وقالت : نعم .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أرأيت لو أججت نارًا ضخمة فقيل لك إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له ؟

قالت أم علقمة : يا رسول الله إذا أشفع . .

فقال أبو القاسم ـ ﷺ ـ : **فأشهدى الله وأشهدينى أنك قد رضيت عن علقمة .**

أسندت أم علقمة عصاها إلى الحائط ووضعت يدها على رأس ابنها علقمة وقالت اللهم إنى أشهدك وأشهد رسولك أنى قد رضيت على ابنى علقمة .

فقال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **يا غلام قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده رسوله .**

فقال علقمة : لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : **الحمد لله الذى أنقذه بى من النار » .**

* * *

كبشة بنت رافع بن عبيد

كانت الشمس ترتفع من خلف جبال يثرب كأنها قرص من الفضة يتوهج عندما عادت كبشة بنت رافع من بنى النجار إلى دارها فقام ابنها سعد بن معاذ سيد بنى عبد الأشهل وحياها بتحية الصباح ثم سألها : كيف حال خالتى ؟

قالت كبشة بنت رافع : صبأت وتركت دين آبائها . . لقد زعمت أنها أسلمت .

قال سعد بن معاذ : راح ابنها أسعد بن زرارة يحدثها عن محمد بن عبد الله وأنه لقيه فى مكة و . . .

قالت كبشة بنت رافع : إن أمر ابن خالتك صار عجبًا . . أصحابه يدعونه بأسعد الخير . . أول الأنصار إسلامًا . . أول من أدخل الإسلام يثرب . . . ولقد أقام مسجدًا فى حرة بنى بياضة فى نقيع الخضمات ويوم الجمعة أقبل أربعون من أصحابه فقام فيهم خطيبًا . . وأجمع ـ كان أسعد بن زرارة أول من صلى الجمعة بيثرب قبل مقدم رسول الله ـ ﷺ ـ إليها ـ وبعث إلى صاحبه بمكة فبعث إليه وافدًا ليعلمهم ويفقههم فى أمور دينهم ويؤمهم فى صلاتهم .

فقال سعد بن معاذ : وهل رضى بنى النجار بذلك ؟

قالت كبشة بنت رافع : ضايق بنى النجار مقدم وافد مكة وقالوا : أبو أمامة جاء برجل غريب سفهه ضعفاءنا .

وجاء صوت أسيد بن حضير . . فخرج سعد بن معاذ إلى ابن عمه . . جلس سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وبعض رجال بنى عبد الأشهل يتحدثون في شئون الأوس وراحت كبشة بنت رافع تسترق السمع .

أقبل رجل من بنى عبد الأشهل فقال لاهثًا : يا أبا عمرو . . يا أبا عمرو .

فتساءل سعد بن معاذ : ما وراءك يا رجل ؟

قال الرجل : أبو أمامة ابن خالتك جاء برجل غريب من مكة فجلسا إلى وهط من قومك يحدثهم عن الإسلام و . . .

فبسط سعد بن معاذ يده ومد ذراعيه وقال : حسبك . .

ثم ألتفت سعد بن معاذ إلى ابن عمه أسيد بن حضير وقال لــه : لا أبًا لك ائت أسعد بن زرارة فأزجره عنا فليكف عنا ما نكره فإنه بلغنى أنه جاء بهذا الغريب يسفه سفهاءنا وضعفاءنا . فإنه لولا أسعد بن زرارة من حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدمًا .

همت كبشة بنت رافع أن تندفع نحو الباب وتطلب من أبى يحيى أن يترفق بابن أختها ولكن أسيد بن حضير أخذ حربته وانطلق إلى أبى أمامة ومصعب بن عمير .

وعاد أسيد بن حضير وقومه جلوس ناديهم فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال:
ـ أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم .

فلما وقف أبو يحيى على نادى بنى عبد الأشهل سأله سعد بن معاذ : ما فعلت ؟

قال أسيد بن حضير : كلمت الرجلين فو الله ما رأيت بهما بأسًا وقد نهيتما فقالا: نفعل ما أحببت . . وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك لخفروك ـ خفر الرجل أى أجاروه وكان له خفيرا يمنعه ـ

وعجبت كبشة بنت رافع إنها لم تسمع بخروج بنى حارثة ليقتلوا أبا أمامة ، هل قبل سعد بن معاذ أن ينقض أحد عهده ؟

وثارت فى سعد بن معاذ نخوة الجاهلية وغضب كيف ينقض أحد عهده ؟ فقام مغضبًا مبادرًا فأخذ حربة أبى يحيى من يده وقال : والله ما أراك أغنيت شيئًا .

ثم انطلق إلى أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير ولكن ما سر هذه البسمة التى رفت على شفتى أسيد بن حضير ؟

هل نجح فى أن يطلق سعد بن معاذ إلى أبى إمامة ووافد مكة ليسمع منهما ؟ .

أقبل سعد بن معاذ عليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير : لقد جاءك والله سيد من وراءه من قومه أن يتبعك ـ كما اتبعك أسيد بن حضير ـ لا يتخلف عنك منهم إثنان . .

فلما رآهما مطمئنين عرف سعد بن معاذ سر بسمة ابن عمه أسيد بن حضير . . إنما أراد منه أن يسمع منهما . فوقف عليهما مُتشتما ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت منى هذا، هذا يغشانا فى دارنا بما نكره.

فقال له أسعد بن زرارة : يا ابن خالة اسمع من قوله فإن سمعت منكرًا فاردده بأهدى منه وإن سمعت خيرًا فأجب إليه .

ورأى مصعب بن عمير من سعد بن معاذ اللين فقال له : أوتقعد تسمع ؟ فإن رضيت أمرًا قبلته وإن كرهت عزلنا عنك ما تكره .

قال سعد بن معاذ : أنصفت .

ثم ركز حربته والتفت إلى ابن خالته أسعد بن زرارة وتساءل : ماذا يقول ؟

فراح مصعب يقرأ : ﴿حم ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ③ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ④ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ⑤ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ ⑥ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ⑦ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الأَوَّلِينَ ⑧ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ⑨ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ⑩ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ⑪ وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ⑫ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ⑬ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [سورة الزخرف الآية : ١ ـ ١٤] .

سمع سعد بن معاذ آيات الذكر الحكيم فإذا بفؤاده يتألق بالنور وأخذ بعذوبة القرآن . . ورأى أسعد بن زرارة الانفعالات فى وجه ابن خالته . . هل فعل القرآن فى سعد الأفاعيل ؟

ونهض سعد بن معاذ وهو شارد فأخذ حربته وأقبل عامدًا إلى نادى بنى عبد الأشهل فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع لكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم .

فلما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟

قال بنو عبد الأشهل : سيدنا وأفضلنا رأيًا وأيمننا وأبركنا نقية وأمرًا .

قال سعد بن معاذ فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . .

لم تصدق كبشة بنت رافع أذنيها . . وسرت همهمة بين بنى عبد الأشهل . . فقال سعد بن معاذ : من شك فيه من صغير أو كبير فليأتنا بأهدى منه فوالله لقد جاء أمر لتحزن فيه الرقاب . .

ونطقت كبشة بنت رافع بشهادة الحق .

وراح سعد بن معاذ وأسيد بن حضير يشرحان الإسلام ويتلوان على بنى عبد الأشهل ما حفظا من القرآن . . لقد أراد الله عز وجل لبنى عبد الأشهل الهداية فألقى فى قلوبهم أنوار اليقين . . فما أمسى فى قبيلة بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة .

وقاموا إلى أصنامهم يحطمونها وجعلوا أوثانهم وآلهتم جذاذًا . فضايق ذلك الكافرين من بنى النجار فاشتدوا على أبى أمامة أسعد بن زرارة حتى أخرجوا مصعب بن عمير من عنده فانتقل إلى سعد بن معاذ إلى حيث القوة والمنعة . فلم يزل يدعو ويهدى على يديه حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس وأسلم أشرافهم

وأسلم عمرو بن الجموح .

ولما قدم رسول الله - ﷺ - إلى يثرب بايعته كبشة بنت رافع . فكانت من المبايعات .. واستأذن سعد بن معاذ رسول الله - ﷺ - فى الذهاب إلى مكة .. فأذن له .

وكان سعد بن معاذ إذا نزل مكة ينزل على أمية بن خلف وكان أمية ينزل على سعد بيثرب إذا ذهب إلى الشام فى تجارته .. وقدم سعد بن معاذ مكة هذه المرة معتمرًا .. رحب أمية بن خلف بضيفه فقال له : انظر لى ساعة خلوة لعلى أطوف بالبيت .

فقال أمية بن خلف : انتظر حتى إذا غابت الشمس وغفل الناس انطلقت وطفت .. ولما غاب وجه الشمس خلف أبى قبيس انطلقا إلى البيت الحرام .. وقال أمية لسعد : هيا طف وسأنتظر هنا .

وبينما سعد بن معاذ يطوف إذ أتاه أبو جهل بن هشام فقال فى عجب من هذا الذى يطوف ؟

قال سعد بن معاذ : أنا .. أنا سعد بن معاذ .

فتساءل أبو جهل بن هشام : أتطوف بالكعبة آمنًا وقد آويتم محمدًا وأصحابه وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ؟ أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالمًا .

فقال سعد بن معاذ غاضبًا : يا أبا جهل أما والله لئن منعتنى هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه .

فتساءل أبو جهل فى سخرية : وما هو ؟

قال سعد بن معاذ : طريقك على يثرب .. تجارتك إلى الشام ..

وأحس عمرو بن هشام بالخطر يهدد تجارة قريش .. فخفف من ثورته وغضبه .. فقال أمية بن خلف : يا أبا الحكم هذا سعد بن معاذ سيد الأوس .

ثم نظر أمية نحو أبى الحكم بن هشام وقال : يا سعد بن معاذ هذا أبو الحكم بن هشام سيد قومه ترفع صوتك عليه ؟

قال سعد بن معاذ فى غضب : إليك عنى يا أبا صفوان فإنى سمعت رسول الله ـ ﷺ - يقول : « إنه قاتلك »

فقال أمية بن خلف فى رعب : إياى ؟

قال سعد بن معاذ : نعم .

فقال أمية بن خلف : بمكة ؟

قال سعد بن معاذ : لا أدرى .

فوقف أمية بن خلف شاردًا لقد ربت مخاوفه وهجس فى نفسه هاجس أن محمدًا - ﷺ - ما توعد أحدًا إلا نفذ فيه وعده . . وإنه لقاتله .

قال أمية بن خلف لسعد بن معاذ : أكمل طوافك وعد إلى يثرب راشدًا . . فراح سعد بن معاذ يطوف حول الكعبة . . فقال أبو جهل لأمية بن خلف : لولا معرفتى أن تجارة قريش بالشام لابد أن تمر بيثرب لأريته . .

ولما أتم سعد بن معاذ طوافه ركب راحلته وانطلق إلى يثرب .

وآخى رسول الله ـ ﷺ ـ بين سعد بن معاذ وسعد بن أبى وقاص ـ وقيل آخى بين سعد بن معاذ وأبى عبيدة بن الجراح ـ ويوم بدر كان لواء الأوس مع سعد بن معاذ . . ولما علم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن أبا سفيان بن حرب فر بالعير وأن قريشًا أقبلت على كل صعب وذلول . . سأل رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه : « العير أحب إليكم من النفير ؟

كان يخيرهم بين الغنيمة والحرب فقالت طائفة منهم : بلى العير أحب إلينا من لقاء العدو . .

وارتفعت أصوات تقول : هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له؟إنا خرجنا للعير . .

وقالت طائفة منهم : يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو .

فتغير وجه رسول الله - ﷺ -.. وقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن .. ثم عمر ابن الخطاب فقال وأحسن .. ثم قام المقداد بن عمرو فقال له النبى - عليه الصلاة والسلام - : خيرًا ودعا له .. ثم قال رسول الله - ﷺ -: أشيروا على أيها الناس .

كان النبى - عليه الصلاة والسلام - يريد رأى الأنصار فإنهم العدد والعدة .. فقال سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟

قال الصادق المصدوق - ﷺ -: **أجل** .

فقال سعد بن معاذ : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخفضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ونكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء .. لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله .

وأشرق وجه النبى - عليه الصلاة والسلام - بقول سعد بن معاذ ونشطه ذلك .. ثم قال - عليه الصلاة والسلام - : سيروا وأبشروا فإن الله تعالى وعدنى إحدى الطائفتين . والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم .. »

وأنجز الله تعالى وعده فهزم قريشًا .

ويوم أحد ثبت سعد بن معاذ مع النبى - ﷺ -حين ولى الناس .

وذات يوم ذكر رسول الله - ﷺ - الحمى فقال : « من كانت به - الحمى - فهى حظه من النار »

فسألها سعد بن معاذ ربه .

ولما قدمت الأحزاب لحرب رسول الله - ﷺ - .. أشار سلمان الفارسى بحفر خندق عميق واسع على طول الجهة المفتوحة من المدينة .. فراح سعد بن معاذ

ورسول الله - ﷺ - يعملون فى حفر الخندق . . وكانت كبشة بنت رافع ترسل إلى النبى - عليه الصلاة والسلام - الطعام - الثريد واللحم - على الرغم من أن أيام حفر الخندق كانت أيام عسرة . . وانقضى خمسة عشر يومًا حتى انتهى النبى - عليه الصلاة والسلام - من حفر الخندق .

وأقبلت قريش ومن معها من قبائل العرب تحدوهم الآمال العريضة . . فلما رأوا الخندق أربدت وجوههم وانقبضت أفئدتهم وانهارت قصور الأمانى التى بنوها وقالوا فى غيظ : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

ونزلت قريش بمجمع الأسيال ونزل عيينة بن حصن الفزاوى فى غطفان ومن معهم من أهل نجد إلى جانب جبل أُحد . وسار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان بن حرب فى أصحابه يومًا ويغدو خالد بن الوليد يومًا ويغدو عمرو بن العاص يومًا ويغدو هبيرة بن أبى وهب يومًا فلا يزالون يناوشون أصحاب رسول الله - ﷺ - ولم يكن بينهم حرب إلا الرمى بالنبل والحصى .

وكان النساء والصبيان والذرارى فى الحصن وقال النبى - عليه الصلاة والسلام - للنساء : « إن جاءكن أحد - من الأعداء - فألمعن بالسيف»

فقالت كبشة بنت رافع : نفعل يا نبى الله .

وجاء إلى الحصن رجل من بنى ثعلبة بن سعد يقال له نجدان أحد بنى جحاشى على فرس ثم وقف على مقربة من الحصن وقال للنساء : انزلن إلى خير لكن .

فحركت كبشة بنت رافع سيفها . فأبصره أصحاب رسول الله - ﷺ - فأسرع إلى الحصن رجل من بنى حارث يقال له ظفر بن رافع وحاول نجدان أن يختبىء فدلت كبشة بنت رافع على مكانه ولما حاول نجدان الفرار رآه ظفرة بن رافع فقال له : يا نجدان ابرز . .

فبرز إليه فحمل عليه ظفر بن رافع فقتله . . واستبشر النساء والصبيان والذرارى

بقتل نجدان ولكن جرأة ذلك الرجل الثعلبى كانت إيذانًا بأن النساء والصبيان والذرارى لم يكونوا فى مأمن من الغدر والخيانة . . فبعث رسول الله - ﷺ - رجالاً ليقوموا بحراستهم .

ونقضت بنو قريظة العهد . . فاشتد الأمر على رسول الله - ﷺ - فنقض العهد يجعل المدينة كلها بمن فيها لقمة سائغة للأحزاب . . وخيف على النساء والذرارى من غدر بنى قريظة .

وجاء أبو سفيان وقريش والأحزاب من فوقهم وتحركت بنو قريظة من أسفل منهم . . حتى ظن المسلمون كل ظن . . وظهر النفاق من المنافقين حتى قال بعضهم : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . . ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا .

ولما رأى رسول الله - ﷺ - شدة الأمر بعث إلى عيينة بن حصن الفزارى وإلى الحرث بن عوف المرى فى أن يقطعهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه . فجاءا مستخفين من أبى سفيان بن حرب وطلبا نصف ثمار المدينة . فأبى عليهما إلا الثلث فرضيا . وأحضرت الصحيفة والدواة فكتب عثمان بن عفان الصلح فلما أراد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يوقع الصلح بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقال سعد بن معاذ :

ـ يا رسول الله أمرًا تحبه فتصنعه أم شيئًا أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيئًا تصنعه لنا ؟

وقال سعد بن عبادة : إن كان أمرًا من السماء فامض له وإن كان أمرًا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة وإن كان إنما هو الرأى فما لهم عندنا إلا السيف .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **لو أمرنى الله لما شاورتكما والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم على قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر شوكتهم إلى أمر ما** » .

فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأصنام والأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرى ـ ما قرى به الضيف أو بيعا . وإن كانوا يأكلون العلهز ـ طعام من دم ووبر كان يتخذ وقت المجاعة فى الجاهلية من الجهد ـ أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نقطعهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

وعلى الفور عدل رسول الله ـ ﷺ ـ عن رأيه وأنبأ عيينة بن حصن والحرث بن عوف أن أصحابه رفضوا مشروع المفاوضة وأنه أقر رأيهم والتزم به .. وختم قوله رافعًا صوته : « **ارجعا بيننا وبينكم السيف** » .

واجتمع رؤساء الأحزاب يتشاورون . إن بنى قريظة قد نقضت عهدها : ليس بيننا وبين محمد عهد ولا عقد .. وإن عليهم أن يقتحموا الخندق لتدور بينهم وبين المسلمين معركة فاصلة فهم من فوقهم وبنو قريظة من أسفل منهم وإن هى إلا ضربات متتابعات ثم يمسى الإسلام والمسلمون ذكرى يجر عليها الزمن أذيال النسيان .

وصاروا إلى مكان ضيق أغفله المسلمون وأكرهوا خيولهم على اقتحامه .

اقتحم الخندق عكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب وضرار بن الخطاب وعمرو بن عبد ود وكان من أشهر فرسان العرب وطلب المبارزة فخرج إليه على بن أبى طالب فقتله .. فكبر المسلمون .

وبينما كانت أم سعد بن معاذ وأم المؤمنين عائشة فى حصن بنى حارثة سمعا وئيد الأرض ـ حس الأرض ـ فالتفتا فإذا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنة .. ومر سعد بن معاذ وهو يرتجز ويقول :

فقالت كبشة بنت رافع : الحق يا بنى فقد تأخرت .

فقالت عائشة : يا أم سعد لوددت أن درع سعد أسبغ مما هى . .فقد كان سعد بن معاذ درع خرجت منه أطرافه . . وكان سعد من أطول الناس وأعظمهم . . ورمى رجل من المشركين سعد بن معاذ بسهم وقال حين رماه : خذها وأنا ابن العرقة ـ حبان ابن عبد مناف .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « عرق الله وجهك فى النار »

ودعا سعد بن معاذ فقال : اللهم لا تمتنى حتى تشفينى من قريظة ـ كانوا مواليه وحلفاؤه فى الجاهلية ـ.

وأقبلت كبشة بنت رافع عندما علمت أن ابنها سعد قد أصاب سهم أكحله ـ عرق وسط الذراع ـ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « اجعلوه فى خيمة رفيدة الأسلمية ـ كانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمتهم ـ حتى أعوده من قريب »

وجلست كبشة بنت رافع بجانب ابنها سعد . . وراحت رفيدة الأنصارية تداوى أبا عمرو . . وكان النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يمر عليه فى المساء فيقوله له : كيف أمسيت ؟

ويمر عليه فى الصباح فيسأله : كيف أصبحت ؟

فيخبره سعد بن معاذ . . ولما ثقل بسعد بن معاذ المرض قال : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه وكذبوه . .

واستجاب الله عز وجل لدعوة سعد بن معاذ فأرسل ريحًا صرصرًا عاتية نقلت بيوتهم وقطعت أطنابها وكفأت قدورهم على أفواهها وصارت تلقى الرجال على أمتعتهم . . فصرخ أبو سفيان بالناس : يا معشر قريش والله إنكم لستم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف واختلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فإنى مرتحل . .

ولما رحل الأحزاب قال سعد بن معاذ للنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : لقد رحلوا فقال رسول الله - ﷺ - : « **الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم** » .

وأذن رسول الله - ﷺ - لأصحابه بالرحيل . .

ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأمر بقية فضربت لسعد بن معاذ فى المسجد .

وجاء جبريل ـ عليه السلام ـ فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ فوالله ما وضعت الملائكة السلاح بعد اخرج إلى بنى قريظة فقاتلهم .

فلبس النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأمته وأذن فى الناس بالرحيل . فأتاهم رسول الله - ﷺ - فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة . . ونزلوا على حكم رسول الله ـ ﷺ - فقال لهم : « **اختاروا من شئتم من أصحابى** » .

فقال بنو قريظة : **ننزل على حكم سعد بن معاذ** .

فبعث رسول الله - ﷺ - إلى أبى عمرو فأتاه فحملوه على حمار ووطئوا له وسادة من أدم ثم أتوا به رسول الله - ﷺ - وهو يقول له : يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فإن رسول الله - ﷺ - إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم . . فأحسن فيهم فقد رأيت عبد الله بن أبى بن سلول وما صنع فى حلفائه .

فلما أكثروا عليه قال سعد بن معاذ : **لقد آن لسعد ألا تأخذه فى الله لومة لائم** .

فقال بعضهم : واقوماه

وطلب رسول الله - ﷺ - من سعد بن معاذ أن يحكم فى بنى قريظة فقال له : «**أحكم فيهم يا سعد** » .

فقال سعد بن معاذ : الله ورسوله أحق بالحكم .

فقال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **قد أمرك الله أن تحكم فيهم** » .

فالتفت سعد بن معاذ إلى الناحية التى ليس فيها رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه إن الحكم كما حكمت ؟

قالوا : نعم .

وأشار إلى الناحية التى فيها رسول الله - ﷺ - وهو معرض عن النبى - عليه الصلاة والسلام - إجلالاً له فقال : وعلى من ههنا مثل ذلك ؟

قالوا : نعم .

فسأل سعد بن معاذ بنى قريظة : **أترضون بحكمى ؟**

قالوا : نعم .

فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به . . ثم قال : فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتغنم الأموال وتسبى الذرارى والنساء وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار .

فقالت الأنصار : إخواننا لنا معهم .

فقال أبو عمرو : **إنى أحببت أن يستغنوا عنكم .**

فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « **لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات** » [رواه أبو نعيم] .

ورجع سعد بن معاذ إلى المدينة . وكما استجاب الله عز وجل وأشفى سعد غليله من بنى قريظة فقد أصابته الحمى ولزمته . . وتفجر جرح سعد بن معاذ فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - فأتاه فأخذ رأسه والدم ينفخ فى وجه النبى - عليه الصلاة والسلام - ولحيته لا يريد أحد أن يقى رسول الله - ﷺ - من الدم إلا ازداد منه رسول الله - ﷺ - قربًا . ووضعه رسول الله - ﷺ - فى حجره وسجى بثوب أبيض إذا مد على وجهه خرجت رجلاه - كان سعد رجلاً أبيض جسيمًا - فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « **اللهم إن سعدًا قد جاهد فى سبيلك وصدق رسولك وقضى الذى عليه فتقبل روحه بخير ما تقبلت به روحًا** » . .

فلما سمع سعد بن معاذ كلام رسول الله - ﷺ - فتح عينيه ثم قال : السلام

عليك يا رسول الله أما إنى أشهد أنك رسول الله .. فلما رأت كبشة بنت رافع وأهل سعد بن معاذ أن النبى - عليه الصلاة والسلام - قد وضع رأس سعد فى حجره ذعروا من ذلك فذكر ذلك لرسول الله - ﷺ -: لما رأى أهل سعد رأوك وضعت رأسه فى حجرك ذعروا من ذلك فقال رسول الله - ﷺ - : « استأذن الله من ملائكته عددكم فى البيت ليشهدوا وفاة سعد » .

ولزمت الحمى سعد بن معاذ حتى فارق الحياة .

فاحتملوه إلى بنى عبد الأشهل . وجاء رسول الله - ﷺ - كما كان يسأل عنه فقالوا : قد انطلقوا به إلى منازلهم .

فخرج رسول الله - ﷺ - وأصحابه .. فقالوا : مهلاً يا رسول الله أتعبتنا فى المشى .

فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « إنى أخاف أن تسبقنا الملائكة إليه فتغسله كما غسلت حنظلة » - حنظلة بن أبى عامر الذى مات شهيدًا يوم أحد وقد خرج من داره جنبًا -

ودخل رسول الله - ﷺ - دار سعد بن معاذ وتبعه أصحابه وما فى بيت سعد إلا سعد مسجى .. فرأوه - ﷺ - يتخطى .. فوقفوا .

ثم عاد رسول الله - ﷺ - بعد ساعة فسأله أصحابه : يا رسول الله ما رأينا أحدًا وقد رأيناك تتخطى .

فقال النبى - عليه الصلاة والسلام : « ما قدرت على مجلس حتى قبض ملك من الملائكة أحد جناحه فجلست » .

ثم قال رسول الله - ﷺ - : وهو ينظر إلى جسد سعد بن معاذ : « هنيئًا لك يا أبا عمرو . هنيئًا لك يا أبا عمرو . هنيئًا لك يا أبا عمرو » .

وحضر رسول الله - ﷺ - وسلم سعد بن معاذ وهو يغسل فقبض ركبته فسأله رجل من أصحابه : عن سبب ذلك فقال : « **دخل ملك فلم يكن له مكان فأوسعت له** » .

وأخذت كبشة بنت رافع تبكى تقول :

ويل أم سعد سعـــدًا   براعـــــه ونجدًا
بعد أياد يا له ومجدًا   مقدمًا سد به سدًا

ومشى رسول الله - ﷺ - أمام جنازة سعد بن معاذ وحملت كبشة بنت رافع سرير ابنها وراحت تبكيه :

ويل أم سعد سعدًا   حزامه وجدًا   وسيدًا سد به مسدا

فقال لها عمر بن الخطاب : أنظرى ما تقولين يا أم سعد .

فقال رسول الله - ﷺ - : « دعها يا عمر كل نادبة - نائحة - مكذبة إلا ندابة سعد. كل باكية مكثرة إلا أم سعد ما قالت خير فلن تكذب كان والله ما علمت حازمًا وفى أمر الله قويًا » .

وجعل المنافقون وهم يمشون خلف سرير سعد بن معاذ يقولون : لم نر كاليوم رجلاً أخف .

وتساءلوا : أتدرون لم ذاك ؟ ذاك لحكمه فى بنى قريظة .

فذكر ذلك للنبى - عليه الصلاة والسلام - فقال : « والذى نفسى بيده لقد كانت الملائكة تحمل سريره . لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا جنازة سعد ما وطئوا الأرض قبل اليوم » .

ولما انتهوا إلى قبر سعد بن معاذ نزل فيه : الحارث بن أوس بن معاذ وأسيد بن حضير وأبو نائلة سلكان بن سلامة وسلمة بن سلامة بن وقش ورسول الله - ﷺ - واقف على قدميه . . ثم صلى عليه .

ولما وضع فى قبره تغير وجه رسول الله - ﷺ - وسبح ثلاثًا فسبح أصحابه حتى إرتج البقيع ثم كبر رسول الله - ﷺ - ثلاثًا وكبر أصحابه ثلاثًا حتى إرتج البقيع بتكبيره . فسئل النبى - عليه الصلاة والسلام - عن ذلك فقيل : يا رسول الله رأينا بوجهك تغيرًا وسبحت ثلاثًا وكبرت ثلاثًا ؟

فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « **تضايق على صاحبكم قبره وضم ضمة لو نجا منها أحد لنجا سعد منها .. ثم فرج الله عنه** »

وأقبلت كبشة بنت رافع تنظر فى لحد ابنها فردها الناس فقال رسول الله - ﷺ - : « **دعوها** »

فأقبلت أم سعد بن معاذ حتى نظرت إليه وهو فى اللحد قبل أن بنى عليه اللبن والتراب فقالت : احتسبتك عند الله .

فقال لها رسول الله - ﷺ - : « **ألا يرقأ دمعك ويذهب حزنك بأن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش ؟** »

وعزاها النبى - عليه الصلاة والسلام - على قبر سعد بن معاذ .. وجلس ناحية حتى سوى على قبره ورش عليه الماء ثم أقبل فوقف عليه فدعا له .. وانصرف .

وأرسل إلى رسول الله - ﷺ - جبة من ديباج منسوج بالذهب فلبسها رسول الله - ﷺ - فجعل الناس يمسحونها وينظرون إليها فى عجب فقال رسول الله - ﷺ - : «**أتعجبون من هذه الجبة ؟** » .

قالوا : يا رسول الله ما رأينا أحسن منها .

فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « **فوالله لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن مما ترون** » [رواه أبو نعيم] .

* * * *

رفيدة الأنصارية

هى رفيدة الأسلمية

أسلمت وبايعت النبى ﷺ

كانت تخرج معه ﷺ تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين .

*** يوم الخندق**

تقول رفيدة الأنصارية :

ـ بعث العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ إلى ابن أخيه عليه الصلاة والسلام كتابا يخبره بمقدم الأحزاب .

فاستشار النبى ﷺ أصحابه فاقترح سلمان الفارسى حفر خندق عميق على طول الجبهة المفتوحة من المدينة .

ولما قدم الأحزاب ورأوا الخندق أربدت وجوههم وركبهم الغيظ وقالوا :

ـ والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

وراح الأحزاب يناوشون المسلمين . . ولم يكن بينهم حرب إلا الرمى بالنبل والحصى .

*** خيمة رفيدة الأنصارية .**

رمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ سيد الأوس فأصاب أكحله ـ عرق وسط الذراع ـ

فقال طبيب القلوب والعقول ﷺ :

ـ اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب

فأخذت أول طبيبة فى الإسلام تداوى سعد بن معاذ

وكان نبى الوفاء ﷺ يمر على سعد بن معاذ فى المساء فيقول له :

ـ كيف أمسيت ؟

ويمر عليه فى الصباح فيقول له :

ـ كيف أصبحت ؟

فيخبره سعد بن معاذ

ولما اشتد بسعد بن معاذ المرض قال :

ـ **اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيْئًا فأبقنى لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجالدهم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه وكذبوه**

واستجاب الله عز وجل لدعوة سعد بن معاذ ، فهزم العزيز المتين الأحزاب بريح صرصر فى ليال شديدة البرد أطفأت نيرانهم ونقلت بيوتهم وقطعت أطنابها وقلبت قدورهم على أفواهها وصارت تلقي الرجال على أمتعتهم .

فرحلوا وهم يجرون ذيول الخيبة والهزيمة

وانفجر جرح سعد بن معاذ ، ولم تستطع رفيدة الأسلمية أن تمنع الدم المتدفق من أكحله بحرق الحصير ووضع الرماد عليه .

ومات سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن لموته .

* يوم خيبر

خرجت رفيدة الأنصارية مع جيش رسول الله ﷺ يوم خيبر وكانت لها خيمة تداوى فيها الجرحى .

* * * *

ريطة بنت منبه بن الحجاج

نهضت الشمس من مرقدها وأرسلت أشعتها الأولى من فوق بيوت أم القرى فخرج عمرو بن العاص ليودع أباه العاص بن وائل السهمى كانت القافلة الخارجة إلى الشام تتأهب إلى الانطلاق فأقبل خباب بن الأرت وطلب من العاص بن وائل أن يعطيه دين عليه .

فقال العاص بن وائل : لا والله حتى تكفر بمحمد

فقال خباب بن الأرت فى قوة وإصرار : لا أكفر حتى تموت وتبعث .

فقال العاص بن وائل فى سخرية : وإنى لمبعوث بعد الموت ؟

فقال خباب بن الأرت فى ثقة وإيمان : نعم .

فتساءل العاص بن وائل : متى ؟

قال خباب بن الأرت : ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [سورة الانفطار الآية : ١٩] .

فقال العاص بن وائل : أولستم تزعمون أن فى الجنة ذهبًا وفضة وحريرًا ؟

قال خباب بن الأرت : بلى .

فقال العاص بن وائل وهو يركب بعيره : **فأخرنى حتى أقضيك فى الجنة** .

ووقف خباب ينظر إلى القافلة وهى تبتعد ... فربت عمرو بن العاص على كتفه وقال : ألم يخبرك أبى أنه سوف يقضيك حقك يوم القيامة ؟ إنى يعدكم محمد إلا غرورًا .

ورجع عمرو بن العاص إلى بيته شارد الفكر فلقيته زوجته ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمية فتساءلت : ما بك يا أبا العاص ؟

قال عمرو بن العاص : إنى لأعجب فما يقول محمد ليس بالشعر ولا بسجع الكهان وإن أصحابه لا يفارقون دينهم مهما أنزل بهم من عذاب .

فقالت ريطة بنت منبه : من أين جاء ابن عبد الله هذا العلم والبيان وتلك الحكمة والبلاغة ؟

فقل العاص بن عمرو : يزعم أصحابه أن ملكًا يسمى جبريل ينزل عليه من السماء .

فهتف عمرو فى وجه ابنه العاص : كذب وافتراء هل يكلم الله بشرًا ؟

قال العاص بن عمرو : سمعت خباب بن الأرت يقول : إن رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : ﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾ .

فقال عمرو بن العاص لابنه : لا تصدق ما يقول هؤلاء الصبأة .

ثم اقترب عمرو منه وقال محذرًا : وإياك أن تجلس أو تسمع لأحد من أتباعه .

كان عمرو بن العاص ونبيه بن الحجاج ومنبه بن الحجاج والعاص بن وائل وأبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وسادات قريش ينكرون ويحاربون دعوة محمد ـ ﷺ ـ وكان عمرو من شعراء قريش الذين يهجون ابن عبد الله ـ ﷺ ـ .

اقتربت ريطة بنت منبه من زوجها وقالت هامسة : هل علمت أن أخاك هشامًا قد تبع محمد بن عبد الله ؟

قال عمرو بن العاص وهو يزفر لهبًا : سوف أسقيه الهول حتى يعود إلى دين أبائه .

فقال العاص بن عمرو : لقد أخبرنى عمى هشام أن من ذاق حلاوة الإيمان لا يعود إلى حنظل الشرك ولو وضعوا السيف على الصمصمة ـ الرقبة ـ

فزجره أبوه وقال : ألم أحذرك ؟ لا تسمع ولا تتكلم مع أحد من أولئك الذين بدلوا دين آبائهم .

وجلس سادات قريش يومًا فى ظل الكعبة وأرادوا قتل رسول الله - ﷺ - وكان أبو القاسم - ﷺ - يصلى عند المقام فقام إليه عقبة بن أبى معيط فجعل رداءه فى عنقه ثم جذبه حتى وجب أبو القاسم - ﷺ - لركبته ساقطًا فتصايح الناس فظنوا أن محمدًا - ﷺ - مقتول فأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبعى - عضدى - رسول الله - ﷺ - من ورائه ويقول : **أتقتلون رجلاً أن يقول : ربى الله ؟**

يقول عمرو بن العاص : ثم انصرفوا عن محمد بن عبد الله .

فقام أبو القاسم - ﷺ - فصلى . فلما قضى صلاته مر بعمرو بن العاص وأبى الحكم بن هشام وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وأبى بن خلف وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة و . . . وهم جلوس فى ظل الكعبة فقال - ﷺ - : « **يا معشر قريش أما والذى نفس محمد بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح** » .

وأشار أبو القاسم - ﷺ - إلى حلقه فقال أبو الحكم بن هشام : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً .

فقال النبى - ﷺ - : **أنت منهم** .

وهاجر هشام بن العاص بن وائل السهمى مع أصحاب محمد - ﷺ - إلى الحبشة فارًا بدينه ولما رأت قريش أن أصحاب محمد - ﷺ - قد أصابوا دارًا وقرارًا فى هجرتهم إلى الحبشة بعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشى ملك الحبشة لكى يعودا ومعهما مهاجرو الحبشة . . ولكن النجاشى ردهما خائبين مذمومين وأعاد إليهما هداياهما .

ولما رجع العاص بن وائل من الشام جاء عمر بن الخطاب يهنىء خاله وقد ماج القادمون بالمستقبلين . . .

وذات يوم رجع العاص بن عمرو إلى داره وهو يلهث فسأله عمرو : ما وراءك ؟

قال العاص بن عمرو : لقد أسلم عمر بن الخطاب .

فانتفض عمرو بن العاص وكأن عقربًا لدغته وقال فى عجب ودهشة :

ـ ما تقول ؟

فقال العاص بن عمرو : لم أقل شيئًا ولكل أهل مكة لا يتحدثون إلا عن إسلام عمر.

فخرج عمرو من الباب كالسهم ليتحقق من إسلام ابن الخطاب .. ورجع عمرو ناكس الرأس فسألته زوجته : أحقًا ما قاله العاص ؟

فهز عمرو رأسه .. وأردف العاص بن عمرو : وكذلك أسلم ابنه العاص ، فرماه أبوه بنظر كالسيف .. فسكت العاص بن عمرو .

وهاجر أصحاب محمد ـ ﷺ ـ إلى يثرب وعلم عمرو بن العاص بموعد هجرة أخيه هشام فكمن له وعندما هم بالهجرة اعترض طريقه وعاد به إلى مكة فحبسه فى محبس لا سقف له هو وعياش بن أبى ربيعة وكان العاص بن عمرو يذهب إليهما ويسمع إلى حديثهما .

وخرج عمرو بن العاص وأبو سفيان بن حرب فى عير لقريش إلى الشام ..

وفى طريق العودة اعترض محمد ـ ﷺ ـ وأصحابه لعير قريش فبعث أبو سفيان إلى رجال قريش لينقذوا عيرهم .. فكانت وقعة بدر التى قتل فيها رءوس المشركين : أبو جهل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج و ... فربا حقد ريطة بنت منبه على الإسلام ونبى الإسلام فخرج عمرو بن العاص وشعراء قريش وألبوا العرب وجمعوا وخرجوا للثأر ليوم بدر وخرجت ريطة بنت منبه مع نساء من قريش فى الهوادج التماس الحفيظة ويذكرن القوم قتلى بدر .. فكانت هزيمة المسلمين يوم أحد ...

وخرج عمرو بن العاص مع الأحزاب ليستأصلوا شأفة خاتم الأنبياء ـ ﷺ ـ وأصحابه .. ولكنه عاد شارد اللب فسألته زوجته ريطة بنت منبه : ما بك ؟

قال عمرو بن العاص : إن أمر هذا الرجل عجب كنا على وشك أن ندخل المدينة ونأتى به وبأصحابه أسارى فى الجبال لولا أن هبت ريح صرصر عاتية أطفأت نيراننا وكفأت قدورنا واقتلعت أوتاد خيامنا .

فقال العاص بن عمرو : إن وراءه سماوية غير مرئية وزعم رجال ممن شهد وقعة الخندق أنه ممنوع .

فقالت ريطة بنت منبه : تقصد أن له قوة سحرية عظيمة .

وهاجر العاص بن عمرو إلى مدينة رسول الله - ﷺ - فأسلم وبايع رسول الله - ﷺ - ثم حضر مع الصادق المصدوق - ﷺ - جنازة فقال للعاص بن الحارث : **ما اسمك ؟**

قال ابن الحارث : **العاص .**

وسأل رسول الله - ﷺ - العاص بن عمرو : **ما اسمك ؟**

فقال ابن عمرو : **العاص .**

وقال النبي - عليه الصلاة والسلام - لابن عمر : **ما اسمك ؟**

قال ابن عمر : العاص .

فقال - ﷺ - أنتم عبيد الله .

ودخل عمرو بن العاص على امرأته ريطة بنت منبه فوجدها واجمة مهمومة فسألها: ما وراءك ؟

قالت رائطة بنت منبه : لقد فر العاص إلى يثرب وتبع ابن عبد الله .

فقال عمرو بن العاص فى غير مبالاة : لقد بدل محمد اسمه وأصبح يقال لابنك : - عبد الله .

فقالت رائطة بنت منبه : إنك تتحدث وكأن الأمر لم يعد ..

قال عمرو بن العاص : إن أمر محمد أصبح يعلو الأمور علواً منكراً .

فقالت رائطة بنت منبه : ماذا تعنى يا أبا العاص ؟

قال عمرو بن العاص : لقد نصحنى النجاشى أن ألحق بمحمد..وقد أردت الإسلام.

فقالت رائطة بنت منبه : نعم الرأى يا أبا العاص فإن الناس قد دخلوا فى الإسلام ولم يبق أحد به طعمة ـ قوة ـ

وهاجر عمرو بن العاص من مكة إلى المدينة فلقى خالد بن الوليد وعثمان بن أبى طلحة فى طريقهما إلى مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ .. فأسلموا وبايعوا خاتم الأنبياء ـ ﷺ ـ.

ورجع عمرو بن العاص مع رسول الله ـ ﷺ ـ يوم فتح مكة .. وبعد أن بايع الناس على الإسلام وبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا .. فلما انتهى من بيعة الرجال أتاه نساء من نساء قريش منهن : أم هانىء بنت أبى طالب وأم حبيب بنت العاص بن أمية وعاتكة بنت أبى العيص ورائطة بنت منبه وهند بنت عتبة وفاختة بنت الوليد بن المغيرة و ... فبايعهن.

ودخل رسول الله ـ ﷺ ـ دار عمرو بن العاص فقال ـ ﷺ ـ :

ـ « نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله »

ثم قال وهو يهم بالخروج من دار عمرو : « إن عمرو بن العاص لمن صالحى قريش ونعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله »

قالت رائطة بنت منبه لابنها عبد الله : كيف نصلى على رسول الله ـ ﷺ ـ ؟

قال عبد الله بن عمرو: سأل رجل النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كيف نصلى عليك؟ قال: « قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » .

ورأى عبد الله بن عمرو بن العاص أمه رائطة بنت منبه تصلى وهى لا تتم ركوعها ولا سجودها فلما فرغت من صلاتها اقترب منها وقال لها : سألنا رسول الله ـ ﷺ ـ يومًا : « ما ترون فى الشارب ـ شارب الخمر ـ والسارق ـ والزانى؟

قلنا : الله ورسوله أعلم قال : هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقة الذى يسرق صلاته »

فقالت ريطة بنت منبه : وكيف يسرق المرء صلاته ؟

فتبسم عبد الله بن عمرو وقال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« لا يتم ركوعها ولا سجودها ».

فادركت رائطة بنت منبه أن ابنها أراد أن يشير إليها بتحسين صلاتها وإتمامها والخشوع فيها .

وسألت رائطة بنت منبه ابنها عبد الله : ما أجر الشهيد ؟.

فقال عبد الله بن عمرو : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« يعطى الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه تكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويأمن من الفزع الأكبر ومن عذاب القبر ويحلى حلة الإيمان » .

وسألت رائطة بنت منبه ابنها عبد الله عن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم﴾ [سورة المائدة الآية : ١٠٥] فقال عبد الله بن عمرو : سئل عنها رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا ـ بخلاً مطاعًا بأن إطاعته نفسك وطاوعه غيرك وهو أشد البخل ـ وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام ـ أترك أمر العامة الخارجين عن طريق الخواص ـ فإن من ورائكم أيامًا الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون عملكم » .

فتساءلت رائطة بنت منبه : أجر خمسين منا أو منهم ؟

قال عبد الله بن عمرو : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « بل أجر خمسين منكم »

كانت ريطة بنت منبه تسأل لتتعلم أمور دينها وكان ابنها عبد الله يخبرها بما أنزل الله من فوق سبع سموات وما قال رسول الله ـ ﷺ ـ

أم عبد بنت عبد ود

دخل عبد الله بن مسعود بن غافل على أمه فوجدها ما زالت جالسة وقد أسندت خدها على راحة يدها . وكان الحزن يكسو وجهها . لقد مات زوجها مسعود بن غافل وتركها وابنيها عبد الله وعتبة بلا مال . حاول عبد الله أن يخفف من حزن أمه ولكنها نظرت إلى جسد طفلها النحيل وقالت فى أسى :

- لو كنت طفلاً يافعًا لقمت بعمل نأكل منه و . . .

قال عبد الله بن مسعود : أستطيع يا أماه أن أرعى الغنم .

الغنم ؟ كيف غاب عنها ذلك ؟ لماذا لا تصحب ابنها إلى مكة ليعمل راعيًا عند أحد سادات قريش ؟

هبت أم عبد واقفة ثم قبضت على يد ابنها عبد الله وتركت وراءها الحزن وهذيل.

لقيت أم عبد عقبة بن أبى معيط فى الطريق إلى أم القرى فسألها عن وجهتها فأخبرته فقال لها : غليم - تصغير غلام - هذيل يرعى غنمى .

ودس عقبة بن أبى معيط فى يد أم عبد درهمين فتبسمت ونظرت إليهما فى فرح. .

وخرج عبد الله بن مسعود بغنم عقبة بن أبى معيط إلى سفوح جبال مكة ولما غربت الشمس رجع إلى أمه .

وسمع عبد الله بن مسعود عن محمد بن عبد الله - ﷺ - وما يدعو إليه فسأل رجلاً : ألا تدلنى على مكان محمد الأمين ؟

فقال الرجل : يا ابن غافل إن محمدًا إما فى داره أو فى البيت الحرام.

كيف يترك الغنم وحدها ؟ لو لقيه عقبة بن أبى معيط لن يدعه دون أن يذيقه لدغات سوطه .

وأخبر عبد الله بن مسعود أمه برغبته فحذرته وقالت : إن أبا الحكم بن هشام

وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف وسادات قريش يضربون من اتبعه ويقولون : إنه ساحر وإنه كاهن وإنه مجنون .

وذات يوم كان ابن مسعود يرعى الغنم فجاءه رجلان فقال أحدهما : يا غلام هل عندك من لبن تسقينا ؟

قال عبد الله بن مسعود : ما عندى شاة تحلب وإنى مؤتمن ولست بساقيكما .

فقال الرجل : هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل ؟

فقال عبد الله بن مسعود : إن ههنا عناقًا حملت أول الشتاء وقد أخدجت ـ ألقت ولدها ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل ـ وما بقى لها من لبن .

فقال الرجل : ادع بها .

فدعا بها فاعتقلها الرجل ومسح على ضرعها ودعا بكلمات حتى حفل وأنزلت فجاء صاحبه بمجن ـ صخرة منقعرة ـ فحلب وسقى صاحبه ثم حلب وسقى ابن مسعود ثم حلب وشرب . . ثم قال للضرع : **اقلص** .

فقلص . . نظر عبد الله بن مسعود إليه فى عجب وانبهار . . كانت نظراته مطمئنة وكلماته كماء بارد فى يوم قائظ ، بسمته لا تفارق شفتيه كلها حنان وأبوة فسأله عبد الله ابن مسعود : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط .

فقال الرجل : **أو تراك تكتم على حتى أخبرك ؟**

نظر عبد الله بن مسعـود إلى عينيه اللتين يملأهما الوجد والإصرار والثبات وقال :
ـ نعم .

قال الرجل : **فإنى محمد رسول الله** .

هتف عبد الله بن مسعود : محمد الأمين ؟ أنت الذى تزعم قريش إنه صابىء ؟

فقال النبى ـ ﷺ ـ : إنهم ليقولون ذلك .

وانصرف محمد ـ ﷺ ـ وصاحبه أبو بكر بن أبى قحافة فشيعهما ابن مسعود بعينين شاردتين حتى اختفيا عن بصره . . لقد استشعر عبد الله بن مسعود بعدما رأى وسمع

كلمات محمد - ﷺ - ذهولاً ... ولما أفاق راح يلوم نفسه لماذا تركه وصاحبه ينصرفان ؟ لماذا لم يسأله عن جهته ؟ هل كانا فارين من سادات قريش ؟ كيف يلقاهما؟ لقد فاقت حلاوة الكلمات التى سمعها من محمد بن عبد الله - ﷺ - وهو يدعو ربه وهو يمسح ضرع الشاة حلاوة اللبن الذى شربه .. إن ما فعله محمد - عليه الصلاة والسلام - لا يفعله إلا نبى .

ورجع ابن مسعود إلى أمه يركبه التعب فقالت له أمه : ما بك ؟

فأخبرها بما جرى .. فقالت أم عبد : لقد صدق أشراف قريش .. إنه ساحر كيف تحلب شاة لم ينزل عليها فحل ؟

فقال عبد الله بن مسعود : لا .. والله إنه ليس ساحر .

وقضى عبد الله بن مسعود ليلته أرقًا لم تكتحل عيناه بالنوم .. كان مجذوبًا إلى ابن عبد الله - ﷺ - .. وراح ينتظر مقدم الصبح .. فلما أسفر انطلق إليه فوجده فى الحجر فقال له بلا تردد : إنى أشهد أنك نبى وأشهد أن ما جئت به حق وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبى وأنا متبعك .. علمنى من هذ القول الطيب - القرآن -

فقال رسول الله - ﷺ - : « أنت غلام - غليم - معلم » .

ورجع عبد الله بن مسعود إلى أمه يتهلل وجهه بشرًا .. فنظرت إليه وتساءلت : - لماذا لم تذهب لترعى الغنم ؟

فقال عبد الله بن مسعود : لقد أسلمت .

فقالت أم عبد : هل تبعت محمدًا ؟

قال عبد الله بن مسعود : نعم .

قالت أم عبد :

- إن ذلك سوف يغضب سيدك عقبة بن أبى معيط

قال عبد الله بن مسعود :

ليذهب عدو الله عقبة بن أبى معيط وغنمه إلى الجحيم .

فقالت أم عبد : إلام يدعو ابن عبد الله ؟

قال عبد الله بن مسعود : يدعو رسول الله ـ ﷺ ـ إلى خير الدنيا والآخرة .

فتساءلت أم عبد : هل هناك بعث بعد الموت ؟

قال عبد الله بن مسعود : إى وربى وإما جنة عدن وإما نار الله الموقدة .

فسكتت أم عبد وعادت تتساءل : وإلام يدعو ؟

قال ابن مسعود : يدعو إلى مكارم الأخلاق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى عبادة إلـه واحد .

فقالت أم عبد : وهبل ومناة واللات والعزى ؟

فقال عبد الله بن مسعود : أحجار لا تضر ولا تنفع .

وتذكرت أم عبد يوم أن هبت العاصفة فكفأت هبل على وجهه وكسرت ذراعه وطمست وجهه فى التراب فلو كان إلـها كما يزعمون لماذا لم يقف شامخًا فى وجه العاصفة ؟

ووجدت أم عبد تتساءل : ماذا أقول إذا أردت أن أتبع محمدًا ؟

فقال عبد الله بن مسعود : قولى : أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله .

ونطقت أم عبد الله بشهادة الحق . . فكانت من السابقين الأولين .

يقول عبد الله بن مسعود : لقد رأيتنى سادس ستة وما على الأرض مسلم غيرنا .

ولقى عقبة بن أبى معيط أم عبد فقال لها : أصبأ ابنك عبد الله ؟

فقالت أم عبد : لا ما صبأ .

فقال عقبة بن أبى معيط : أحقًا ما تقولين ؟ حمدًا للآلهة لكن لماذا يزعم الناس أنه صبأ ؟

قالت أم عبد : ما صبأ ابنى عبد الله ولكننا آمنا بهذا الرجل .

فقال عقبة بن أبى معيط فى غيظ وعجب : ماذا تقولين ؟ آمنت أنت وابنك بهذا الرجل ؟ أنت وهزيل هذيل تتمردان على دين آبائكما ؟

فقالت أم عبد : ليتك تلقى رسول الله - ﷺ - وتسمعه فلقد جاءكم بخير الدنيا وسعادة الآخرة .

فقال عقبة بن أبى معيط : أنا ألقى يتيم قريش الذى يدعى أنه نبى وما هو إلا شاعر ؟

فقالت أم عبد : إن نبى الله ﷺ ليس بشاعر ولكن يتلو ما أنزل الله عليه ، وأسلم الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى وجعل داره دارًا للإسلام يجتمع فيها رسول الله - ﷺ - بأصحابه ليفقههم فى دينهم ويتلو عليهم ما أنزل الله من آيات بينات .

وذات يوم اجتمع أصحاب رسول الله - ﷺ - فى دار الإسلام فقالوا :

- والله ما سمعت قريش بهذا القرآن يجهر به قط فمن رجل يسمعوه ؟

قال عبد الله بن مسعود : أنا .

فنظر أصحاب رسول الله - ﷺ - نحو جسده الهزيل النحيف وقال مصعب بن عمير : أنت يابن أم عبد ؟

وقال صهيب بن سنان الرومى وعمار بن ياسر وبلال بن رباح : إنا نخشاهم عليك.

وقال سعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام : إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إذا أرادوه .

فقال عبد الله بن مسعود وهو يندفع نحو باب دار الأرقم بن أبى الأرقم :

- دعونى فإن الله سيمنعنى .

انطلق ابن أم عبد حتى أتى المقام فى الضحى وسادات قريش فى أنديتها . . وقال: بسم الله الرحمن الرحيم ـ رافعًا بها صوته ﴿ الرَّحمن ۝ علَّم القرآن ۝ خلق الإنسان ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [سورة الرحمن الآية : ١ ـ ٤]. ثم استقبل المقام يقرأ . . فتأمله أشراف قريش وتساءلوا : من هذا ؟

فقال عقبة بن أبى معيط : إنه ابن أم عبد .

فقال أبو جهل بن هشام : ماذا يقول ؟

قال النضر بن الحارث : إنه يقول بعض ما جاء به محمد من شعر .

فقال أبو سفيان بن حرب : لقد أغراه محمد كما أغرى بعض العبيد وزَعم أن دينه الجديد يسوى بين العبد وسيده .

فقام أبو جهل بن هشام وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وأبى بن خلف إلى عبد الله بن مسعود فجعلوا يضربون وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ من سورة الرحمن ما شاء الله أن يبلغ . . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه فقال سعيد ابن زيد وعثمان بن مظعون : هذا الذى خشينا عليك .

فقال عبد الله بن مسعود : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ـ اليوم ـ ولئن شئتم لأغدينهم بمثلها غدًا .

فقال طلحة بن عبيد الله وهو يغسل وجه ابن أم عبد من آثار الدم :

ـ لا حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون .

تبسمت أم عبد لقد هزم ابنها صناديد قريش وهو من المال معدم وهو فى الجسم هزيل ضامر وهو فى الجاه مغمور فكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ـ ﷺ ـ

وكان أول من أفشى القرآن بمكة .

ولما ذاع ذكر رسول الله ـ ﷺ ـ فى أم القرى ضاقت صدور سادات قريش وقالوا:

ـ لقد جعل دين محمد للفقراء والعبيد شأنًا وسفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب آلهتنا .

فأنزلوا بأصحابه العذاب وتعرض عبد الله بن مسعود وأمه للعذاب والوعيد والتهديد ولكنهما لم يفتنا عن دينهما ولم يزدهما عذاب أشراف قريش إلا إيمانًا .

وخدم عبد الله بن مسعود وأمه رسول الله ـ ﷺ ـ يقول أبو موسى الأشعرى : ـ ما كنت أظن ابن مسعود وأمه إلا من آل النبى ـ ﷺ ـ لكثرة ما كان يدخل على رسول الله ـ ﷺ ـ .

وذات يوم لقى أبو جهل عبد الله بن مسعود فلطمه على خده فأطاح بأذنه فرجع ابن أم عبد إلى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ والدم والدمع يغطيان وجهه فتبسم رسول الله ـ ﷺ ـ وطلب منه أن يصبر فعجبت أم عبد لهذه البسمة أيضرب أحد من أصحابه وتطن أذنه ويتبسم ؟ وأرادت أن تسأل النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن سر هذه البسمة ولكنها لم تجرؤ . .

ويوم بدر لقى عبد الله بن مسعود أبا جهل جريحًا فأجهز عليه وحز رأسه وحملها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فتبسم وأمسك بأذن أبى جهل وقال : الأذن بالأذن .

ثم ألقى برأس أبى جهل وكأنه أراد ـ ﷺ ـ أن يذكر ابن مسعود لطمة أبى جهل قال : والرأس زيادة .

وعلم عبد الله بن مسعود وأمه بعد سنين سر بسمة رسول الله ـ ﷺ

وكان ابن مسعود يمشى أمام رسول الله ـ ﷺ ـ بالعصا حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه فأدخلهما فى ذراعيه وأعطاه العصا فإذا أراد رسول الله ـ ﷺ ـ أن يقوم ألبسه نعليه ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة قبل خاتم الأنبياء ـ ﷺ ـ .

وذات يوم أمر النبى ـ ﷺ ـ حامل نعليه أن يصعد على شجرة الأراك ليجتنى سواكًا فصعد ابن مسعود على الشجرة فنظر أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى ساقى ابن أم عبد وضحكوا فتساءل أبو القاسم ـ ﷺ ـ : ما يضحككم ؟

قالوا : **من دقة ساقى ابن أم عبد .**

فقال نبى الرحمة ـ ﷺ ـ : **والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد ـ لرجل عبد الله بن مسعود أثقل فى الميزان يوم القيامة من جبل أحد ـ .**

ولقد صدقت فى ابن أم عبد نبوءة خاتم الأنبياء ـ ﷺ ـ يوم قال له : **إنك غلام معلم .**

فقد علمه ربه حتى صار عميد حفظة القرآن . . . يقول ابن مسعود : ـ أخذت من فم رسول الله ـ ﷺ ـ سبعين سورة لا ينازعنى فيها أحد .

وأوصى النبى ـ ﷺ ـ أصحابه أن يقتدوا بابن مسعود فقال : « **تمسكوا بعهد ابن أم عبد** » .

ويعلم أبو القاسم ـ ﷺ ـ ويوصى أصحابه أن يحاكوا عبد الله بن مسعود فى قراءته ويتعلموا منه كيف يتلون القرآن .. يقول طبيب القلوب والعقول ـ ﷺ ـ:

ـ « **من أحب أن يسمع القرآن غضًا كما أنزل فليسمعه من ابن أم عبد** » [رواه ابن عساكر] .

وكان أبو القاسم ﷺ ـ يطيب له أن يستمع للقرآن من فم ابن مسعود . . سأل أم عبد يومًا : أين عبد الله ؟

فنادته أمه . . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : **اقرأ لى يا عبد الله .**

فقال ابن أم عبد : **أقرأ عليك وعليك أنزل يا رسول الله ؟**

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : **إنى أحب أن أسمعه من غيرى .**

فأخذ ابن مسعود يقرأ من سورة النساء حتى وصل قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [سورة النساء الآية : ٤١ ، ٤٢] .

فغلب البكاء رسول ﷺ وفاضت عيناه بالدمع وأشار بيده أن :

حسبك .. حسبك يابن مسعود .

وكان ابن مسعود إذا سمع حديثًا رجع إلى أمه علمه إياها يقول ابن مسعود متحدثًا بنعمة الله عليه : والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل وما أحد أعلم بكتاب الله منى ولو أعلم أحدًا تمتطى إليه الإبل أعلم منى بكتاب الله لأتيته وما أنا بخيركم .

وأرادت أم عبد أن تبيت ليلة عند رسول الله ـ ﷺ ـ لتنظر كيف يوتر . تقول أم عبد : صلى النبى ـ ﷺ ـ ما شاء الله حتى إذا كان آخر الليل وأراد الوتر قرأ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [سورة الأعلى الآية : ١] فى الركعة الأولى وقرأ فى الثانية ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة الكافرون الآية : ١] ثم قعد ثم قام ولم يفصل بينهما بسلام ثم قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص الآية : ١] حتى إذا فرغ كبر ثم قنت فدعا ما شاء الله أن يدعو ثم كبر وركع. وخرجت أم عبد مع ابنها عبد الله ورسول الله ـ ﷺ ـ فى حجة الوداع فلما مر أبو القاسم بواد قال : **أى واد هذا ؟**

قالوا : وادى الأزرق .

قال خاتم الأنبياء ـ ﷺ ـ : « **كأنى أنظر إلى موسى وهو هابط من الثنية وله جوار ـ رفع صوته بالتلبية ـ إلى الله عز وجل بالتلبية** » .

ولما أتى نبى الرحمة ـ ﷺ ـ على الثنية تساءل : **أى ثنية هذه ؟**

قالوا : ثنية هرشاء .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **كأنى أنظر إلى يونس بن متى على ناقة حمراء عليه جبه من صوف خطام ناقته خلبة ـ ليف ـ وهو يلبى** » .

ولما رجع رسول الله ـ ﷺ ـ من مكة اشتكى . . فرآه ابن مسعود يومًا وهو يوعك فقال : يا رسول الله إنك توعك ـ تمرض ـ وعكًا شديدًا .

فقال أبو القاسم ـ ﷺ ـ : **أجل إنى أوعك كما يوعك رجلين منكم .**

فتساءل ابن مسعود : ذلك أن لك أجرين ؟

قال رسول الله - ﷺ - : « **أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها** » .

وبينما كان رسول الله - ﷺ - جالسًا مع ابن أم عبد وأصحابه يفقهم فى الدين أقبل راكب حتى أناخ فقال : يا رسول الله إنى أتيتك من مسيرة تسع أنضيت راحلتى - النضو : الدابة التى أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها - وأسهرت ليلتى وأظمأت نهارى لأسألك عن خصلتين أسهرتانى .

فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : **ما اسمك ؟**

قال الراكب : **أنا زيد الخيل .**

فقال رسول الله - ﷺ - : **بل أنت زيد الخير فاسأل فرب معضلة قد سئل عنها .**

قال زيد الخير : أسألك عن علامة الله فيمن يريده وعلامته فيمن لا يريده .

فسأل الهادى البشير - ﷺ - : **كيف أصبحت ؟**

قال زيد الخير : أصبحت أحب الخير وأهله ومن يعمل به وإن عملت به أيقنت بثوابه وإن فاتنى منه شئ حننت إليه .

فقال خاتم الأنبياء - ﷺ - : « **هذة علامة الله فيمن يريده وعلامته فيمن لا يريده ولو أردك بالأخرى هيأك لها ثم لا يبالى فى أى واد هلكت** » .

ثم أقبل رجل فسأل أبا القاسم - ﷺ -يا رسول الله متى أكون محسنًا ؟

قال - ﷺ - : « إذا أثنى عليك جيرانك أنك محسن فأنت محسن »[رواه ابن عساكر عن ابن مسعود] .

فعاد الرجل يتساءل : فمتى أكون مسيئًا ؟

قال طبيب القلوب والعقول - ﷺ -: « **إذا أثنى عليك جيرانك أنك مسىء فأنت**

مسىء » .

يقول : عبد الله بن مسعود فى صفة رسول الله ـ ﷺ ـ: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ « **صفتى أحمد المتوكل ليس بفظ ولا غليظ يجزى بالحسنة الحسنة ولا يكافىء بالسيئة مولده بمكة ومهاجره طيبة وأمته الحمادون يأتزرون على أنصافهم ويوضؤن أطرافهم أناجيلهم فى صدورهم يصفون للصلاة كما يصفون للقتال قربانهم الذى يتقربون به إلى دماؤهم رهبان بالليل ليوث بالنهار** [رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن مسعود] .

يقول رسول الله ـ ﷺ ـ : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما فأخرجت من بين أبوى فلم يصبنى شىء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ـ زنا ـ من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى فأنا خيركم نسبًا وخيركم أبًا » .

وسئل رسول الله : هل يولد العبد مؤمنًا ؟

فقال ـ ﷺ ـ : « **خلق الله يحيى بن زكريا فى بطن أمه مؤمنًا وخلق فرعون فى بطن أمه كافرًا** » .

ثم أردف النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **خلق الناس على طبقات شتى : منهم من يولد مؤمنًا ويحيا مؤمنًا ويموت مؤمنا منهم يحيى بن زكريا ومنهم من يولد كافرًا ويحيا كافرًا ويموت كافرًا منهم فرعون ذو الأوتاد** » .

وسألت أم عبد ابنها عبد الله بن مسعود عن فضل المتحابين فى الله فقال :

ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إن المتحابين فى الله لعلى عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة إذا أشرقوا على أهل الجنة أضاء حسنهم الجنة كما**

تضىء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة : انطلقوا فلننظر إلى المتحابين فى الله عليهم ثياب من سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله تعالى » [رواه ابن عساكر عن عبد الله بن مسعود] .

ودخل عبد الله بن مسعود ذات ضحى على أمه فقال : السلام عليكم .

فلم ترد أم عبد فقال ابن مسعود : قال رسول الله - ﷺ - : « **افشوا السلام تسلموا** » [رواه ابن حبان ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود] .

ثم استطرد ابن أم عبد : قال خاتم الأنبياء - ﷺ - : « **السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه الله فى الأرض فافشوه بينكم فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لتذكيره إياهم السلام فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب** » [رواه البزار عن ابن مسعود] .

فقالت أم عبد : **وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته** .

وحدث الذى لا ينطق عن الهوى - ﷺ - أصحابه يومًا عن طاعة الأمراء فقال : «**عليكم بالسمع والطاعة فى ما أحببتم وكرهتم ألا إن السامع المطيع لا حجة عليه وإن السامع العاصى لا حجة له ألا وعليكم بحسن الظن بالله فإن الله تعالى معط كل عبد بحسن ظنه وزيادة عليه** » [رواه أبو الشيخ عن عبد الله بن مسعود] .

ثم قال - ﷺ - : « **إنها ستكون أمراء يميتون الصلاة ويخفونها إلى شرق - آخر النهار لأن الشمس فى ذلك الوقت إنما تلبث قليلاً ثم تغيب - الموتى وإنه صلاة من هو شر من حمار وصلاة من لا يجد بدًا فمن أدرك منكم ذلك الزمان فليصل الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم سبحة** » .

وذات يوم قال رسول الله - ﷺ - لأصحابه : « **على كل مسلم فى كل يوم صدقة**» .

فقال عبد الله بن مسعود وبعض الصحابة : ومن يطيق ذلك يا رسول الله ؟

قال نبى الرحمة - ﷺ - : « **السلام على المسلم صدقة وعيادتك المريض صدقة وصلاتك على الجنازة صدقة وإماطتك الأذى عن الطريق صدقة وعوانك الضعيف صدقة** » .

ثم قال الصادق المصدوق - ﷺ - : « **الأيدى ثلاثة فيد الله ويد المعطى التى تليها ويد السائل أسفل إلى يوم القيامة فاستعفوا عن السؤال ما استطعتم ومن أعطاه الله خيراً فلير عليه وابدأ بمن تعول وارتضخ من الفضل ولا تلام على كفاف ولا تعجز عن نفسك** » .

وبينما رسول الله - ﷺ - جالسًا بين أصحابه جاء سائل فناوله رجل درهمًا فأخذه رجل فناوله إياه فقال رسول الله - ﷺ - : « **من فعل هذا كان له مثل أجر المعطى من غير أن ينقص من أجره شىء** » .

ثم تساءل رسول الله - ﷺ - « **هل تدرون ما يقول ربكم ؟** »

قال عبد الله بن مسعود وكعب بن عجرة : ماذا يقول رب العالمين ؟

قال رسول الله - ﷺ - : « **فإن ربكم يقول : من صلى الصلوات لوقتها وحافظ عليها ولم يضيعها استخفافًا بحقها فله على عهد أن أدخله الجنة ومن لم يصلها لوقتها ولم يحافظ عليها استخفافًا فلا عهد له على إن شئت عذبته وإن شئت غفرت له** » .

يقول عبد الله بن مسعود : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **قال ربكم : وعزتى وجلالى لا يصليها عبد لوقتها إلا أدخلته الجنة ومن صلاها لغير وقتها إن شئت رحمته وإن شئت عذبته** » .

ويقول ابن أم عبد : سمعت حبيبى - ﷺ - يقول : « تحترقون تحترقون فإذا صليتم الفجر غسلتها - الصلاة - ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ثم تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى

تستيقظوا » [رواه الطبراني في الأوسط وأورده الهيثمي في جمع الزوائد عن ابن مسعود] .

ويقول عبد الله بن مسعود : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **يبعث مناد عند حضرة كل صلاة فيقول : يا بني آدم قوموا فأطفئوا عنكم ما أوقدتم على أنفسكم فيقومون فيتطهرون فتسقط خطاياهم من أعينهم ويصلون فيغفر لهم ما بينهما ثم يوقدون فيما بين ذلك فإذا كان عند صلاة الأولى نادى : يا بني آدم قوموا فأطفئوا ما أوقدتم على أنفسكم فيقومون فيتطهرون ويصلون فيغفر لهم ما بينهما فإذا حضرت العصر فمثل ذلك فإذا حضرت المغرب فمثل ذلك فإذا حضرت العتمة ـ العشاء ـ فمثل ذلك فينامون وغفر لهم فمدلج ـ دلج : سار من أول الليل ـ في خير ومدلج في شر** » .

إن رسول الله ـ ﷺ ـ يبصرنا بأن الصلاة مفتاح الخير إلى الجنة والفوز بنعيمها الدائم . .

يقول عبد الله بن مسعود : يقول رسول الله ـ ﷺ : « **من قال إذا أذن المؤذن مثل ما يقول فإذا فقال : حي على الصلاة حي على الفلاح قال : لا حول ولا قوة إلا بالله مخلصًا دخل الجنة** » [رواه سعيد بن منصور في سننه عن ابن مسعود] .

وقال ابن أم عبد : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **إذا سمع النداء بالصلاة فكبر المنادي فيكبر ويشهد أن لا إلـه إلا الله ويشهد أن محمدًا رسول الله فيشهد على ذلك فيقول** : اللهم اعط سيدنا محمد الوسيلة واجعل في العالين درجته وفي المصطفين محبته وفي المقربين ذكره إلا وجبت له الشفاعة مني يوم القيامة » [رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود]

تقول أم عبد الله : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **الجمعة واجبة على كل قرية وإن لم يكن فيها إلا أربعة** » .

وتقول أم عبد الله : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **الجمعة واجبة على كل**

قرية وإن لم يكونوا إلا ثلاثة رابعهم إمامهم » .

ودخل عبد الله بن مسعود على أمه ذات ليلة فقال لها : حدثنا رسول الله - ﷺ - الليلة فقال : **« علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى »** .

ثم قال ابن مسعود : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : **« من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم يصبه فاقة أبداً »** [رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود].

فقالت أم عبد الله : وسورة تبارك ؟

قال عبد الله بن مسعود: قال رسول الله - ﷺ - : **« سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر »** [رواه الترمذى عن أبى هريرة] .

وقال عبد الله بن مسعود : قال رسول الله - ﷺ - : **« جادلت سورة تبارك عن صاحبها حتى أدخلته الجنة »** [رواه ابن مردويه عن ابن مسعود] .

وقال بن أم عبد : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : **« تبارك هى المانعة تمنع بإذن الله من عذاب القبر**
« لا سبيل لكم على إنه قد كان
وعى فى سورة الملك أوتى من قبل رجليه فقالت رجلاه : لا سبيل لكم على إنه كان يقوم بى بسورة الملك فمنعته بإذن الله من عذاب القبر وهى فى التوراة سورة الملك من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب » [رواه الترمذى] .

ودخل ابن مسعود المسجد ورسول الله - ﷺ - جالس فسلم عليه وجلس وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

فقال له رسول الله - ﷺ - : **« ألا أخبرك بتفسيرها ؟**

قال ابن أم عبد : بلى يا رسول الله .

قال خاتم الأنبياء - ﷺ - : **لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله »**

وضرب النبى - عليه الصلاة والسلام - منكبى ابن مسعود وقال : **« هكذا أخبرنى**

جبريل يا ابن أم عبد » .

يقول عبد الله بن مسعود : قال رسول الله - ﷺ - : « اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك وإمام الخير وقائد الخير رسول الرحمة . اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه فيه الأولون والآخرون . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » .

هكذا كان رسول الله - ﷺ - يعلم أصحابه كيف يسلمون عليه . .

ويقول : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « من كفر بحرف من القرآن فقد كفر به أجمع ومن حلف بالقرآن فعليه بكل آية منه يمين » .

ويقول ابن مسعود : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « القرآن شافع مشفع وما حل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه قاده إلى النار » [رواه ابن حبان ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود] .

وسألت أم عبد الله ابنها عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الشرح الآية : ٥ ، ٦] فقال : قال رسول الخير « لو كان العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه . وهل يستطيع أن يغلب عسر يسرين ؟ » .

وسئل رسول الله - ﷺ - عن الأمانة فقال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له والذى نفس محمد بيده لا يستقيم دين عبد حتى يستقيم لسانه ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » .

فتساءل ابن مسعود : يا رسول الله ما البوائق ؟

قال إمام المتقين - ﷺ - : « غشه وظلمه وأيما رجل أصاب مالاً من غير حله وأنفق

منه لم يبارك له فيه وإن تصدق لم تقبل منه وما بقى فزاده إلى النار إن الخبيث لا يكفر الخبيث ولكن الطيب يكفر الخبيث » [رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود] .

وحض رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال : « ما من نبى بعثه الله فى أمة من قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف منهم من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يأمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الأيمان حبة خردل » [رواه مسلم والإمام أحمد عن ابن مسعود] .

فقال رجل : يا رسول الله إذا رأى امرؤ منكرًا لا يستطيع له تغييرًا ؟

قال رسول الرحمة ـ ﷺ ـ : « بحسب امرىء إذا رأى منكرًا لا يستطيع له تغييرًا أن يعلم الله تعالى أنه له منكر » [رواه البخارى فى تاريخه عن ابن مسعود] .

ثم قال خاتم النبيين ـ ﷺ ـ : « بئس القوم قو يستحلون المحرمات بالشبهات وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » [رواه أبو الشيخ عن ابن مسعود]

وقال سيد المرسلين ـ ﷺ ـ : « يكون فى آخر الزمان قوم يحضرون السلطان فيحكمون بغير حكم الله ولا ينهونه فعليهم لعنه الله » [برواية أبو نعيم والديلمى عن ابن مسعود] كان رسول الله ـ ﷺ ـ يمشى مع عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك مر برجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء فقال ـ ﷺ ـ : « دعه فإن الحياء من الإيمان » .

وقال ـ ﷺ ـ : « استحيوا من الله تعالى حق الحياة فإن الله تعالى قسم بينكم أرزاقكم » [رواه البخارى فى تاريخه عن ابن مسعود] .

وقال سيد المرسلين ـ ﷺ ـ : « استحيوا من الله تعالى حق الحياء من استحيا من

الله تعالى حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء » [رواه الترمذى والإمام أحمد عن ابن مسعود] .

ثم قال الهادى البشير - ﷺ - .

المرء » [رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن مسعود] .

وسألت أم عبد الله ابنها عبد الله بن مسعود عن الغيرة فقال : قال رسول الله - ﷺ - : **« إن الله تعالى يغار للمسلم فليغر »** .

وقال ابن أم عبد : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول :

[رواه الإمام أحمد ، والترمذى عن ابن مسعود] .

وقال ابن مسعود : قال رسول الله - ﷺ - : **« إن الغيرة من الإيمان وإن المذاء من النفاق »** [رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود] .

يقول عبد الله بن مسعود : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : **« إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا وإن الكذب ليهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا »** [رواه البخارى ، ومسلم عن ابن مسعود] .

وأخبر أنس بن مالك رسول الله - ﷺ - بمرض أمه أم سليم بنت ملحان فانطلق رسول الله - ﷺ - وعبد الله بن مسعود وأنس وبعض الصحابة إلى دار أبى طلحة - زوج أم سليم - فلما رآها رسول الله - ﷺ - قال : **« يا أم سليم أتعرفين النار والحديد وخبث الحديد ؟ فأبشرى يا أم سليم فإنك أن تخلصى من وجعك هذا تخلصى من الذنوب كما يخلص الحديد من خبثه »** .

ثم يقول ـ ﷺ ـ : « **لا يمرض مؤمن ولا مؤمنة ولا مسلم ولا مسلمة إلا حط الله تعالى خطاياه** » [رواه الخطيب عن جابر] .

يقول عبد الله بن مسعود : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **والذى نفسى بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه به خطاياه كما تحط الشجرة ورقها** » [رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن مسعود] .

ثم تعجب ابن مسعود من الذين يجزعون من المرض فقال : سمعت أبا القاسم ـ ﷺ يقول : « **عجبت للمؤمن وجذعه من السقم ولو يعلم ما له فى السقم أحب أن يكون سقيمًا حتى يلقى الله عز وجل** » [رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن مسعود] .

لقد كان نبى الرحمة ـ ﷺ ـ **يحض على الصبر على مطلق الأمراض** فقال :

ـ « **عجبت للملكين من الملائكة نزلا إلى الأرض يلتمسان عبدًا فى مصلاة فلم يجداه ثم عرجا إلى ربهما فقالا : يارب كنا نكتب لعبدك المؤمن فى يومه وليلته من العمل كذا وكذا فوجدناه قد حبسته حبالتك ـ الحبالة : ما يصاد بها والمراد هنا حبسه المرض ـ فلم نكتب له شيئًا فقال عز وجل : اكتبا لعبدى عمله فى يومه وليلته ولا تنقصا من عمله شيئًا على أجره ما حبسته وله أجر ما كان يعمل** » [رواه الطيالسى والطبرانى فى الأوسط عن ابن مسعود] .

كما كان الذى لا ينطق عن الهوى ـ ﷺ ـ

« **أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم** » [رواه الخطيب عن ابن مسعود]

وقال ـ ﷺ ـ : « **من أشرب قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث : شقاء لا ينفد عناه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه فالدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى تأتيه فيأخذها ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه** » [رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود] .

ثم حذر نبى الرحمة - ﷺ - أصحابه من الدنيا إذا أقبلت عليهم فقال : « **كيف أنتم بعدى إذا شبعتم من ألوان الطعام ؟**

فقال عبد الله بن مسعود وكثير من الصحابة : أو يكون ذلك ؟

قال الذى يأتيه الأمر من السماء - ﷺ - : « **نعم قد أدركتموه أومن قد أدركه منكم كيف أنتم إذا سترتم بيوتكم كما تستر الكعبة ؟**

قالوا : **رغبة عن الكعبة ؟**

قال النبى - عليه الصلاة والسلام - : **لا بل ولكن من فضل - غنى - تجدونه** .

فتساءل ابن مسعود وأصحابه : نحن خير اليوم أو يومئذ ؟

قال - ﷺ - : **لا بل أنتم اليوم أفضل** » .

ثم قال خاتم النبيين - ﷺ - : « **من جعل الهموم همًا واحدًا هم الميعاد كفاه الله سائر همومه من تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها هلك**» [رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن عمر] .

وقال - عليه الصلاة والسلام - : « **الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلمًا** » .

وقال - ﷺ - : « **الدنيا ملعونة ملعون ملعون ما فيها إلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكرًا لله** » [رواه الضياء وأبو نعيم فى الحلية عن جابر] .

وقال إمام الخير - ﷺ - : « **الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له** » [رواه الإمام أحمد عن عائشة] .

يقول عبد الله بن مسعود : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **أكبر الكبائر حب الدنيا** » [رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن مسعود] .

ويقول ابن أم عبد : قال رسول الله - ﷺ - : « **الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها ورب متخوص - الخوص : بائع الخوص - فيها اشتهت نفسه ليس**

له يوم القيامة إلا النار » [رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر] .

وذات يوم كان رسول الله - ﷺ - يحدث أصحابه عن فضيلة الحلم فتساءل : «أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم ؟

فقال عبد الله بن مسعود وبعض الصحابة : وما أبو ضمضم يا رسول الله ؟

قال الهادى البشير - ﷺ - : رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول : اللهم إنى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى »[رواه الديلمى عن أنس]

ومر عبد الله بن مسعود بقوم يخوضون بلغو فأعرض عنهم فلما دخل المسجد رآه رسول الله - ﷺ -وهو جالس بين أصحابه فقال - عليه الصلاة والسلام - : « أصبح ابن مسعود وأمسى كريمًا ، ثم تلا قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[سورة الفرقان الآية : ٧٢] أى مروا بالباطل والمعاصى أى لا يقبلون اللغو ولا يتعاملون به فإذا نطقوا نطقوا خيرًا أو سكتوا وإذا سمعوا سمعوا حسنًا أو انصرفوا فقد صفت نفوسهم وطهرت قلوبهم » .

وجاء رجل من أهل نجد إلى رسول الله - ﷺ -وكان ثائر الرأس يسمع دوى صوته . . يقول عبد الله بن مسعود : ولم نفقه ما يقول .

فلما دنا الرجل النجدى من رسول الله - ﷺ -فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال له نبى الرحمة - ﷺ -: « خمس صلوات فى اليوم والليلة .

فتساءل النجدى : هل على غيرهن ؟

قال إمام الخير - ﷺ -: لا إلا التطوع .

ثم قال الهادى البشير - ﷺ -: وصيام شهر رمضان .

فقال الرجل النجدى : هل على غيرها ؟

قال خاتم الأنبياء - ﷺ -: إلا أن تطوع .

ثم قال رسول الله - ﷺ -: والزكاة .

فتساءل النجدى : وهل على غيرها ؟

قال رسول الله - ﷺ -: **لا إلا أن تطوع .**

فادبر الرجل النجدى وهو يقول : **والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه .**

فقال رسول الله - ﷺ -: **أفلح الرجل إن صدق »** .

يقول عبد الله بن مسعود : سمعت رسول الله - ﷺ -يقول : « إنما هما اثنتان : الكلام والهدى فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدى هدى محمد ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها . وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ألا إن ما هو آت قريب وإنما البعيد ما ليس بآت ألا إنما الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره ألا إن قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة ألا وإياكم والكذب فإن الكذب لا يصلح لا بالجد ولا بالهزل ولا يعد الرجل صبيه ولا يفى له وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإنه يقال للصادق : صدق وبر ويقال للكاذب : كذب وفجر ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابًا » [اخرجه ابن ماجة كتاب المقدمة عن ابن مسعود] .

وجاء أعرابى إلى رسول الله- ﷺ - فقال : يا رسول الله ما الكبائر ؟

قال- ﷺ - : « **الإشراك بالله** » .

فتساءل الأعرابى : ثم ماذا ؟

قال نبى الرحمة- ﷺ - : « **عقوق الوالدين** » .

فقال الأعرابى : ثم ماذا ؟

قال الصادق المصدوق- ﷺ - « **اليمين الغموس** » .

فتساءل عبد الله بن مسعود : وما اليمين الغموس ؟

قال أبو القاسم - ﷺ - : من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة .

فقال رجل من الأنصار : وإن كان يسيراً يا رسول الله ؟

قال - ﷺ - : وإن كان قضيبًا من أراك - سواك -

ثم قال رسول الله - ﷺ - : « من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان » [رواه ابن عساكر عن ابن مسعود].

فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٧٧] .

وسألت أم عبد ابنها عبد الله بن مسعود عن قتل النفس فقال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء يجىء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول : رب هذا قتلنى فيقول : فيم قتلته ؟ فيقول : لتكون العزة لك فيقول: إنها لى ويجىء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول : يا رب هذا قتلنى فيقول الله : لم قتلت هذا ؟ فيقول : قتلته لتكون العزة لفلان فيقول إنها ليست له يومًا [رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود].

وقال ابن مسعود : حدثنا رسول الله - ﷺ - فقال : « يجىء المقتول آخذا قاتله وأوداجه تشخب دمًا عند رب العزة فيقول : يا رب سل هذا فيم قتلنى ؟ فيقول : فيم قتلت فلانًا ؟ قال : قتلت لتكون العزة لفلان قال : هى لله تعالى » [رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن مسعود] .

ورأى عبد الله بن مسعود أمه تشرب وهى قائمة فقال له : أيسرك أن تشربى مع

الهر ؟

قالت أم عبد : لا .

قال عبد الله بن مسعود : شرب معك ـ شرب معك من هو شر منه : **الشيطان**.

فقالت أم عبد الله : من عندك أم سمعته من رسول ـ ﷺ ـ ؟

قال عبد الله بن مسعود : رأى رسول الله ـ ﷺ ـ رجلاً يشرب قائمًا فذكره . .

وسمع عبد الله بن مسعود نباح الكلب فى جوف الليل فقال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله من الشيطان فإنهن يرين ما لا ترون وأقلوا الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله عز وجل يبث فى ليله من خلقه ما يشاء وأجيفوا ـ أغلقوا ـ الأبواب واذكروا اسم الله عليها فإن الشيطان لا يفتح بابًا أجيف وذكر اسم الله عليه وغطوا الجرار وأوكئوا ـ أربطوا ـ القرب وأكفئوا الآنية** » [أخرجه أبو داود كتاب الأدب عن جابر] .

وسألت أم عبد الله ابنها ابن مسعود : **ماذا أقول إذا أويت إلى فراشى ؟**

وقال ابن مسعود : قال الهادى البشير ـ ﷺ ـ : « **إذا اضطجعت فقل : بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون** » [رواه أبو نصر السجزى فى الإبانه عن ابن عمر] .

فقالت أم عبد الله : **وإذا استيقظت من منامى ؟**

قال عبد الله بن مسعود : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إذا استيقظ الإنسان من منامه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك : افتح بخير ويقول الشيطان : افتح بشر فإن قال : الحمد لله الذى أحيى نفسى بعد موتها الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض الحمد لله الذى يمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه** » [رواه أبو الشيخ فى الثواب عن

جابر] .

وقال ابن مسعود : قال رسول الله - ﷺ - : « **إن العبد إذا دخل بيته وأوى إلى فراشه ابتدره ملكه وشيطانه يقول شيطانه : اختم بشر ويقول الملك : اختم بخير فإذا ذكر الله وحده طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه - يحرسه - وإن انتبه من منامه ابتدره ملكه وشيطانه يقول له الشيطان : افتح بشر ويقول الملك : افتح بخير فإن هو يقول : الحمد لله الذى رد إلى نفسى بعد موتها ولم يمتها من منامها ، الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس رؤف رحيم فإن هو خر من فراشه فمات كان شهيدًا ، وإن قام يصلى صلى فى الفضائل** » [رواه ابن ماجه وابن السنى عن جابر] .

وكان رسول الله - ﷺ - إذا نام قال : « **اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك** » .

وكان - ﷺ - **يضع يمينه تحت خده** .

دخل ابن مسعود مع النبى - عليه الصلاة والسلام - يومًا البقيع فقال رسول الله - ﷺ - « **السلام عليكم أيها الأرواح الفانية والأبدان البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى مؤمنة اللهم أدخل عليهم روحًا - من روح الله أى من رحمته بعباده - منك وسلامًا منى** » .

وكان رسول الله - ﷺ - **يحذر وينهى عن الربا** .. يقول ابن مسعود :

وقال - ﷺ - : « الربا سبعون بابًا والشرك مثل ذلك » [رواه البزار عن ابن مسعود] .

وقال ابن مسعود : سمعت الهادى البشير - ﷺ - يقول : « **الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى أقل** » [رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود].

وقال الصادق المصدوق - ﷺ - : « **لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه هم**

فيه سواء » [رواه الإمام أحمد ، ومسلم عن جابر] .

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **ما ظهر فى قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله** » [رواه الإمام أحمد ، والنسائى عن على] .

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يحذر أصحابه من **صغائر ومحقرات الذنوب** فقال : «**إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه كرجل كان بأرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل يجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا من ذلك سوادًا وأججوا نارًا فأنضجوا ما فيها** » [رواه الإمام أحمد ، والطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود] .

وقال ـ ﷺ ـ : « **اتقوا المظالم ما استطعتم فإن الرجل يجيء يوم القيامة بحسنات يرى أنها ستنجيه فما يزال عند ذلك يقول : إن لفلان قبلك مظلمة فيقال : أمحوا من حسناته فما تبق له حسنة ومثل ذلك كمثل سفر ـ المسافرون ـ نزلوا بفلاة من أرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فاحتطبوا للنار وأنضجوا ما أرادوا فكذلك الذنوب** » [رواه الخرائطى فى مساوئ الأخلاق عن ابن مسعود] .

يقول ابن مسعود : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **التوبة من الذنب أن لا تعود إليه أبدًا** » .

وقال رسـول اللـه ـ ﷺ ـ : « **إن رجلاً حضـره الموت فلـما أيس من الحياة أوصى أهـله إذا أنا مت فاجـمعوا لى حطبًا كثيرًا جزلاً ثم أوقدوا فيه نارًا حتى إذا أكلت لحمى وخلصـت إلى عظـمى فامتحشـت فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يومًا راحًا ـ تهـب فيه الريح ـ فاذروها فى اليم ففعلوا ما أمرهم فجمعه الله وقال : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك فغفر له** » [رواه ابن ماجه ، والإمام أحمد عن ابن مسعود] .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ - : « **كان رجل يعمل بالمعاصى حتى جمع من ذلك مالاً فلما حضره الموت قال لأهله : إن إتبعتم ما أمركم به دفعت لكم مالى وإلا لم أفعل قالوا : فإنا سنفعل ما أمرتنا به قال : إذا أنا مت فحرقونى بالنار ثم دقوا عظامى دقًا شديدًا فإذا رأيتم يوم ريح شديد فاصعدوا إلى قلة جبل فأذرونى فى الريح .. ففعلوا فوقع فى يد الله فقال : ما حملك على الذى صنعت ؟ قال : مخافتك قال : قد غفر لك** » [رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن مسعود] .

يقول عبد الله بن مسعود : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **من أخطأ خطيئة أو أذنب ذنبًا ثم ندم فهو كفارته** » [رواه ابن النجار] .

وجاء رجل إلى رسول الله - ﷺ - فسأله عن الصيام فشغل عنه فقال له ابن مسعود : صم رمضان وثلاثة أيام من كل شهر .

فقال الرجل : يا رسول الله أخبرنى عن الصيام ؟

فقال عبد الله بن مسعود : صم رمضان وثلاثة أيام من كل شهر .

فقال الرجل : إنى أعوذ بالله منك يا عبد الله .

فقال رسول الله - ﷺ - « **وما تبغى ؟ صم رمضان وثلاثة أيام من كل شهر** ».

ولما انتقل رسول الله - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى وبايع المسلمون أبا بكر عين الفاروق للقضاء وابن مسعود للعس وابا عبيد بن الجراح لبيت المال .

سألت أم عبد ابنها : يا عبد الله ما معنى قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [سورة التغابن الآية : ٢]؟

قال عبد الله بن مسعود : يولد الرجل مؤمنًا ويعيش مؤمنًا ويموت مؤمنًا ويولد الرجل كافرًا ويعيش كافرًا ويموت كافرًا .

ثم قال ابن أم عبد : قال رسول الله - ﷺ - : « خلق الله فرعون فى بطن أمه كافرًا وخلق يحيى بن زكريا فى بطن أمه مؤمنًا » .

وقال خليلى ـ ﷺ ـ : « **وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** » .

وسألت أم عبد ابنها : ابن مسعود عن قوله تعالى ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [سورة الإسراء الآية : ٥٥] فقال : الزبور كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد .. فكما آتينا داود الزبور فلا تنكروا أن يؤتى محمد القرآن .

وسألت أم عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الشعراء الآية : ٦٣] .

فقال : حين أسرى بموسى ـ عليه السلام ـ ببنى إسرائيل بلغ فرعون ذلك فأمر بشاة فذبحت وقال : لا ، والله لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع إلى ستمائة ألف من القبط فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر فقال له : انفرق فقال له البحر : قد استكبرت يا موسى وهل انفرقت لأحد من ولد آدم فأنفرق لك ؟

ومع موسى رجل على حصان ـ يوشع بن نون ـ له فقال له ذلك الرجل : أين أمرت يا نبى الله ؟ قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه قال : والله ما كذب ولا كذبت ثم اقتحم الثانية فسبح ثم خرج فقال : أين أمرت يا نبى الله ؟ فقال : ما أمرت إلا بهذا الوجه يعنى البحر فاقتحم فرسه فسبح به فخرج فقال : والله ما كذب ولا كذبت ثم اقتحم الثانية فسبح ثم خرج فقال : والله ما كذب ولا كذبت فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه موسى بعصاه فانفلق فكان فيه اثنا عشر سبطًا لكل سبط طريق يتراءون فلما خرج أصحاب موسى وتتام أصحاب فرعون التقى البحر عليهم فأغرقهم ـ فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انطم عليهم البحر فما رئى سواد أكثر من يومئذ وغرق فرعون لعنه الله .

وكان عبد الله بن مسعود يفتى فى عهد أمير المؤمنين عمر وكثر ثناء الناس عليه لكثرة علمه . .

وخرجت أم عبد مع ابنها عبد الله بن مسعود يومًا فى سفر وفى الطريق لقى ركب الفاروق ذلك الركب فأمر أمير المؤمنين رجلاً يناديهم : من أين القوم ؟

فأجابه عبد الله بن مسعود : أقبلنا من الفج العميق .

قال عمر بن الخطاب : أين تريدون ؟

فقال ابن أم عبد : البيت العتيق .

فقال الفاروق : إن فيهم عالمًا .

وأمر رجلاً فناداهم : أى القرآن أعظم ؟

فأجابه عبد الله بن مسعود : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٥٥] .

فقال عمر للرجل : نادهم أى القرآن أحكم ؟

فقال عبد الله بن مسعود : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [سورة النحل الآية : ٩٠] .

فقال عمر بن الخطاب : نادهم أى القرآن أجمع ؟

فقال ابن مسعود : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [سورة الزلزلة الآية : ٧ ، ٨] .

فقال عمر بن الخطاب : نادهم أى القرآن أخوف ؟

فقال عبد الله بن مسعود : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [سورة النساء الآية : ١٢٣] .

فقال الفاروق : نادهم أى الكتاب ـ القرآن ـ أرجى ؟

قال ابن أم عبد : ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر الآية : ٥٣] .

فقال أمير المؤمنين عمر : نادهم : أفيكم ابن مسعود ؟

قالوا : اللهم نعم .

ولما مات عتبة بن مسعود بكى عبد الله بن مسعود فقيل له : أتبكى يا أبا عبد الرحمن ؟

قال عبد الله بن مسعود : نعم أخى فى النسب وصاحبى مع رسول الله - ﷺ - وأحب الناس إلى إلا ما كان من عمر .

وأراد أصحاب رسول الله - ﷺ - أن يصلوا على عتبة بن مسعود ولكن الفاروق قال : انتظروا حتى تأتى أم عبد

فلما جاءت صلت على ابنها عتبة بن مسعود .

ولما فرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للنساء المهاجرات فرض لأم عبد ألفين.

وخرج عبد الله بن مسعود إلى المسجد يوم الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فضرب كفًا بكف وقال فى حسرة وألم وندم : رابع أربعة ؟ وما رابع أربعة من الله ببعيد إنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **إن الناس يجلسون يوم القيامة على قدر تراوحهم إلى الجمعات الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع وما رابع أربعة من الله ببعيد** ».

وسألت أم عبد ابنها عبد الله بن مسعود : ما الصراط المستقيم ؟

فقال أبو عبد الرحمن : تركنا محمد - ﷺ - فى أدناه وطرفه فى الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ فى تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى إلى الجنة .

ثم قرأ ابن مسعود قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٥٣] .

وسألت أم عبد أبا عبد الرحمن عن كتاب الله الأول والقرآن فقال : قال رسول الله - ﷺ - : « **كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به وكل من عند ربنا** »

وسمع عبد الله بن مسعود أمه أم عبد بنت عبد ود تقرأ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [سورة آل عمران : ١٨ ، ١٩] .

فقال عبد الله بن مسعود : من قال : وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة جىء به يوم القيامة فقيل : عبدى هذا عهد إلى عهداً وأنا أحق من أوفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة .

وجاء رجل إلى ابن مسعود فقال له : إنك فى زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطى . يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة . يبدون أعمالم قبل أهوائهم . وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه يحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطى يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم .

* * * *

أم كرز الخزاعية

رأى رسول الله ﷺ فى النوم أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين وأنه دخل البيت وأخذ مفتاحه وطاف هو وأصحابه مع الطائفين.

وفى السحر وقبل أن يؤذن بلال بن رباح بالفجر خرج أبو القاسم ﷺ إلى المسجد منطلق الوجه تغمره سعادة عارمة فاقبل على أصحابه بادى البشر ، ولما قضيت الصلاة أخذ يقص عليهم رؤياه وقد ألقوا إليه سمعهم مستبشرين فرحين بما أتاهم الله من فضله فقد صاروا جميعا موقنين أن الفتح قريب وأن أم القرى ستفتح لهم أبوابها طوعا أو كرها فرؤيا الأنبياء حق وما رأى رسول الله ﷺ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . .

وأخبر رسول الله ﷺ أصحابه أنه يريد الخروج للعمرة .

وخرج رسول الله ﷺ بعد أن اغتسل ببيته ولبس ثوبين وركب راحلته القصواء من عند بابه وخرجت معه زوجه أم سلمة وأم عمارة وأم منيع وأم عامر الأشهلية وخرج معه المهاجرون والأنصار ومن لحق بهم من العرب وليس معهم سلاح إلا السيوف فى القرب .

قال عمر بن الخطاب :

ـ أتخشى يا رسول الله من أبى سفيان وأصحابه ولم تأخذ للحرب عدتها ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ لست أحب أن أحمل السلاح معتمرا .

وقدم رسول الله ﷺ عباد بن بشر أمامه طليعة فى عشرين فارسا وبعث بشرا بن سفيان الكعبى إلى مكة عينا له ليتحسس أخبار قريش ليكون على بينة من أمر قريش .

ولما بلغ رسول الله ﷺ وأصحابه عسفان جاءه بشر بن سفيان فقال :

- يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بخروجك واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش وأجلبت ثقيف ومعهم النساء والصبيان وقد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله ألا تدخلها - مكة - عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم .

فقال رسول الله ﷺ:

- يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ، فماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ؟ فما تظن قريش ؟ والله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة . (رواه الطبرانى عن المسور ابن مخرمة) .

ثم سأل النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه :

- هل من رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التى هم بها ؟

فقال ناجية بن جندب :

- أنا يا رسول الله .

وسلك ناجية بالمسلمين طريقا وعرا إلى الحديبية .. فلما علم خالد بن الوليد بذلك رجع إلى قريش وأخبرهم أن محمدا ﷺ قد بلغ الحديبية .. فأرسلوا بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعة .. فأخبرهم رسول الله ﷺ أنهم لم يأتوا لقتال ولكن جاءوا معتمرين .. ثم بعثوا مكرز بن حفص .. ثم الحليس بن علقمة سيد الأحابيش .. ثم عروة بن مسعود الثقفى .

وأرسل رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ليخبر قريشا أن المسلمين لم يأتوا لحرب ولكن جاءوا معتمرين زائرين معظمين للبيت .

وانقضى اليوم الأول والمسلمون فى الحديبية يترقبون سفارة عثمان بن عفان فقال

بعضهم :

ـ قد خلص عثمان إلى البيت فطاف به دوننا

فقال رسول الله ﷺ :

ـ ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون

فتساءلوا :

ـ وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص إليه ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ ذلك ظنى به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف ، لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف به حتى أطوف .

وبلغ عثمان سادات قريش ما أرسله به رسول الله ﷺ . . ولكنهم قالوا :

ـ إن محمدا لا يدخلها ـ مكة ـ علينا أبدا

وطلبوا من عثمان أن يطوف بالبيت فرفض وقال :

ـ ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ .

وبينما رسول الله ﷺ جالس تحت شجرة الطلح قدم رجل وقال :

ـ قتل عثمان بن عفان

فهب رسول الله ﷺ واقفا وقال :

ـ لا نبرح حتى نناجز القوم

والتفت عليه الصلاة والسلام إلى من عنده وقال :

ـ إن الله أمرنى بالبيعة

فنادى عمر بن الخطاب :

ـ أيها الناس البيعة نزل بها روح القدس فأخرجوا على اسم الله .

وكانت بيعة الرضوان ..

ولما علمت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد بايعوه على الحرب والموت .. خافوا وبعثوا سهيل بن عمرو ، فكان صلح الحديبية .

وحزن كثير من المسلمين .. لقد خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح بعد أن قص رسول الله ﷺ رؤياه فلما انتهى الأمر بالهدنة دخل الناس أمر عظيم .

وقام رسول الله ﷺ وقال لأصحابه :

- قوموا فانحروا ثم احلقوا

فلم يقم أحد منهم

ألم يسمعوا قول النبى عليه الصلاة والسلام ؟

فعاد ﷺ يقول :

- قوموا فانحروا ثم احلقوا .

فلم يتحرك أحد

هل أبوا أن يطيعوا أمره ؟ فعاد نبى الرحمة ﷺ يقول :

- قوموا فانحروا ثم احلقوا

فلم يقم منهم أحد ... فدخل رسول الله ﷺ على زوجته أم سلمة وهو شديد الغضب ..

فقالت :

- يا رسول الله لا تلمهم فإنهم قد داخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ، يا نبى الله اخرج ولا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حلاقك فيحلقك .

وأخذ رسول الله ﷺ الحربة وقصد هديه وأهوى بالحربة إلى البدن رافعا صوته:

ـ بسم الله والله أكبر

ثم دخل قبته ـ قبه من أدم أحمر ـ ودعا بخراش بن أمية الخزاعى فحلق رأسه .

وأتت أم كرز الخزاعية رسول الله ﷺ وهو يقسم لحوم بدنة ..

وسألت أم كرز النبى عليه الصلاة والسلام عن العقيقة . . فقال ﷺ :

ـ عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة

وأرادت أن تسأله عن لحوم الهدى فسمعته يقول :

ـ أقروا الطير على مصافها

فلما رأى المسلمون رسول الله ﷺ قد نحر وحلق رأسه قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما . وحلق رجال وقصر رجال وهم يقولون :

ـ لعلنا نطوف بالبيت

فقال السراج المنير ﷺ :

ـ يرحم الله المحلقين

فقال أصحابه :

ـ يا رسول الله والمقصرين ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ يرحم الله المحلقين

فتساءل الناس :

ـ يا رسول الله والمقصرين ؟

فقال طبيب القلوب والنفوس ﷺ :

ـ يرحم الله المحلقين

فقال الناس :

- يا رسول الله والمقصرين ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

- يرحم الله المقصرين

فقال الناس :

- يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم على المحلقين دون المقصرين ؟

قال صاحب الشفاعة الله ﷺ :

- **لأنهم لم يشكوا**

ولما ارتفع صوت منادى رسول الله ﷺ بالرحيل إلى المدينة حمل الناس الخيام على ظهور الإبل ورفعت النساء فى الهوادج وانطلق أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة .

ولما بلغ المسلمون كراع الغمغم توقفت راحلة رسول الله ﷺ ونزل قوله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [سورة الفتح الآية : ١ - ٣] .

فقال عمر بن الخطاب :

- أوفتح هو يا رسول الله ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

- نعم والذى نفسى بيده إنه لفتح .

فقال بعض الناس :

- ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا

فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال :

- **بئس الكلام بل هو أعظم الفتح ، لقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالبراح عن**

بلادهم وسألوكم القضية ورغبوا إليكم فى الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم الله سالمين مأجورين فهو أعظم الفتح أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم فى أخراكم ؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ؟

فقال المسلمون :

ـ صدق الله ورسوله فهو أعظم الفتح .

ورجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

تقول أم كرز :

ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ذهبت النبوة وبقيت المبشرات.

وذات يوم بينما كان رسول الله ﷺ مع أصحابه بلغه وفاة ابن امرأة من الأنصار فقام وقام معه أصحابه فلما رآها قال ﷺ :

ـ ما هذا الجزع ؟

قالت المرأة :

ـ يا رسول الله ومالى لا أجزع وأنا رقوب لا يعيش لى ولد ؟

فقال ﷺ :

ـ إنما الرقوب الذى لا يموت ولدها ، أما تحبين أن تريه على باب الجنة وهو يدعوك إليها ؟

قالت المرأة الأنصارية :

ـ بلى

قال الصادق المصدوق ﷺ:

- **فإنه كذلك**(رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن بريدة)

ثم قال رسول الله ﷺ :

- **من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة**

فقال أحد الصحابة - جابر بن عبد الله - :

- يا رسول الله واثنان ؟

قال الشافع المشفع ﷺ :

- **واثنان**(رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن جابر بن عبد الله)

تقول أم كرز الخزاعية :

- جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إن أبى احتاج مالى

فقال نبى الرحمة ﷺ :

- **أنت ومالك لأبيك** (رواه ابن أبى شيبة عن ابن عمرو)

وأتى رجل بابن له وغلام النبى ﷺ وقال :

- يا رسول الله اشهد بغلامى هذا لابنى هذا

فتساءل إمام الخير ﷺ :

- **ألكل ولد جعلت مثل هذا ؟**

قال الرجل :

- لا

قال البشير النذير ﷺ :

- **لا أشهد ولا على رغيف محترق** (رواه ابن النجار عن سهل بن سعد) .

تقول أم كرز الخزاعية :

قال رسول الله ﷺ :

ـ زوجوا أبناءكم وبناتكم

قيل :

ـ هذا أبناؤنا فكيف بناتنا ؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ حلوهن الذهب والفضة ، واجيدوا لهن الكسوة وأحسنوا إليهن بالنحلة ليرغبن فيهن (رواه الحاكم فى تاريخه والديلمى عن عبد الله بن عمر).

وسأل رجل النبى ﷺ :

ـ يا رسول الله من أحق الناس بالصحبة ؟

قال ﷺ :

ـ أمك ؟

فتساءل الرجل :

ـ ثم من ؟

قال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ :

ـ أمك

قال الرجل :

ـ ثم من ؟

قال أبو القاسم ﷺ :

ـ أبوك (رواه ابن النجار عن أبى هريرة)

فيرون أن للأم الثلثين وللأب الثلث

فقال رجل :

ـ يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟

قال الذى أوتى جوامع الكلم ﷺ :

ـ نعم أربعة : الصلاة عليهما ـ الدعاء لهما - والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قبلهما فهذا الذى بقى من برهما بعد موتهما (رواه ابن النجار عن أبى أسيد) .

تقول أم كرز الخزاعية :

قال رسول الله ﷺ :

ـ إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع ـ حتى تصبح [أخرجه مسلم كتاب النكاح والإمام أحمد عن أبى هريرة] .

وقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ أيما امرأة صامت ـ صيام النفل ـ بغير إذن زوجها فأرادها على شىء فامتنعت عليه كتب الله عليها ثلاثا من الكبائر [رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة]

ولقيت أم كرز الخزاعية امرأة من الأنصار يفوح من ثيابها العطر فقالت لها :

ﷺ : **إذا تطيبت المرأة لغير زوجها فإنما هو نار وشنار ـ الشنار : العيب والعار ـ** [رواه الطبرانى فى الأوسط عن أنس].

وقالت أم كرز :

ـ قال أبو القاسم ﷺ : **إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهى زانية** [أخرجه الترمذى عن أبى موسى] .

فقالت المرأة الأنصارية :

ـ ماذا أفعل يا أم كرز ؟

قالت أم كرز الخزاعية :

ـ ارجعى إلى بيتك فاغتسلى

وقال عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ:

ـ يا نبى الله أخبرنا بما رأيت فى الجنة ليلة أسرى بك

قال رسول الله ﷺ :

ـ يا ابن الخطاب لو لبثت فيكم ما لبث نوح فى قومه ألف سنة أحدثكم عما رأيت فى الجنة لما فرغت منه ولكن يا عمر إذا قلت لى : حدثنى فسأحدثك عما لم أحدث به غيرك ، رأيت فيها قصورا أصلها فى أرض الجنة وأعلاها فى جوف العرش فقلت : يا جبريل هى فى جوف العرش وأركانها فى أرض الجنة ؟ قال : لا أدرى قلت : يا جبريل أخبرنى من يصير إليها ومن يسكنها ؟ وإذا ضوؤها كضوء الشمس فى الدنيا قال : يسكنها ويصير إليها من يقول الحق ويهدى إلى الحق وإذا قيل له الحق لم يغضب ومات على الحق قلت : يا جبريل هل تسمى أحدا ؟ قال :

نعم رجلا واحدا قلت : من ذاك الواحد ؟ قال : عمر بن الخطاب .

فشهـق عمر بن الخطاب شهقة فخر مغشيا عليه إلى الغد من تلك الساعة [رواه ابن مردويه عن عمر] .

ومر رسول الله ﷺ بالبقيع ـ مقابر المسلمين بالمدينة ـ ومعه مولاه أبو رافع فقال خاتم الأنبياء ﷺ :

ـ أف أف أف

يقول أبو رافع :

ـ وليس معه أحد غيرى فراعنى

فقال أبو رافع :

- يا رسول الله بأبى أنت وأمى

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- صاحب هذه الحفرة استعملته على بني فلان فخان بردة فأريتها عليه تلتهب [رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى رافع] .

تقول أم كرز الخزاعية :

- قال رسول الله ﷺ : ثلاثة من أخلاق الأنبياء : تعجيل الافطار وتأخير السحور ووضع الأكف تحت السرة فى الصلاة [رواه ابن شاهين وأبو محمد الإبراهيم فى كتاب الصلاة عن على] .

وقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

- ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم [رواه ابن النجار عن أنس].

وقال إمام الخير ﷺ :

- قال موسى بن عمران عليه السلام : يا رب من يسكن غداً فى حظيرتك ويستظل بعرشك يوم لا ظل إلا ظلك ؟

فقال : يا موسى أولئك الذين لا تنظر أعينهم فى الزنى ، ولا يبتغون فى أموالهم الربا ، ولا يأخذون على أحكامهم الرشى ، طوبى لهم وحسن مآب [رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى الدرداء] .

تقول أم كرز الخزاعية :

- خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق فى الخدور ينادى بأعلى صوته :

يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه

فى جوف بيته [رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن البراء بن عازب] .

وخرجت أم كرز الخزاعية مع رسول الله ﷺ **وشهدت حجة الوداع** . .

تقول أم كرز :

- جاء رجل النبى ﷺ وهو واقف بعرفة فأخذ بطرف ردائه وسأله إياه فأعطاه فذهب به .

فعند ذلك حرمت المسألة

وقال النبى ﷺ :

- إن المسألة لا تحل لغنى ولا لذى مرة - المرة : القوة وشدة العقل - سوى إلا لذى فقر مدقع أو غرم مفظع ، ومن سأل الناس ليثرى به ماله كان خموشا - الخموش : الخدوش - فى وجهه يوم القيامة ورضفا - الرضف : الحجارة التى حمت بالشمس أو بالنار - يأكله من جهنم فمن شاء فليكثر [رواه الطبرانى فى الكبير والعسكرى فى الأمثال] .

* * * *

حمنة بنت سفيان

تنفس الصبح كابتسامة الوليد الراضى فقام سعد بن مالك بن أهيب - سعد بن أبى وقاص - من نومه فزعًا لقد رأى رؤيا . . رأى فى المنام كأنه فى ظلمة لا يبصر شيئًا إذا أضاء له قمر فاتبعه فكأنه ينظر إلى من سبقه فنظر إلى زيد بن حارثة وإلى على بن أبى طالب وإلى أبى بكر

وكأنه يسألهم : متى انتهيتم إلى هذا ؟

فقالوا : الساعة .

ورأت أمه حمنة بنت سفيان بن أمية - بنت عم أبى سفيان بن حرب - قلق ابنها فسألته : ما بك ؟

قال سعد بن مالك : لا شئ .

قالت حمنة بنت سفيان : هل ذهبت البارحة إلى اللات وسجدت للآلهة قبل إن تنام ؟

قال سعد بن أبى وقاص : لا .

فنظرت إليه نظرة عتاب لماذا لم يذهب إلى الصنم الرابض فى الدار ويتضرع إليه ؟ إنها كثيرًا ما توصى سعدًا وأخاه عامر بن أبى وقاص بالصلاة للآلهة شكرًا اتقاء شرهم فى الدنيا وجلبًا للرزق وإطالة العمر على الأرض كانت أمه مؤمنة بهبل واللات والعزى ومناة وإساف و . . آلهتها وكان يضيق صدرها بأية بادرة تسئ إلى دين آبائها .

قالت حمنة بنت سفيان : هيا أنت وأخوك فقد أعددت لكما الطعام .

فجلس سعد وعامر ابنا مالك بن أهيب إلى جوار أمهما فأخذ سعد يطعمها أطيبه فقد كان يحب أمه وكان بارًا بها ويعطف عليها . ولما فرغ من طعامه طلبت منه أمه أن يذهب إلى الصنم الموجود فى الدار ليؤدى له صلاته . . فمشى سعد إليه . . ولأول

مرة يجد فى نفسه تثاقلاً .. عاد يفكر فى هذا القمر الذى أنار له ظلمته ؟ كيف سبقه زيد بن حارثة وعلى بن أبى طالب وأبو بكر إلى هذا النور ؟

راح سعد يتمسح بالصنم التماسًا للرزق والعافية فى الدنيا .. ولأول مرة استشعر سعد أن إلَـهه حجر نحته الناس ثم عبدوه فرماه بنظرة احتقار ومشى إلى عمله . كان يبرى النبل لفرسان قريش الذين يخرجون للصيد والقنص .

وأقبل خالد بن الوليد فارس بنى مخزوم وحمزة بن عبد المطلب سيد شباب مكة ونوفل بن خويلد أسد قريش وبعض شباب مكة المولعة بالصيد ليبروا سهامهم ودار بينهم حديث حول الغزلان وصيد الحسان .. ولكن سعدًا كان غائبًا عنهم فى التفكير فى تلك الرؤيا التى رآها البارحة ما تأويل تلك الظلمة ؟ ما هذا النور الذى سبقه إليه زيد وعلى وأبو بكر ؟ ثم انصرف شباب قريش .

وجاء أبو بكر لماذا يلتفت خلفه كثيرا ؟ خشى أن يعود شباب قريش مرة أخرى ؟ هل كان ينتظر انصرافهم ثم أقبل ؟

وقبل أن يروى سعد بن مالك رؤياه لأبى بكر قال : جئتك يا سعد فى أمر ذى بال .

فتساءل سعد بن أبى وقاص : ما هو ؟

قال أبو بكر : أنت يا سعد أعلم الناس بمحمد بن عبد الله وصدقه وأمانته فأنت خاله وهو منكم ـ ابن عم السيدة آمنة بنت وهب أم محمد وأهل الأم أخوال ـ .

فقال سعد بن أبى وقاص : إن محمدًا غير متهم فهو يؤدى الأمانة ويصل الرحم ويقرى الضيف ويعين على نوائب الدهر .

قال أبو بكر بن أبى قحافة : قد نزل على محمد وحى من السماء أخبره أنه نبى هذه الأمه وأمره أن يدعوا إلى عبادة الله وحده .

فتساءل سعد بن أبى وقاص : أيكفر باللات والعزى ومناة وهبل وأساف و .....؟

قال أبو بكر : نعم إنه يدعو إلى التحرر المطلق من عبادة هذه الأصنام التى لا تملك لنفسها شيئًا ولا تدفع عن نفسها ضرًا .

فقال سعد : وهل أحد تبعه ؟

قال أبو بكر : نعم .. أنا وعلى بن أبى طالب وزيد بن حارثة ، وتذكر سعد رؤياه التى رآها البارحة ..صارت حقيقة وواقعًا ؟ ليس هذا القمر الذى أنار ظلمته إلا محمد بن عبد الله وليست تلك الظلمة إلا عبادة أحجار لا تضر ولا تنفع ؟ .

قال سعد بن مالك فى انفعال : وأين محمد الآن ؟

قال أبو بكر : فى شعب أجياد يعبد ربه مستخفيًا .

فقال سعد بن أبى وقاص : هيا إليه ..

وانطلقا .. حتى بلغا شعب أجياد فلقيا محمدًا ﷺ فسلما عليه وعرض رسول الله ﷺ على سعد الإسلام وقرأ عليه آيات من القرآن فأخذ سعد بعذوبته وفتن برقته وانتشى بحلاوته وكان لجرسه وقع عظيم فى صدره فاعترف أنه ليس من قول بشر ..ثم قال : أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

فهنأه أبو بكر ... ورجع سعد إلى داره مسرورًا فقد عرف ذات نفسه وعرف الله وفتح نوافذ قلبه أمام النور الإلهى .. وخيل إليه وهو يسير نحو داره أنه يسير بلا جناحين وأنه خلق من جديد .. وكان عمره تسع عشرة سنة . ولزم سعد بن أبى وقاص رسول الله - ﷺ - ينهل من نبع الحكمة التى تتدفق من بين شفتيه الشريفتين. وذات يوم مالت الشمس للغروب فاغتسل سعد ووقف يصلى كما علمه رسول الله - ﷺ - وبينما كان ساجدًا دخلت عليه أمه حمنة بنت سفيان فوجدته يهمهم بصوت خافت خاشع .. أين الصنم الذى يسجد له ؟ لماذا لم يعرها انتباهًا ؟ لماذا لم يقبل عليها كعادته ؟ ماذا يقول فى قعوده وسجوده وقيامه ؟

أحدثت حمنة بنت سفيان جلبة لتنبه ابنها سعدًا إلى وجودها ولكن سعدًا لم يلتفت

إليها وظل ساجدًا فهتفت : سعد . . سعد .

فلم يجبها . . فعادت تتساءل : ماذا تفعل ؟ أين الصنم الذى تسجد له ؟

فلم يأتها رد فازداد غضبها ودهشها واندفعت نحوه فوجدته يلتفت يمينًا ثم يلتفت شمالاً وأقبل عليها منشرحًا وقال لها : كنت أصلى يا أماه .

فقالت حمنة بنت سفيان : لمن تسجد ؟ إن اللات . .

فقال سعد بن أبى وقاص : كنت أصلى لله رب العالمين .

فقالت حمنة بنت سفيان فى عجب : ومن رب العالمين ؟

قال سعد بن أبى وقاص : الرحمن الرحيم خالق كل شىء . فاطر السموات والأرض .

فقالت حمنة بنت سفيان : أتصلى وتسجد لإله غير اللات والعزى ومناة وهبل وآلهة آبائك ؟

فقال سعد بن أبى وقاص : كانوا فى ضلال مبين كيف يعبدون حجارة صماء لا تضر ولا تنفع ؟

فقالت حمنة بنت سفيان فى استنكار : ما هذا الذى تقول ؟ أتسفه أحلام آبائك يا سعد ؟ عد إلى رشدك ودع هذا الدين الذى أحدثت .

أيعود إلى عبادة حجر لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ؟ منذ أن وضع يمينه فى يمين رسول الله ﷺ مبايعًا واستشعر أن قلبه مضاء كالصبح النضير بنور الله ونور طاعته . بعد أن سمع آيات من الذكر الحكيم خيل إليه أن شحنة من نور تضىء ظلام نفسه وتبدد الضباب المنعقد فى صدره وتمسح الغشاوة التى رانت على عينيه . كيف يعود إلى الكفر والشرك بعد أن ثمل بحلاوة الإسلام ؟

قال سعد بن أبى وقاص : يا أماه إنى لا أدع دينى فإنه دين الحق وإنى أدعوك إليه .

فقالت حمنة بنت سفيان : يا سعد عد إلى عقلك ولا تغضبنى عليك ولا تصبأ فتكون من الخاسرين .

قال سعد بن أبى وقاص : يا أماه إنى لأرجو أن تستمعى إلى عسى أن يهديك ربى إلى سواء السبيل إنى أسلمت لله إنه دين حسن يدعو إلى التراحم والتواد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبر الوالدين .

فقالت حمنة بنت سفيان : أليس تزعم أن هذا الدين يدعو إلى صلة الرحم وبر الوالدين ؟

فقال سعد بن مالك : نعم .

فقالت حمنة بنت سفيان : واللات والعزى وكل إله عبدته العرب لا أكلت طعامًا ولا شربت شرابًا حتى تكفر بما جاء به محمد وتعود لعبادة آلهة آبائك وأجدادك .

فقال سعد بن أبى وقاص متوسلاً : لا . . لا تفعلى يا أماه .

قالت حمنة بنت سفيان : لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى .

فقال سعد بن أبى وقاص : لا تفعلى يا أماه فإنى لا أدع دينى .

وأخفقت جميع محاولات الأم لترد ابنها البار بها وتصده عن سبيل الله فلجأت إلى الصوم عن الطعام والشراب لتهزم روح سعد بن أبى وقاص الرحيم بها ولكنه لم يبع إيمانه ودينه بشىء حتى لو كان هذا الشىء أمه حمنة بنت سفيان . . فلبثت يومين بلا طعام وبلا شراب حتى جهدت فاقبل أهل سعد يلومونه لعل قلبه يرق ويعود إلى دين آبائه ولكنه كان كالطود الأشم . . ولم يتراجع فقالت له أمه :

ـ تريد أن تترك آلهتنا لشاعر مجنون ؟.

فقال سعد بن أبو وقاص : ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة الصافات الآية : ٣٧] .

فقالت حمنة بنت سفيان : أصبحت تقرأ كتاب محمد ؟

فقال سعد بن أبى وقاص : بل كتاب نزل من عند الله العزيز العليم هو نور من عند نور الله وعلم من علم الله وسلطان من سلطان الله ثم تركها سعد بن أبى وقاص.

ولما أشرفت حمنة بنت سفيان على الموت أخذه بعض أهله إليها ليلقى عليها نظرة وداع لعل قلبه يرق حين يراها فى سكرة الموت ... ولكن إيمانه بالله عز وجل وبرسوله ـ ﷺ ـ تفوق على كل شىء وقال لها فى حزم واصرار : تعلمين والله يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت دينى لهذا الشىء ...

ثم قام سعد بن أبى وقاص كالجبل الشامخ .. والتفت إلى أمه فى غير مبالاة وقال: فكلى إن شئت أو لا تأكلى .

فلما رأت حمنة بنت سفيان إصرار سعد على دينه عدلت ـ رجعت ـ عن عزمها فأكلت وشربت .. فنزل قوله تعالى : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان الآية : ١٥] .

لقد حى القرآن العظيم موقف سعد بن أبى وقاص من فوق سبع سموات .

وصاحب سعد بن أبى وقاص أمه معروفًا فى الدنيا على الرغم من أنها ظلت على دينها .

وكان أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يستخفون بصلاتهم فبينما كان سعد بن أبى وقاص فى شعب من شعاب مكة مع نفر من أصحاب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذ ظهر عليهم عكرمة بن أبى جهل وعبد الله بن خطل وضرار بن الخطاب وأبو سفيان بن الحارث ونفر من المشركين فعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم فضرب سعد ابن أبى وقاص عبد الله بن خطل بلحى جمل فشجه فرماه ضرار بن الخطاب بحجز أصاب أذنه .. فلما عاد إلى داره ورأت أمه حمنة بنت سفيان ما أصابه قالت : لقد أغضبت هبل الإله الأكبر فأصابك ما أصابك .

فقال سعد بن أبى وقاص : لو كان هبل إلها لدفع عن نفسه يوم أن سقط فكسر

ذراعه فأبدله قومك بذراع من ذهب .

وهاجر أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ من مكة إلى يثرب فقال أبو القاسم ـ ﷺ ـ : « اللهم بارك لأهل المدينة فى مدينتهم وبارك لهم فى صاعهم وبارك لهم فى مدهم اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك وإنى عبدك ورسولك وإن إبراهيم سألك لأهل مكة وإنى أسألك لأهل المدينة كما سألك إبراهيم لأهل مكة ومثله معه ألا إن المدينة مشبكة بالملائكة على كل نقيب منها ملكان يحرسانها لا يدخلها الطاعون ولا الدجال من أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء » .

ولما بنى رسول الله ـ ﷺ ـ حجراته ومسجده قال : « ما بين مصلاى وبيتى روضة من رياض الجنة » .

وقال ـ ﷺ ـ : « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » [رواه ابن عساكر] ولما نزل قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [سورة القمر الآية:٤٥] .

يقول سعد بن أبى وقاص : كنت لا أدرى أى الجمع ينهزم ؟

فلما كان يوم بدر رأى سعد بن أبى وقاص رسول الله ـ ﷺ ـ يثب فى الدرع ويقول : « اللهم إن قريشًا جاءتك تحادك وتحاد رسولك بفخرها وخيلائها فأحنهم الغداة» .

ثم قال ـ ﷺ ـ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ .

وهزمت قريش . . يقول سعد بن أبى وقاص : فعرفت تأويلها .

وهذه معجزة من معجزات رسول الله ـ ﷺ ـ .

وذات يوم ذكر رسول الله ـ ﷺ ـ لأصحابه أول دعوة ثم جاء أعرابى فشغله حتى قام رسول الله ـ ﷺ ـ فأتبعه سعد بن أبى وقاص فلما أشفق أن يسبقه إلى منزله ضرب سعد بقدمه الأرض فالتفت أبو القاسم ـ ﷺ ـ وتساءل : من هذا ؟ أبو إسحاق ؟

قال سعد بن أبى وقاص : **نعم يا رسول الله** .

فتساءل النبى - ﷺ - : **فمه - ماذا وراءك - ؟**

قال أبو إسحاق : لا ، والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هذا الأعرابى فشغلك .

فقال رسول الله - ﷺ - : **نعم دعوة ذى نون - يونس بن متى عليه السلام - إذ هو فى بطن الحوت ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [سورة الأنبياء الآية : ٨٧] **فإنه لم يدع بها مسلم ربه فى شىء قط إلا استجاب له** » .

يقول سعد بن أبى وقاص : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **اسم الله الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قلت : يا رسول الله هى ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين ؟ قال : لمن دعا به** » .

وذات يوم كان سعد بن أبى وقاص وبعض الصحابة فى مسجد رسول الله - ﷺ - فخرج عليهم وقال : « **أيعجز أحدكم أن يكسب ألف حسنة ؟**

فسأل سائل من جلسائه : كيف يكسب ألف حسنة ؟

فقال نبى الرحمة - ﷺ - : **يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة** » [رواه ابن أبى شيبة ، والإمام أحمد، مسلم عن سعد بن أبى وقاص].

فقال أحد الصحابة : حدثنا يا نبى الله عن علامات محبة الله تعالى للعبد ؟

فقال الهادى البشير - ﷺ : **إذا سمعت جيرانك يقولون : أحسنت فقد أحسنت وإذا سمعتهم يقولون : قد أسأت فقد أسأت** [أخرجه ابن ماجه كتاب الزهد عن سعد].

ثم قال ﷺ - **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله**».

وقال النبى - عليه الصلاة والسلام - : « **إن لله تعالى ملائكة فى الأرض تنطق على ألسنتهم بنى آدم بما فى المرء من الخير والشر** » .

وقال الصادق المصدوق ﷺ **أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله تعالى الجنة.**

فقالوا : أو ثلاثة ؟

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **أو ثلاثة أو اثنان »** .

وذات ضحى كان رسول الله ـ ﷺ ـ جالسًا بين أصحابه فقال : **« ليتنى لقيت إخوانى فإنى أحبهم** .

فقال أبو بكر الصديق وسعد بن أبى وقاص : أليس نحن إخوانك يا رسول الله ؟

قال أبو القاسم ـ ﷺ ـ : **لا ، أنتم أصحابى وإخوانى فى الدين الذين لم يرونى وآمنوا بى وصدقونى وأحبونى حتى أنى أحب إلى أحدهم من والده وولده ألا تحب يا أبا بكر قوما أحبوك بحبى إياك ؟**

قال الصديق : بلى يا رسول الله .

قال ـ ﷺ ـ : **فأحبهم ما أحبوك بحبى إياك »** .

وخرج رسول الله ـ ﷺ ـ ومعه سعد بن أبى وقاص ونفر من الصحابة فمر بقوم حجرًا فتساءل : ما هذا ؟

قال رجال من الأنصار : يا رسول الله هذا حجر نسميه حجر الأشد .

فقال ـ ﷺ ـ : **« ألا أدلكم على أشدكم ؟**

قالوا : بلى .

قال النبى ـ ﷺ ـ : أملككم لنفسه عند الغضب [رواه الطبرانى فى الكبير عن أنس] .

وسأل سعد بن أبى وقاص النبى ـ ﷺ ـ : يا رسول الله أى الناس أشد بلاء ؟

قال خاتم الأنبياء ـ ﷺ ـ : **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل حتى يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان صلب الدين اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب ذلك أو**

قدر ذلك فما يزال البلاء بالعبد حتى يدعه يمشى فى الأرض وما عليه خطيئة » .

وقال الصادق المصدوق - ﷺ - : « شكى نبى من الأنبياء إلى ربه فقال : يا رب يكون العبد من عبيدك مؤمن بك ويعمل بطاعتك فتزوى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد من عبيدك يكفر بك ويعمل بمعاصيك فتزوى عنه البلاء وتعرض له الدنيا فأوحى الله إليه : إن العباد والبلاء لى ليس من شئ إلا وهو يسبحنى ويهللنى ويكبرنى فأما عبدى المؤمن فله سيئات فأزوى عنه الدنيا وأعرض له البلاء حتى يأتينى فأجزيه بحسناته وأما عبدى الكافر فله حسنات فأزوى عنه البلاء وأعرض له الدنيا حتى يأتينى فأجزيه بسيئاته» **[رواه الطبرانى فى المعجم الكبير، وأبو نعيم فى الحلية]** .

يقول سعد ابن أبى وقاص : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « أربع من السعادة : المرأة الصالحة تراها فتعجبك وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك والدار تكون واسعة كثيرة المرافق ومن الشقاوة : المرأة تراها فتسوءك وتحمل لسانها عليك وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون قطوفًا - بطيئًا تقارب الخطو فى سرعة - فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك والدار تكون ضيقة المرافق » **[رواه الحاكم فى المستدرك عن سعد ابن أبى وقاص]** .

وذكر رسول الله - ﷺ - الفتن فقال : **« إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير فيها من الماشى والماشى خير من الساعى »** .

فقال سعد بن أبى وقاص وبعض الصحابة : يا نبى الله أفرأيت إن دخل على بيتى وبسط يده ليقتلنى ؟

فقال رسول الله - ﷺ - : « كن كابن آدم ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [سورة المائدة : ٢٨] **[أخرجه أبو داود]** .

ورأى رسول الله - ﷺ - سعد بن أبى وقاص يومًا يصلى فقال لأصحابه :

« إذا قام العبد فى صلاته ذر البر على رأسه حتى يركع فإذا ركع علته رحمة الله

حتى يسجد والساجد يسجد على قدمى الله فليسأل وليرغب » .

وقال - ﷺ - : « **الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تكسر ظهره والتحاب فى الله والتودد فى العمل يقطع دابره فإذا فعلتم ذلك تباعد منكم كمطلع الشمس من مغربها »** .

ولما فرغ سعد من صلاته قال رسول الله ﷺ : « **ما يدريكم ما بلغت صلاته ؟ إنما مثل الصلاة مثل نهر ماء غمر - كثير - عذب بباب رجل يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فماذا ترون يبقى من درنه ؟ إنكم لا تدرون ما بلغت صلاته »** .

وخرج سعد بن أبى وقاص مع النبى - ﷺ - يوم الفتح العظيم . . وأقبلت حمنة بنت سفيان وبايعت النبى - ﷺ - مع نساء قريش .

* * * *

أم كلثوم بنت محمد ﷺ

بنت أبى القاسم ﷺ وأمها خديجة بنت خويلد كانت قبل النبوة قد تزوجها عتيبة ابن أبى لهب . ولما بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ وأنزل : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [سورة المسد] قال أبو لهب لابنه عتيبة :

ـ رأسى من رأسك حرام إن لم تطلق ابنة محمد .

ففارقها ولم يكن دخل بها .

ولم تزل أم كلثوم مع رسول الله ﷺ حتى هاجر إلى المدينة .

ولما ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ لقى رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فرآه مهمومًا لهفانًا فسأله ﷺ :

ـ ما شأنك يا عثمان ؟

قال أبو عبد الله :

بأبى أنت وأمى يا رسول الله وهل دخل على أحد من الناس ما دخل على ؟ توفيت بنت رسول الله ﷺ عندى رحمها الله وانقطع الظهر وذهب الصهر فيما بينى وبينك إلى آخر الأبد .

فقال رسول الله ﷺ :

ـ أتقول ذلك يا عثمان ؟

فقال عثمان بن عفان :

ـ إى والله أقوله يا رسول الله .

فبينما هو يحاوره إذ قال رسول الله ﷺ :

ـ هذا جبريل يا عثمان يأمرنى عن أمر الله أن أزوجك أختها أم كلثوم مثل صداقها

على مثل عشرتها (رواه ابن منده وابن عساكر) .

وأمر رسول الله ﷺ أم عياش أن تدعو أم كلثوم . . فجاءت فأخبرها أبوها ﷺ أنه سيزوجها عثمان بن عفان . . فصمتت . . وكان السكوت علامة ودليلاً على الرضا والموافقة فتزوجها عثمان .

تقول أم أيمن ـ زوج زيد بن حارثة ـ :

ـ لما زوج النبى ﷺ ابنته أم كلثوم قال لى : هيئى ابنتى أم كلثوم وزفيها إلى عثمان وخفقى بين يديها بالدف .

فمشت أم أيمن بين يدى أم كلثوم تخفق بالدف .

وجاء النبى ﷺ بعد الليلة الثالثة فدخل على ابنته أم كلثوم فسألها :

ـ كيف وجدت بعلك ؟

قالت أم كلثوم :

ـ هو خير بعل .

فقال النبى ﷺ :

ـ أما إنه أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد (رواه ابن عدى فى الكامل عن عمرو بن الأزهر) .

وجاءت أم كلثوم إلى رسول الله ﷺ فقالت :

ـ يا رسول الله زوج فاطمة ـ على بن أبى طالب ـ خير من زوجى .

فلم يتكلم رسول الله ﷺ . . ثم قال :

ـ زوجك من يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله وأزيدك : لو دخلت الجنة فرأيت منزلـــه لم تـــر أحدًا من الناس يعلوه فى منزله (رواه ابن عساكر عن ابن عباس) .

ودخلت أم عياش على رسول الله ﷺ وهو جالس مع حفصة بنت عمر وعائشة بنت أبى بكر فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ وددت أن معى بعض أصحابى نتحدث .

فقالت عائشة :

ـ أرسل إلى أبى بكر تتحدث معه ؟

قال أبو القاسم ﷺ :

ـ لا .

فقالت أم المؤمنين حفصة :

ـ أرسل إلى عمر يتحدث معك ؟

قال خاتم الأنبياء ﷺ :

ـ لا ولكن أرسل عثمان .

فانطلقت أم عياش إلى بيت عثمان . . فجاء فدخل فقامت عائشة وحفصة وأرختا الستر .

قال رسول الله ﷺ لعثمان :

ـ إنك مقتول مستشهد فاصبر صبرك الله ولا تخلعن قميصًا قمصك الله ثنتى عشرة سنة وستة أشهر ـ يعنى خلافة المسلمين التى تستمر اثنتى عشرة سنة وستة أشهر ـ حتى تلقى الله وهو عنك راض .

فقال ذو النورين :

ـ ادع لى بالصبر .

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ اللهم صبره .

فخرج عثمان بن عفان . . فلما أدبر قال رسول الله ﷺ :

ـ صبرك الله فإنك سوف تستشهد وتموت وأنت صائم وتفطر معى ـ فى الجنة ـ (رواه أبو يعلى فى مسنده وابن عساكر عن أبى كعب) .

وذات يوم عطس ذو النورين ثلاث عطسات فقال له رسول الله ﷺ :

ـ يا عثمان ألا أبشرك ؟ هذا جبريل يخبرنى عن الله ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات متواليات إلا كان الإيمان فى قلبه ثابتًا (أخرجه الحكيم عن أنس) .

يقول عثمان بن عفان :

ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول : يعذب الله يوم القيامة ستة نفر بستة أشياء : الأمراء بالجور ، والعلماء بالحسد ، والعرب بالعصبية ، والدهاقين وأهل الرساتيق بالجهل ، والتجار بالخيانة ، وستة يدخلون الجنة بستة : الأمراء بالعدل ، والعلماء بالنصيحة ، والعرب بالتواضع ، والدهاقين بالألفة ، والتجار بالصدق ، وأهل الرستيق ـ أهل السواد ـ بالسلامة .

وذكر عثمان بن عفان عند النبى ﷺ يومًا فقال :

ـ ذاك النور .

فقيل له :

ـ ما النور ؟

قال أبو القاسم ﷺ :

ـ النور شمس فى السماء والجنان والنور يفضل على الحور العين وإنى زوجته ابنتى فلذلك سماه الله عند الملائكة ذا النور وسماه فى الجنة ذا النورين ، فمن شتم عثمان فقد شتمنى (رواه ابن عساكر) .

وذات ضحى شاهد عبد الله بن عمر النبى ﷺ فى حائط ـ بستان ـ نخل فاستأذن أبو بكر الصديق ، فقال أبو القاسم ﷺ :

ـ ائذنوا له وبشروه بالجنة .

ثم استأذن الفاروق فقال إمام الخير ﷺ :

ـ ائذنوا له وبشروه بالجنة .

ثم استأذن عثمان بن عفان فقال إمام المتقين ﷺ :

ـ ائذنوا له وبشروه بالجنة على بلوى تصيبه .

فدخل ذو النورين يبكى ويضحك .. فتساءل عبد الله بن عمر :

ـ فأنا يا نبى الله

قال ﷺ :

ـ أنت مع أبيك ـ فى الجنة ـ (رواه ابن عساكر)

ودخل عثمان بن عفان على النبى ﷺ ذات ليلة وهو محلل الإزار فزر عليه النبى ﷺ قميصه وقال :

ـ يا عثمان إن الله لعله يقمصك قميصًا فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه .. قالها ثلاثًا (رواه ابن أبى شيبة) .

وذات يوم سأل أصحاب رسول الله ﷺ خاتم المرسلين ﷺ أن يستخلف عليهم أبا الحسن فقال الذى لا ينطق عن الهوى ، :

ـ إنكم لا تفعلوا وإن تفعلوا تجدوه هاديًا مهديًا يسلك بكم الطريق المستقيم (رواه الحاكم فى المستدرك عن حذيفة) .

ثم قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ إن وليتموها أبا بكر فزاهد فى الدنيا راغب فى الآخرة ، وفى جسمه ضعف ، وإن وليتموها عمر فقوى أمين لا يأخذه فى الله لومة لائم ، وإن وليتموها عليًا فهاد مهدى يقيمكم على طريق مستقيم (رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك عن

حذيفة) .

وقال الهادى النذير ﷺ :

- يكون بعدى اثنا عشر خليفة : أبا بكر لا يلبث بعدى إلا قليلاً ، وصاحب رحى (رحى القوم : سيدهم . ورحى الحرب : حومتها . يعنى عمر بن الخطاب) يعيش حميدًا ويقتل شهيدًا ، وأنت يا عثمان سيسألك الناس أن تخلع قميصًا كساك الله عز وجل إياه ، والذى نفسى بيده لئن خلعته لا تدخل الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط (**رواه الطبرانى وأبو نعيم فى المعرفة عن ابن عمر**) .

ثم نظر النبى عليه الصلاة والسلام إلى أبى عبد الله وقال :

- إن أشد هذه الأمة بعد نبيها حياء عثمان (**رواه أبو نعيم فى فضائل الصحابة عن أبى أمامة**) .

وقال الصادق المصدوق ﷺ :

- لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى عثمان بن عفان (**أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب عن طلحة وابن ماجه عن أبى هريرة**) .

وقال إمام المتقين ﷺ :

- إنا نشبه عثمان بأبينا إبراهيم عليه السلام (**رواه ابن عدى فى الكامل وابن عساكر والديلمى فى الضعفاء عن ابن عمر**) .

وقال أبو القاسم ﷺ :

السخاء شجرة فى الجنة وعثمان بن عفان غصن من أغصانها ، واللؤم شجرة فى النار وأبو جهل غصن من أغصانها (**رواه الديلمى عن معاوية**) .

وأشار النبى ﷺ :

قالوا :

فما تأمرنا ؟

فقال ﷺ وهو يشير إلى عثمان بن عفان :

ـ عليكم بالأمير وأصحابه (**رواه الحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة**) .

ثم قال المصطفى ﷺ :

ـ مر بى عثمان وعندى جبل ـ جماعة ـ من الملائكة فقالوا شهيد من الأمين يقتله قومه إنا نستحى منه (**رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك عن زيد بن ثابت**) .

ولقى أبو القاسم ﷺ عثمان بن عفان فقال له :

ـ يا عثمان إنك ستؤتى الخلافة بعدى وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم فى ذلك اليوم تفطر عندى ـ فى الجنة ـ(**رواه ابن عدى فى الكامل عن أنس**) .

ثم تساءل نبى الرحمة ﷺ :

ـ كيف أنت يا عثمان إذا لقيتنى يوم القيامة وأوداجك تشخب دمًا فأقول من فعل بك هذا ؟ فتقول بين خاذل وقائل وآمر فبينما نحن كذلك إذ ينادى مناد من العرش : إن عثمان قد حكم فى أصحابه(**رواه ابن عساكر عن عائشة**) .

ثم عاد رسول الله ﷺ مؤكدًا فقال :

ـ يا عثمان إن الله يقمصك ـ يلبسك ـ قميصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى(**رواه الترمذى وابن ماجه والإمام أحمد والحاكم عن عائشة**) .

يقول الصحابى الجليل جابر بن عبد الله :

ما صعد إمام المتقين ، المنبر قط إلا قال : عثمان فى الجنة(**رواه ابن عساكر**) .

لماذا سمى عثمان بن عفان بذى النورين ؟

سمى عثمان بن عفان ذا النورين لأنه لا يعلم أحد أغلق بابه على ابنتى نبى غيره (رواه أبو نعيم فى المعرفة عن الحسن) .

وذات يوم أراد إمام الخير ﷺ أن يزيد مسجده فقد ضاق بأصحابه فقال :

ـ من يشترى بيتًا يزيده فى المسجد غفر الله له ؟

فاشتراه عثمان بن عفان فزاده فى مسجد رسول الله ﷺ .

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ من يبتاع مربد ـ محل لبيع التمر ـ بنى فلان فيجعله صدقة للمسلمين غفر الله له .

فاشتراه عثمان بن عفان وجعله صدقة على المسلمين (رواه ابن عساكر عن كثير بن مرة) .

وخرج رسول الله ﷺ فى غزاة فأصاب المسلمين جهد حتى بدت الكآبة فى وجوههم والفرح فى وجوه المنافقين ، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك قال :

ـ والله لا تغيب الشمس حتى يأتيكم الله برزق .

فعلم عثمان بن عفان أن الله ورسوله سيصدقان فاشترى عثمان أربع عشرة راحلة بما عليها من الطعام ووجه النبى ﷺ منها بتسع فلما رأى أبو القاسم ﷺ ذلك قال :

ـ ما هذا ؟

قيل :

ـ أهدى إليك عثمان .

فعرف الفرح فى وجه الرسول ﷺ وأطلت الكآبة فى وجوه المنافقين .. فرفع رسول الله ﷺ يديه حتى رئى بياض إبطيه يدعو لعثمان :

ـ اللهم أعط عثمان (رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد والطبرانى وابن عساكر عن

ابن مسعود) .

وماتت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ أم كلثوم اسم يطلق على الجارية ذات الخدود المنتفخة ـ فوقف رسول الله ﷺ على قبرها وقال :

ـ ألا أبو أيم يزوجها عثمان ، ولو كان عشراً لزوجتهن عثمان وما زوجتهن إلا بوحى من السماء (رواه ابن عدى فى الكامل وابن عساكر عن أبى هريرة) .

* * * *

أم إياس بنت أبى الحسير

زوج الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة . كان اسمه عبد عمرو قبل الإسلام فسماه رسول الله - ﷺ - عبد الرحمن .

سافر عبد عمرو إلى اليمن فى تجارة فقد كان من التجار المعروفين وكان ينزل على عسكلان بن عواكر الحميرى وكان شيخًا كبيرًا قد أنس - زيد - له فى العمر حتى كاد كالفرخ وكان إذا نزل علي عبد عمرو من مكة يقول :

هل ظهر فيكم رجل له نبأ - خبر - له ذكر ؟

فقال عبد عمرو :

لا .

فقال عسكلان بن عواكر :

هل خالف أحد منكم عليكم فى دينكم ؟

قال عبد عمرو :

لا .

يقول عبد عمرو :

حتى قدمت القدمة التى بعث فيها رسول الله - ﷺ - فقال لى : « ألا أبشرك ببشارة وهى خير لك من التجارة ؟ » قلت : بلى قال : « إن الله بعث فى الشهر الأول من قومك نبيا ارتضاه صفيا ونزل عليه كتابًا وجعل له ثوبًا ينهى عن الأصنام ويدعو إلى الإسلام يأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله هو من بنى هاشم وأنتم أخواله يا عبد عمرو أخف الوقعة وعجل الرجعة ثم امض ووازره وصدقه » .

فلما تجهز عبد عمرو للعودة إلى مكة قال عسكلان بن عواكر :

أحمل إليه هذه الأبيات :

أشهدُ باللهِ ذى المعالـــى	وفَالِقِ الليـل والصبــاح
إنك فى السِّر ومـن قريش	يابن المفدى من الذبـاح
أرسلت تدعو إلـــى يقين	ترشـــد للحق والفلاح
هَـــدٌ كرور السنين رُكنى	عن بُكر السير والــرواح
فصرت حِلْسًا لأرض بيتى	قد قصٌ من قوتى جناحى
إذا نأى بالديـــار بعـــد	فأنت حرزى ومستراحـى
أشهـــد بالله رب موسى	أنك أرسلت بالنطـــاح
فكن شفيعى إلـى مليلك	يدعو البرايا إلى الفــلاح

يقول عبد عمرو :

فحفظت الأبيات وقدمت مكة .

ولقى عبد عمرو أبا بكر بن أبى قحافة فأخبره الخبر فقال أبو بكر :

هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله رسولاً إلى خلقه فأته .

فانطلق عبد عمرو إلى بيت خديجة بنت خويلد فاستأذن على محمد بن عبد الله ﷺ - فلما رآه ضحك وقال :

« أرى وجهًا خليقًا أرجو له خيرًا »

ثم تساءل أبو القاسم - ﷺ - :

ما وراءك يا أبا محمد .

فقال عبد عمرو :

وما ذاك يا محمد ؟

قال محمد بن عبد الله - ﷺ - ؟

« حملت إلى وديعة أو أرسلك إلى مرسل برسالته فهاتها أما إن أبناء حمير من خواص المؤمنين » ؟

عجب عبد عمرو، من أخبر محمد بن عبد الله - ﷺ - بأمر الأبيات التى بعثها إليه عسكلان بن عواكر الحميرى ؟ لم يكن هناك سواهما ؟ هل سبقه أحد إلى مكة وأخبر محمد بن عبد الله - ﷺ - ؟ لم يسبقه أحد إلى مكة ولم يسمع أبيات عسكلان إلا عبد عمرو وحده ؟ لم لا يكون محمد بن عبد الله - ﷺ - يتلقى الخبر من السماء ؟؟

وجد عبد عمرو نفسه ينطق بشهادة الحق :

أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم أنشد رسول الله - ﷺ - شعر عسكلان بن عواكر وأخبره بقوله فقال - ﷺ - : **« رب مؤمن لى ولم يرنى ومصدق بى وما بى وما شهدنى أولئك اخوانى حقًا »** [رواه ابن عساكر] .

يقول عبد الرحمن بن عوف :

كنت أنا ورسول الله - ﷺ - تربا - فى مثل سنه - وكانت أمى الشفاء بنت عوف - أخت عمرو بن عوف وقابلة مكة - تحدثنا عن آمنة بنت وهب أم رسول الله - ﷺ - قالت الشفاء :

لما ولدت محمداً وقع على يدى فاستهل فسمعت قائلاً : رحمك الله ورحمك ربك .

تقول الشفاء بنت عوف :

فأضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى بعض قصور الروم ثم أضجعته فلم أنشب أن غشيتنى ظلمة ورعب ثم أسفر لى عن يمينى فسمعت قائلاً يقول : أين ذهبت به ؟

قالت : ذهبت به إلى المغرب وأسفر ذلك عنى ثم عاودنى الرعب والظلمة عن يسارى فسمعت قائلاً يقول : أين ذهبت به ؟

قالت : ذهبت إلى المشرق .

يقول عبد الرحمن بن عوف :

فلم يزل الحديث منى على بال حتى ابتعثه الله فكنت فى أول الناس إسلامًا .

ووقف سادات قريش فى وجه دعوة محمد ـ ﷺ ـ وتركوا اليهود والنصارى والمجوس والصابئين يمارسون شعائرهم الدينية فى مكة فى حرية تامة وتركوا تمثال العذراء وهى تحمل طفلها بين أصنام آلهتهم وأنزلوا العذاب بأصحاب أبى القاسم ﷺ ـ واضطهدوهم أشد الإضطهاد وعذبوهم أشد العذاب حتى اضطروا إلى أن يهاجروا إلى الحبشة فرارًا بدينهم .. وكان عبد الله بن عوف ممن نال حظه من العذاب هو وأصحابه فأتوا النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقالوا :

يا نبى الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة ؟

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إنى أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم ـ قريشًا** » .

وهاجر عبد الرحمن بن عوف إلى الحبشة فى رجب سنة خمس من البعثة مع عشرة رجال وأربع نسوة .. ثم عاد إلى مكة .. ثم هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية.

قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« **أحب شىء إلى الله الغرباء** » .

فقال عبد الرحمن بن عوف وبعض الصحابة :

ومن الغرباء ؟

قال النبى ـ ﷺ ـ :

« **الفارون بدينهم يبعثهم الله يوم القيامة مع عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ** »
(رواه أبو نعيم فى الحلية عن سعد عن ابن عمرو) .

ولما علم أشراف قريش أن الأنصار قد بايعوا أبا القاسم ـ ﷺ ـ وأخذ أصحاب

رسول الله ـ ﷺ ـ يهاجرون إلى يثرب استولوا على دور المهاجرين وعلى أموالهم وتجارتهم وحبست المستضعفين من المسلمين عن الخروج إلى يثرب ليلحقوا بإخوانهم الذين خرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا :

ربنا الله .

وهاجر عبد الرحمن بن عوف إلى يثرب مع أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فراراً بدينه وقد ترك ماله وتجارته ثم لحق بهم النبى ـ ﷺ ـ

ولما آخى رسول الله ـ ﷺ ـ بين المهاجرين والأنصار آخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع وآثر الأنصار المهاجرين على أنفسهم ففسحوا لهم دورهم وشاطروهم مالهم . فبادر سعد بن الربيع إلى عبد الرحمن بن عوف الذى خلف فى مكة أمواله وأهله وعقاره فقال :

لى امرأتان وأنت أخى فى الله لا امرأة لك فأنزل لك عن احداهن لتتزوجها .

فرفض عبد الرحمن بن عوف فى أدب وقال :

لا والله بارك الله لك فى أهلك .

فعاد سعد بن الربيع يقول :

هلم إلى حديقتى أشاطركها .

فقال عبد الرحمن بن عوف :

لا يا أخى يا بارك الله لك فى مالك . . ولكن دلنى على السوق .

لقد ذابت نفس سعد بن الربيع كلية فى الله تعالى فآثر آخاه المهاجر على نفسه ولكن عبد الرحمن التاجر الأبى أبى إلا أن يكسب ويتزوج من عمل يده . . فذهب إلى السوق وكان من أنجح تجار العرب وخبير بالأسواق فاشترى وباع وربح بشئ من أقط ـ جبن قريش ـ . . ثم لبث أياماً وتزوج أم إياس بنت أبى الحسير .

وجاء عبد الرحمن بن عوف وعليه عباءة فلما رآه النبى ـ ﷺ ـ قال :

« مهيم يا عبد الرحمن » .

فقال عبد الرحمن بن عوف :

يا رسول الله تزوجت أم اياس بنت أبى الحسير الأنصارية .

فقال رسول الله - ﷺ - : « أولم ولو بشاة » .

فرجع عبد الرحمن بن عوف إلى داره وأخبر أم إياس بنت أبى الحسير بقول رسول الله - ﷺ - فقالت :

حبًا وكرامة .

وذبحا شاتين وأطعما الطعام .

تقول أم إياس بنت أبى الحسير الأنصارية :

كان عبد الرحمن بن عوف أعين أهدب الأشعار - الأشفار - أقنى الأصابع طويل النابين الأعليين له جمة - الجمة مجتمع شعر الرأس - أعنق - طويل العنق - ضخم الكفين غليظ الأصابع .

وكان عبد الرحمن بن عوف إذا دخل بيته قرأ آية الكرسى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٢٥] .

فقال عبد الرحمن بن عوف :

إنها أعظم آية من كتاب الله وإنى ألتمس بذلك أن تكون حارسًا وتنفى عنا الشيطان.

وشهد عبد الرحمن بن عوف غزوة بدر ويوم أحد ولما كان صبيحة قدوم رسول الله - ﷺ - من أحد جاء عبد الرحمن بن عوف النبى - ﷺ - وقال له :

يا نبى الله أقبلت من أهلى حتى إذا كنت بمحل كذا إذ قريش قد نزلوا به فسمعت أبا سفيان وأصحابه يقولون : ما صنعتم شيئًا قد بقى منهم رءوس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقى وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول : يا قوم لا تفعلوا فإنى أخاف أن يجمع عليكم من تخلف عن الخروج فارجعوا والدولة لكم فإنى لا آمن من أن رجعتم أن تكون الدولة عليكم .

فقال رسول الله - ﷺ - :

« أرشدهم صفوان وما كان يرشد » .

ودعا رسول الله - ﷺ - أبا بكر وعمر بن الخطاب وأخبرهما ما أخبر به عبد الرحمن بن عوف فقال الصديق والفاروق :

يا رسول الله اطلب العدو. لا يقتحمون علينا الذرية .

فلما انصرف رسول الله - ﷺ - من صلاة الصبح ندب الناس وأمر بلال بن رباح أن ينادى أن رسول الله - ﷺ - يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج إلا من حضر القتال بالأمس .

فأذن مؤذن رسول الله - ﷺ - أن يخرجوا خلف قريش وأن لا يخرج إلا من حضر أحدًا وذلك ارهابًا للعدو وليبلغهم أنه - ﷺ - خرج فى طلبهم ليظنوا به ﷺ قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم - بضعفهم على عدوهم -

وخرج رسول الله - ﷺ - وهو مجروح فى وجهه أثر حلقتى المغفر - مشجوج فى وجهه - ومكسورة رباعيته وشفته السفلى قد جرحت من بطنها وشفته العليا قد كلمت من باطنها متوهن منكبه الأيمن لضربة ابن قميئة لعنه الله وركبتاه مجروحتان من وقعته فى حفرة حفرها أبو عامر الراهب .

تقول أم اياس بنت أبى الحسير الأنصارية :

خرج عبد الرحمن بن عوف إلى حمراء الأسد وبه عشرون جراحة .

وعسكر جيش رسول الله - ﷺ - بحمراء الأسد - محل بينه وبين مدينة رسول الله - ﷺ - ثمانية أميال وقيل عشرة أميال - وأقام رسول الله - ﷺ - بذلك المحل ثلاث ليال وكانوا يوقدون كل ليلة من تلك الليالى خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه فكبت الله قريشًا .

ولما رجع عبد الرحمن بن عوف مرض فأغمى عليه فصاحب أم إياس بنت أبى الحسير فلما أفاق قال :

أتانى رجلان فقالا : انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين فلقيهما رجل فقالا : لا تنطلقا به فإنه ممن سبقت له السعادة فى بطن أمه .

وسألت أم إياس زوجها فيمن يشك فى الزيادة والنقصان فى صلاته فقال عبد الرحمن بن عوف :

سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **إذا سها أحدكم فى صلاته فلم يدر واحدة صلى أو ثنتين فليبن على واحدة فإن لن يدر ثنتين صلى أو ثلاثًا فليبن على ثنتين فإن لم يدر ثلاثًا صلى أو أربعًا فليبن على ثلاث وليسجد سجدتين قبل أن يسلم** » (أخرجه الترمذى كتاب الصلاة وابن ماجه) .

وسألت أم إياس عبد الرحمن بن عوف عن فضل شهر رمضان فقال :

قال رسول الله - ﷺ - : « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادى مناد : يا باغى الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة** » (أخرجه الترمذى كتاب الصيام ، وابن ماجه عن أبى هريرة) .

وذات يوم خرج رسول الله - ﷺ - على عبد الرحمن بن عوف وبعض أصحابه فى المسجد وفى وجهه البشر فنظروا إليه بعيون متسائلة فقال :

« **إن جبريل جاءنى فقال : أبشر يا محمد بما أعطاك الله من أمتك وما أعطى أمتك**

منك من صلى عليك منهم صلاة ﷺ عليك سلم الله عليه » .

يقول عبد الرحمن بن عوف :

كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : **« اللهم إنى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر »** [رواه البخارى ومسلم عن سعد بن أبى وقاص].

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يرغب أصحابه فى التوبة فقال :

« لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش قال : أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » [رواه الإمام أحمد ، والترمذى عن ابن مسعود] .

يقول عبد الرحمن بن عوف :

سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : **« التسويف شعار الشيطان يلقيه فى قلوب المؤمنين »** .

وذات يوم كان عبد الرحمن بن عوف مع رسول الله ـ ﷺ ـ وبعض الصحابة فمروا بجماعة فسألهم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« ما هذه الجماعة ؟ » .

قالوا :

مجنون .

قال أبو القاسم ـ ﷺ ـ :

« ليس بالمجنون ولكنه مصاب إنما المجنون المقيم على معصية الله تعالى » .

وسألت أم إياس بنت الحسير زوجها عبد الرحمن بن عوف عن سجود السهو فقال:

قال الصادق المصدوق - ﷺ - : « **إذا شك أحدكم فى صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثًا أم أربعًا ؟ فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين وهو جالس قبل أن يسلم ثم يسلم** » .

وقال عبد الرحمن بن عوف :

سمعت حبيبى - ﷺ - يقول : « **إذا سها أحدكم فى صلاته فلم يدر واحدة صلى أوثنين فليبن على واحدة فإن لم يدر ثنتين صلى أو ثلاثًا فليبن على ثنتين فإن لم يدر ثلاثًا صلى أو أربعًا فليبن على ثلاث وليسجد سجدتين قبل أن يسلم** » .

وقال عبد الرحمن بن عوف :

سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **إذا كان أحدكم على شك من النقصان فى الصلاة فليصل حتى يكون على شك من الزيادة** » .

تقول أم إياس بنت أبى الحسير :

لما مات إبراهيم ابن رسول الله - ﷺ - صرخت النساء فقال رسول الله ﷺ :

«**إن هؤلاء النوائح يجئن يوم القيامة صفين صف عن يمينهم وصف عن يسارهم فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب** » .

ثم قال رسول الله - ﷺ - :

« إنى لم أنه عن البكاء إنما نهيت عن النوح عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند مصيبة خمش وجوه ، شق جيوب ورنة شيطان إنما هذه رحمة ومن لا يرحم لا يرحم يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وأنها سبيل مأتية وأن أخرانا ستلحق أولانا لحزنا عليك حزنًا هو أشد من هذا وإنا بك لمحزونون تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب » . (رواه ابن سعد عن جابر ، الترمذى) .

وذات ليلة دخل النبى - عليه الصلاة والسلام - مسجده ومعه عبد الرحمن بن عوف فقال له :

« يا ابن عوف ألا أعلمك كلمات تقولهن حين تدخل المسجد وحين تخرج ؟ إنه ليس عبد إلا ومعه شيطان فإذا وقف على باب المسجد فقال حين يدخله : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته اللهم افتح لى أبواب رحمتك مرة ويقول : اللهم أعنى على حسن عبادتك وهون على طاعتك ثلاثًا وحين يخرج يقول : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته اللهم اعصمنى من الشيطان الرجيم ومن شر ما خلقت واحدة . ألا أعلمك كلمات تقولهن إذا دخلت بيتك ؟ بسم الله ثم سلم على نفسك وأهلك ثم تمسى على ما أتاك من رزقك وتحمده حين تفرغ » .

واستأذنت أم إياس بنت الحسير - عبد الرحمن بن عوف لعيادة مريض فأذن لها وقال :

قال رسول الله - ﷺ - : **« عائد المريض فى مخرفة - أى أن العائد فيما يجوز من الثواب كأنه على نخل الجنة يخترف ثمرها - الجنة فإذا جلس عنده غمرته الرحمة »** .

ثم قال عبد الرحمن بن عوف :

قال رسول الله - ﷺ - **« إن الله يوكل بعائد السقيم من الساعة التى توجه إليه فيها سبعين ألف ملك يصلون عليه إلى مثلها من الغد »** .

ولما عادت أم إياس سألها زوجها عبد الرحمن عن حال جارتها المريضة فقالت :

إنها تئن وتتوجع .

فقال عبد الرحمن بن عوف :

قال رسول الله - ﷺ - : **« ثلاث من كنوز البر : كتمان الأوجاع والبلوى والمصيبات ومن بث - نشر وأظهر - لم يصبر »** (رواه تمام عن ابن مسعود)

وقال عبد الرحمن بن عوف :

سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها إلا زاده الله تعالى بها عزًا فأعفوا يزيدكم الله عز وجل عزًا ولا فتح رجل عن نفسه باب مسألة يسأل الناس إلا فتح الله عليه باب فقر** » [رواه إبن أبي الدنيا فى ذم الغضب عن عبد الرحمن بن عوف] .

وسألت أم أياس زوجها عبد الرحمن بن عوف عن الثلاثة الذين تحت العرش يوم القيامة فقال :

سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **ثلاثة تحت العرش يوم القيامة : القرآن له ظهر وبطن يحاج العباد ، والرحم تنادى : صل من وصلنى واقطع من قطعنى ، والأمانة** » [رواه الحكيم ، ومحمد بن نصر عن عبد الرحمن بن عوف] .

وخطب رسول الله - ﷺ - الناس يومًا فقال :

« **إن الحمد لله أحمده وأستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إن أحسن الحديث على ما سواه من أحاديث الناس إنه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا من أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا يقسى قلوبكم فقد سماه الله خيرته من الأعمال والصالح من الحديث وعلى كل ما أوى للناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا . واتقوه حق تقاته . واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله عز وجل بينكم إن يغضب أن ينكث عبده .. والسلام عليكم ورحمة الله** » .

وعاد عبد الرحمن بن عوف والدمع يملأ عينيه لقد قرر أن يخبر زوجة أم أياس بمواعظ رسول الله - ﷺ - ولكنه قد وجدها قد أصابها الطلق فقال لها مبشرًا :

قال رسول الله - ﷺ - : « **أما ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملاً من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم القائم فى سبيل الله ؟ وإذا أصابها الطلق لم**

يعلم أهل السماء والأرض ما أخفى لها من قرة أعين فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم بمص من ثديها مصة إلا كان لها بكل جرعة وبكل مصة حسنة فإن أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهم فى سبيل الله سلامة أتدرين من أعنى بهذا ؟ المتنعمات الصالحات المطيعات لأزواجهن اللاتى لا يكفرن العشير » [رواه الطبرانى فى الأوسط ، وابن عساكر]

ثم قال عبد الرحمن بن عوف :

سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : **« المرأة إذا حملت كان لها أجر الصائم القائم المخبت المجاهد فى سبيل الله وإذا ضربها الطلق فلا تدرى الخلائق مالها من الأجر فإذا وضعت كان لها بكل مصة أو رضعة أجر نفس تحييها فإذا فطمت ضرب الملك على منكبها وقال : استأنفى العمل »** [رواه أبو الشيخ عن عبد الرحمن بن عوف] .

يقول عبد الرحمن بن عوف :

سعمت حبيبى - ﷺ - يقول : **« شهر رمضان شهر كتب عليكم صيامه وسننت لكم قيامه ومن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »** [أخرجه ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة عن عبد الرحمن بن عوف] .

وقال عبد الرحمن بن عوف :

قال رسول الله - ﷺ - : **« إن الله تعالى قد افترض عليكم صوم رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيمانًا وإحتسابًا ويقينًا كان كفارة لما مضى »** .

وقال عبد الرحمن بن عوف :

سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : **« صائم رمضان فى السفر كالمفطر فى الحضر»**.

وقال - ﷺ - :

« ليس من البر الصيام فى السفر فعليكم برخصة الله تعالى التى رخص لكم

فاقبلوها » .

وسأل رجل رسول الله ـ ﷺ ـ فقال :

كيف نصوم ؟

فغضب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى رأى الغضب في وجهه وردد قوله :

« كيف نصوم ؟ كيف نصوم ؟ كيف نصوم » .

فلما سكت عنه الغضب أقبل عليه الفاروق وقال :

رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا وبيعتنا بيعة .

فسئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن رجل صام الدهر فقال :

« لا صام ولا أفطر أو صام ولا أفطر » .

فسئل عن صيام يومين وافطار يوم فقال ـ ﷺ ـ :

« من يطيق ذلك ؟ » .

ثم قال ﷺ :

« وددنا أن الله تعالى قوانا على ذلك » .

ثم قال ـ ﷺ ـ :

« ذلك صيام أخي داود » .

فسئل عن صيام يوم الاثنين فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« ذلك يوم بعثت فيه وولدت فيه » .

وقال ـ ﷺ ـ :

« صوم ثلاثة أيام من كل شهر ـ الأيام البيض ـ ورمضان إلى رمضان صوم الدهر »
[رواه ابن حبان عن معاوية بن قرة ، وابن جرير] .

وسئل النبى - ﷺ - عن صوم يوم عرفة فقال :

« يكفر السنة الماضية والباقية » .

وسئل عن صوم عاشوراء فقال - عليه الصلاة والسلام - :

« يكفر السنة الماضية » .

وشهد عبد الرحمن بن عوف مع رسول الله - ﷺ - فتح مكة ويوم حنين وانصرف معه إلى الطائف فحاصرها تسع عشرة أو ثمان عشرة فلم يفتحها ثم ارتحل روحة أو غدوة فنزل ثم هجر - رجع إلى مكة ثم عاد إلى المدينة - ثم قال :

أيها الناس - إنى فرط لكم - الفرط الذى يتقدم الواردة فيهيىء لهم الأرسان والدلاء ويمدر الحياض ويستقى لهم - وأوصيكم بعترتى خيراً وإن موعدكم الحوض والذى نفسى بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن إليكم رجلاً منى - أو لنفسى - فليضربن أعناق مقاتلتهم وليسبن ذراريهم .

يقول عبد الرحمن بن عوف :

رأى الناس أنه أبو بكر أو عمر .

ولكن رسول الله - ﷺ - أخذ بيد على بن أبى طالب فقال :

« هذا » .

ولما بايع الناس أبا بكر خليفة لرسول الله - ﷺ - كان الصديق يستشير عبد الرحمن بن عوف ويأخذ برأيه فى كثير من الأمور .

ولما استعز بالخليفة الأول - اشتد به المرض وأشرف على الموت - دعا عبد الرحمن بن عوف وقال له :

أخبرنى عن عمر بن الخطاب ؟

فقال عبد الرحمن بن عوف :

ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى .

فقال أبو بكر الصديق :

وإن .

فقال عبد الرحمن بن عوف :

هو والله أفضل من رأيك فيه .

وكان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف من أكبر التجار المعروفين فقال أصحاب رسول الله - ﷺ - يومًا :

وددنا لو أن عثمان وعبد الرحمن بن عوف تبايعا حتى ننظر إليهما أعظم جدًا فى التجارة .

فاشترى عبد الرحمن بن عوف من ذى النورين فرسًا بأرض أخرى بأربعين ألف درهم إن أدركتها الصفقة وهى سالمة .

ومكث عبد الرحمن بن عوف قليلاً ثم رجع إلى عثمان بن عفان وقال له :

أزيدك سنة ستة آلاف إن وجدها رسولى سالمة .

فقال ذو النورين :

نعم .

فانطلق رسول عبد الرحمن بن عوف فوجد الفرس قد هلكت .. فخرج عبد الرحمن بن عوف منها بالشرط الأخير .

ولما حضر الصديق الوفاة دعا عبد الرحمن بن عوف وقال له :

إنى لا آسى - لا أحزن - على شئ إلا على ثلاث فعلتهن ووددت أنى لم أفعلهن وثلاث لم أفعلهن ووددت أنى فعلتهن وثلاث وددت أنى سألت رسول الله - ﷺ - عنهن فأما اللاتى وددت أنى لم أفعلها : فوددت أنى لم أكن أكشف بيت فاطمة -

الزهراء ـ وتركته وإن كانوا قد غلقوه ـ أغلق الباب ـ على الحرب وددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة ـ يوم أن بايعه الأنصار خليفة للمسلمين ـ كنت قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين أبى عبيدة بن الجراح أو عمر فكان أميرًا ـ خليفة ـ وكنت وزيرًا ووددت حيث وجهت خالد بن الوليد إلى أهل الردة أقمت بذى القصة فإن ظهر المسلمون ظهروا وإلا كنت بصدد لقاء أو مدد .

فتساءل عبد الرحمن بن عوف :

وأما الثلاث اللاتى تركتهن ووددت أنك فعلتهن ؟

فقال الخليفة الأول :

وأما الثلاث اللاتى تركتهن وددت أنى فعلتهن فوددت أنى يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيرًا ضربت عنقه فإنه يخيل إلى أنه لا يرى شرًا إلا أعان عليه ووددت أنى يوم أتيت بالفجاءة لم أكن أحرقته وقتلته سريحًا وأطلقته نجيحًا ووددت أنى حيث وجهت خالدًا إلى أهل الشام كنت وجهت عمر إلى العراق فأكون قد بسطت يدى يمينًا وشمالاً فى سبيل الله . وأما الثلاثة اللآتى وددت أنى سألت عنهن رسول الله ـ ﷺ ـ : فوددت أنى كنت سألته عن الأنصار فى هذا الأمر شئ ؟ ووددت أنى كنت سألته عن ميراث العمة وابنة الأخت فإن فى نفسى منهما حاجة .

ولما بايع الناس الفاروق نشر الحق والعدل فكلم الناس عبد الرحمن بن عوف :

يا صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ كلم عمر بن الخطاب فى أن يلين لنا فإنه قد أخافنا حتى خاف الأبكار فى خدورهن .

فكلم عبد الرحمن بن عوف أبا حفص فقال أمير المؤمنين عمر :

لا أجد لهم إلا ذلك والله لو أنهم يعلمون مالهم عندى من الرأفة والرحمة والشفقة لأخذوا ثوبى عن عاتقى .

وبينما الفاروق يسير فى طريقه إذ هو برجل يكلم امرأة فعلاه بالدرة فقال الرجل :

يا أمير المؤمنين إنما هى امرأتى .

فقام أمير المؤمنين عمر وانطلق فلقى عبد الرحمن بن عوف فذكر له ذلك فقال عبد الرحمن :

يا أمير المؤمنين إنما أنت مؤدب وليس عليك شئ وإن شئت حدثتك بحديث سمعته من رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **إذا كان يوم القيامة ينادى مناد لا يرفعن أحد من هذه الأمة كتابه قبل أبى بكر وعمر** » .

وكان أبو حفص أول من دون الدواوين وعرف العرفاء . . فلما أتى الفاروق بكنوز كسرى قال له عبد الله بن أرقم الزهرى :

ألا تجعلها فى بيت المال ؟

فقال أبو حفص :

لا نجعلها فى بيت المال حتى نقسمها .

وبكى أمير المؤمنين عمر فقال له عبد الرحمن بن عوف :

ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله إن هذا ليوم شكر ويوم سرور ويوم فرح .

فقال أمير المؤمنين عمر :

إن هذا لم يعطه الله قومًا قط إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء .

وكان بين عبد الرحمن بن عوف وذى النورين كلام فقال عبد الرحمن بن عوف :

أتسبنى وقد شهدت بدرًا ولم تشهد وقد بايعت تحت الشجرة ولم تبايع وقد كنت تولى مع من تولى يوم الجمع ـ يعنى يوم أحد ـ وقيل يوم حنين ؟

فقال عثمان بن عفان :

أما قولك : إنك شهدت بدرًا ولم نشهد فإنى لم أرغب عن شئ شهده رسول الله ـ ﷺ ـ إلا أن بنت رسول الله ـ ﷺ ـ رقية ـ كانت مريضة وكنت معها أمرضها

فضرب لى رسول الله ـ ﷺ ـ يمينه على شماله فقال : هذه لعثمان فيمين رسول الله ـ ﷺ ـ وشماله خير لى من يمينى وشمالى وأما يوم الجمع فقال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٥] . فكنت فيمن عفا الله عنهم .

فحج ذو النورين عبد الرحمن بن عوف .

ولقى عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة بن أبى معيط فقال له الوليد :

مالى أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان ؟

فقال عبد الرحمن بن عوف :

أبلغه أنى لم أفر يوم حنين ـ يعنى يوم أحدكم ـ ولم أتخلف يوم بدر ولم أترك سنة عمر .

فانطلق الوليد بن عقبة إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأخبره بذلك فقال ذو النورين :

أما قوله : إنى لم أر يوم حنين فكيف يعيرنى بذلك وقد عفا الله عنى فقال :﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٥] .وأما قوله : إنى تخلفت عن بدر فإنى كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت وقد ضرب لى رسول الله ﷺ بسهمى ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فقد شهد وأما قوله إنى لم أترك سنة عمر فإنى لا أطيقها .

فانطلق الوليد بن عقبة إلى عبد الرحمن بن عوف أخبره بذلك . . فسكت عبد الرحمن ولم يرد عليه .

وذات يوم كان أمير المؤمنين عثمان بن عفان يسير مع بعض أصحابه فى طريق مكة فرأى عبد الرحمن بن عوف فقال ذو النورين لمن معه :

ما يستطيع أحد أن يعتد على هذا الشيخ فضلا فى الهجرتين جميعًا - يعنى هجرته إلى الحبشة وهجرته إلى المدينة .

وذات ضحى بينما كانت أم المؤمنين عائشة فى بيتها إذ سمعت صوتا رجت منه المدينة فقالت :

ما هذا ؟ .

قالوا :

عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام .

كانت سبعمائة بعير تحمل تجارة من الشام فقالت عائشة :

أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا - الحبو أن يمشى على يديه وركبتيه -** » [رواه الإمام أحمد عن عائشة] .

فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأتى أم المؤمنين عائشة وسألها عما بلغه فقالت :

نعم .

فقال عبد الرحمن بن عوف :

فإنى أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها فى سبيل الله .

* * * *

حفصة بنت عمر

الصوامة القوامة

ابنة الفاروق وأخوها عبد الله بن عمر

ولدت قبل مبعث النبى ﷺ **بخمس سنين**

كانت تحت خنيس بن حذافة السهمى الذى مات شهيدًا يوم أحد

* زواجها بالمبعوث للناس كافة ﷺ

لما رأى عمر بن الخطاب ابنته تأيمت لقى عثمان بن عفان فقال له :

- إن شئت أنكحتك حفصة

فقال ذو النورين :

- سأنظر فى ذلك

ثم لبث عثمان بن عفان ليال ثم قال للفاروق :

- ما أريد أن أتزوج يومى هذا

فلقى عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق فقال له :

- إن شئت أنكحتك حفصة

فلم يرجع أبو بكر إلى أبى حفص ردا . فكان أوجد عليه - أغضب - من عثمان بن عفان وشكا عمر بن الخطاب حاله إلى نبى الرحمة ﷺ فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- تتزوج من هو خير من أبى بكر وعثمان ، ويتزوج عثمان من هو خير من حفصة .

فقال عمر فى نفسه :

- من الذى خير من أبى بكر وعثمان ؟ ومن هى التى ينكحها عثمان خير من ابنتى؟

وتزوج عثمان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

وخطب رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر

فعرف عمر عندئذ من هو خير من أبى بكر وعثمان ، ومن هى التى ينكحها عثمان خير من ابنته ؟

ولقى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب فقال له معتذرًا :

ـ لا تجد على ، فإن رسول الله ﷺ كان قد ذكر حفصة ، فلم أكن لأفشى سره ، ولو تركها لتزوجها [رواه البخارى والنسائى عن عمر] .

فعرف الفاروق سر عزوف عثمان بن عفان والصديق عن الزواج من ابنته حفصة

* إن الله يأمرك أن تراجع حفصة

طلق رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر ، فأتاها خالاها ابنا مظعون قدامة وعبد الله فبكت وقالت لهما :

ـ والله ما طلقنى رسول الله ﷺ عن شبع

ولما علم عمر بن الخطاب خبر طلاق ابنته حثا ـ وضع ـ التراب على رأسه وقال :

ـ ما يعبأ الله بعد هذا

وانطلق الفاروق إلى ابنته فقال لها :

ـ لعل رسول الله ﷺ قد طلقك ، إن كان قد طلقك مرة ثم راجعك من أجلى ، فإن طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبدًا [أخرجه أبو يعلى عن أبى صالح] .

فنزل جبريل ﷺ من الغد على النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

ـ إن الله يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر .

فدخل الصادق المصدوق ﷺ على حفصة فقال لها :

ـ إن جبريل ﷺ أتانى فقال لى : أرجع حفصة فإنها صوامة وهى زوجتك فى الجنة »

[رواه الحاكم والطبرانى عن أنس] .

*** أمير المؤمنين عمر**

خرج الفاروق ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيرًا ليتفقد أحوال الرعية إذ بامرأة من نساء العرب أغلقت عليها بابها وهى تقول :

تطاول هـــذا الليل تسرى كواكبه ... وأرقنـــى أن لا ضجيع ألاعبه

فوالله لولا الذنب نخشى عواقبه ... لزحزح من هذا السرير جوانبه

ولكنى أخشـــى رقيبًا مـــوكلاً ... بأنفاسنـــا لا يفتر الدهـر كاتبه

مخافة ربـــــى والحياء يصدنى ... وأكرم بعلى أن تنـــال مراتبه

فتساءل أمير المؤمنين عمر :

ـ ما لك ؟

قالت المرأة :

ـ أغزيت زوجى منذ أشهر وقد اشتقت إليه

فعاد الفاروق يتساءل :

ـ أردت سوءًا ؟

قالت المرأة :

ـ معاذ الله .

فقال الفاروق :

ـ أمسكى عليك نفسك هو البريد إليه

وبعث أمير المؤمنين عمر إلى ابنته أم المؤمنين حفصة فسألها :

ـ إنى سائلك عن أمر أعمنى فأفرجيه عنى . . كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟

فخفضت أم المؤمنين حفصة رأسها وكست وجهها حمرة الخجل

فقال الفاروق :

ـ إن الله لا يستحى من الحق

فأشارت حفصة بنت عمر بيدها ثلاثة أشهر أو أربعة

فكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عماله بالغزو أن لا يغيب زوج عن زوجته أكثر من أربعة أشهر .

*** لما طعن الفاروق**

لما طعن أبو لؤلؤة المجوسى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تقدمت أم المؤمنين حفصة من أبيها

وقالت بلسان اليقين :

ـ يا أبتاه ما يحزنك وفادتك على رب رحيم ولا تبعة لأحد عندك ومعى لك بشارة لا أذيع السر مرتين ، ونعم الشفيع لك العدل ، لم تخف على الله عز وجل خشنة عيشتك وعفاف نهمتك ، وأخذك بأكظام المشركين والمفسدين .

*** وفاتها**

ماتت أم المؤمنين حفصة بنت عمر الصوامة القوامة سنة إحدى وأربعين من الهجرة.

وصلى عليها مروان بن الحكم والى المدينة

ودفنت فى البقيع مع أزواج النبى ﷺ

بركة بنت ثعلبة
تبكى على انقطاع الوحى

*** نسبها**

هى بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة النبى ﷺ

*** كنيتها**

كان يقال لها : أم أيمن

وقيل :

أم الظباء

*** أمى بعد أمى**

كانت بركة الحبشية لآمنة بنت وهب ، وكانت تقوم على محمد بن عبد الله ـ ﷺ ـ وتلطفه ، فلما ماتت آمنة بنت وهب ، ورثها محمد ـ ﷺ ـ وخمسة أجمال أوراك وقطعة غنم

وأعتق محمد بن عبد الله ـ ﷺ ـ بركة بنت ثعلبة لما تزوج خديجة بنت خويلد

وتزوجت بركة بنت ثعلبة عبيد بن زيد من بنى الحارث بن الخزرج فولدت له أيمن .. فسميت **بأم أيمن**

ولما بعث رسول الله ﷺ أسلمت أم أيمن

وكان رسول الله ﷺ يقول :

ـ أم أيمن أمى بعد أمى

*** من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة**

كان صاحب الخلق العظيم ﷺ يقول لأم أيمن :

ـ يا أمه .

وذات يوم كان زيد بن محمد جالسًا مع النبى عليه الصلاة والسلام فأقبلت أم أيمن فأشار أبو القاسم نحوها وقال :

ـ من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن.

فتزوجها زيد بن محمد ـ ﷺ ـ **فولدت له أسامة**

*** هجرتها**

لما هاجرت أم أيمن من مكة إلى المدينة وأمست بالمنصرف ودون الروحاء **وكانت صائمة فعطشت وليس معها ماء ، فأجهدها العطش ، فدلى عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فأخذته فشربته .**

حتى رويت

تقول أم أيمن :

ـ ما أصابنى بعد ذلك عطش .

ولقد تعرضت للعطش بالصوم فى الهواجر فما عطشت

وقيل :

خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة وهى ماشية ليس معها زاد ، فلما غابت الشمس إذ بإناء معلق عند رأسها

تقول بركة بنت ثعلبة :

ـ ولقد كنت بعد ذلك أصوم فى اليوم الحار ثم أطوف فى الشمس كى أعطش فما عطشت بعد

*** إنك لا تشتكين بطنك بعد هذا**

كان للنبى ﷺ فخارة يبول فيها بالليل . فإذا أصبح حملتها أم أيمن وصبتها ، وذات ليلة قامت أم أيمن وهى عطشانة فأخطأت وشربت الفخارة ، وذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال :

أنت لا تشتكين بطنك بعد هذا

*** لما تزوج على فاطمة**

لما زوج رسول الله ﷺ ابنته فاطمة الزهراء على بن أبي طالب أمره ألا يدخل على فاطمة حتى يجيئه ، وكانت اليهود يؤخرون الرجل على أهله فجاء طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ حتى وقف بالباب فاستأذن وقال :

ـ أثم أخى ؟

فقالت أم أيمن :

ـ بأبى أنت وأمى يا رسول الله من أخوك ؟

قال أبو القاسم ﷺ :

ـ على بن أبى طالب

فقالت بركة بنت ثعلبة :

ـ وكيف يكون أخاك وقد زوجته ابنتك ؟

لما آخى رسول الله بين المهاجرين بمكة آخى بينه وبين على بن أبى طالب ، ولما بنى مسجده وحجراته آخى بين المهاجرين والأنصار ، آخى بينه ﷺ وبين على بن أبى طالب .

قال السراج المنير ﷺ :

ـ هو ذاك يا أم أيمن

ثم دعا إمام الخير ﷺ بماء فى إناء فغسل فيه يديه ثم دعا عليا فجلس بين يديه فنضح على صدره من ذلك الماء ، ونضح بين كتفيه ، ثم دعا ﷺ فاطمة فجاءت بغير خمار تعثر فى ثوبها ثم نضح عليها من ذلك الماء

ثم قال المبعوث للناس كافة ﷺ لعلى بن أبى طالب :

ـ والله ما ألوت أن أزوجك خير أهلى .

تقول أم أيمن :

ـ وليت جهازها ـ فاطمة بنت رسول الله ﷺ ـ فكان فيما جهزتها به مرفقةمن آدم حشوها ليف وبطحاء مفروش فى بيتها

*** المرأة التى أحل النبى عليه الصلاة والسلام أن تقول : سلام**

كانت بركة بنت ثعلبة تقول :

ـ سلام

فأحل لها إمام الخير ﷺ أن تقول :

ـ سلام

فكانت إذا دخلت على النبى الخاتم ﷺ تقول :

ـ سلام عليكم

*** أم أيمن فى جيش رسول الله ﷺ**

خرجت بركة بنت ثعلبة يوم أحد مع جيش رسول الله ﷺ فكانت تسقى المسلمين

*** يوم الخندق**

شهدت أم أيمن غزوة الخندق فكانت تحمل الطعام لأصحاب رسول الله ﷺ وتحمل الماء لتسقى المسلمين .

وقد رماها حبان بن العرقة بسهم فأصاب ذيل درع ـ ثوب ـ بركة بنت ثعلبة وكانت

جاءت تسقى الجرحى فولولت فضحك ابن العرقة منها ، فدفع رسول الله ﷺ لسعد ابن أبى وقاص سهمًا وطلب منه أن يرمى ابن العرقة ، فرمى سعد السهم فوقع فى نحر حبان بن العرقة فوقع مستلقيًا على الأرض وبدت عورته فضحك إمام الخير ﷺ وقال :

- استقاد لها سعد .

*** يوم خيبر**

خرجت أم أيمن مع جيش رسول الله ﷺ يوم خيبر

يقول أنس بن مالك :

- إن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت قريظة والنضير ، فجعل يرد بعد ذلك وإن أهلى أمرتنى أن آتى النبى عليه الصلاة والسلام فأساله الذى كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان رسول الله ﷺ أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله ، فسألت النبى عليه الصلاة والسلام فأعطيتنى وقال : لك كذا وكذا ، فجاءت أم أيمن فجعلت تلوح بالثوب وتقول : كلا والله لا يعطيكهن وقد أعطانيهن ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : لك كذا وكذا وتقول كلا .. حتى أعطاها ، حسبته أعطاها عشرة أمثاله أو قريبًا من عشرة أمثاله

*** حيضتك ليست فى يدك**

تقول بركة بنت ثعلبة :

قال رسول الله ﷺ لى :

ناولينى الحمرة من المسجد

فقلت :

- إنى حائض

فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ إن حيضتك ليست فى يدك

فناولته إياها

* أم أيمن مع جيش المسلمين يوم حنين

خرجت بركة بنت ثعلبة مع النبى ﷺ يوم الفتح الأعظم

ووقع الرعب فى قلوب هوازن عندما فتح الله أم القرى ، وشعر قادة هوازن بحرارة الخطر والوجود الإسلامى تلفح وجوههم ، وخشوا أن يسير إليهم خاتم النبيين ﷺ بجيشه ، فمشى أشراف هوازن وثقيف بعضهم إلى بعض وقالوا :

ـ قد فرغ لنا فلا ناهية

وراحوا يحشدون الجموع ويقولون :

ـ والله إن محمدًا وصحبه لاقوا قومًا لا يحسنون القتال ـ يعنون قريشا ـ

فلما سمع الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ بخبر هوازن سار إليهم ومعه اثنا عشر ألفًا

نظرت أم أيمن إلى جيش المسلمين وقالت :

ـ ثبت الله أقدامكم

فقال طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ :

ـ اسكتى يا أم أيمن فإنك عسراء اللسان .

وقتل يوم حنين أبو أيمن عبيد الله بن زيد الخزرجى

* لما قبض رسول الله ﷺ

لما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى بكت بركة بنت ثعلبة فقيل لها :

ـ ما يبكيك ؟

قالت أم أيمن

- إنى والله قد علمت أن رسول الله ﷺ يموت ولكنى إنما أبكى على الوحى الذى انقطع من السماء

*** الخليفة الأول يزور أم أيمن**

لما بايع المسلمون أبا بكر الصديق خليفة لرسول الله ﷺ ، قال الخليفة الأول للفاروق :

- انطلق بنا نزور أم أيمن كما كان رسول الله ﷺ يزورها

فلما دخل الصديق وعمر بن الخطاب عليها بكت فتساءلا :

- أتبكين ؟ فما عند الله خير لرسوله

قالت بركة بنت ثعلبة :

- أبكى على أن وحى السماء قد انقطع

فهيجتهما على البكاء ، **فجعلت تبكى ويبكيان معها**

*** لما قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**

لما علمت بركة بنت ثعلبة أن أبا لؤلؤة المجوسى طعن الفاروق بخنجر وهو يصلى الصبح فقتله بكت فقيل لأم أيمن :

- ما يبكيك ؟

قالت بركة بنت ثعلبة :

- اليوم وهن - ضعف - الإسلام

*** وفاتها**

ماتت أم أيمن فى أول خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان

ماتت المرأة التى سقاها الله عز وجل من السماء شربة فلم تظمأ بعدها أبداً .

فاختة بنت الوليد

أخت سيف الله المسلول خالد بن الوليد .

زوج صفوان بن أمية بن خلف

أبوها الوليد بن المغيرة المخزومى كان أحد المستهزئين برسول الله ﷺ وكان سيد بنى مخزوم .

وكانت تحت صفوان بن أمية فاختة بنت الوليد وعاتكة بنت الوليد وبرزة بنت مسعود بن عمرو وفاختة بنت الأسود وأمية بنت أبى سفيان وأم وهب بنت أبى أمية بن قيس وبنت ملاعب الأسنة عامر بن مالك .

وكانت فاختة بنت الوليد عونا لزوجها صفوان بن أمية على الكفر والجحود والعناد لدعوة رسول الله ﷺ .

فقد كان صفوان بن أمية يعذب مولاه أبا فكيهة فيخرجه نصف النهار فى شدة الحر مقيدا إلى الرمضاء فيضع على بطنه صخرة حتى يخرج لسانه وتأتى فاختة بنت الوليد فتقول له :

زده عذابا حتى يأتى محمدًا فيخلصه بسحره .

ولما كان يوم بدر . . كان أول من قدم مكة الحيسمان بن عمرو . . فلما أخبر قريشا بمقتل أبى الحكم بن هشام وعتبة وشيبة ابنى ربيعة وأمية بن خلف و . . وأسر سبعون من رجال قريش وهزيمتهم ببدر . . لم يصدق صفوان بن أمية . ولكن القادمين من بدر أكدوا له صحة النبأ .

وجلس صفوان بن أمية وهو شارد فى الحجر فقال :

كلما قدم أحد من بدر أخبرنا بمصابنا ؟ واللات والعزى ما فى العيش بعدهم من خير .

فقال عمير بن وهب :

صدقت . . أما واللات لولا دين على لا أملك قضاءه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله ولكن عندهم علة ابنى وهب أسير فى أيديهم .

فتلفت صفوان بن أمية حوله فلم يجد أحدًا فقال فى لهفة :

على دينك أنا أقضينه عنك وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا لا يسعنى شئ ويعجز عنهم .

فقال عمير بن وهب :

قد قبلت فاكتم عنى شأنى وشأنك .

فقدم صفوان إلى عمير بن وهب سيفا وقال له :

هذا سيف اشتريته بألف درهم وشحذته بألف درهم .

أخذ عمير بن وهب السيف وانطلق إلى المدينة . . فربط فرسه بباب المسجد فلما رآه عمر بن الخطاب نهض وقال لأصحابه :

هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب جاء متوشحًا سيفه . . والله ما جاء إلا لشر فهو الذى حرش بيننا وحرزنا ـ أحصانا ـ يوم بدر .

فقال عمير بن وهب :

أريد محمدا .

قال الفاروق :

لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله ﷺ .

وأذن له النبى عليه الصلاة والسلام . . ففرح عمير بن وهب ورأى بعينى خياله صفوان بن أمية يمشى فى سكك مكة مختالا ويغشى مجالس قريش ويقول فرحا :

أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر .

فيقولون :

ما هى ؟ .

فيقول صفوان بن أمية : لقد حدث بالمدينة حدث عظيم .

اقترب عمير بن وهب من النبى ﷺ ثم قال :

حيتك الآلهة يا محمد .

قال محمد ﷺ :

« لقد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير .. بالسلام .. تحية أهل الجنة » . .

فقال عمير بن وهب :

أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد .

فتساءل محمد ﷺ :

« فما جاء بك يا عمير ؟ » .

قال عمير بن وهب :

جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا إليه .

فعاد أبو القاسم ﷺ يتساءل :

« فما بال السيف فى عنقك ؟ » .

قال عمير بن وهب :

قبحها الله من سيوف . . وهل أغنت عنا شيئا ـ لم تنفعنا يوم بدر ـ ؟ .

فقال رسول الله ﷺ :

« أصدقنى يا عمير .. ما الذى جئت له ؟ ».

فقال عمير بن وهب :

ما جئت إلا لذلك .

قال أبو القاسم ﷺ :

« كذبت .. فقد قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب ـ قتلى بدر ـ من قريش ثم قلت : لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدًا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له .. والله حائل بينك وبين ذلك » .

جحظت عينا شيطان قريش وفغر فاه . . كيف عرف محمد ﷺ ذلك ؟ لم يسمع أحد حوار عمير وصفوان . . ولم يسبق عمير أحد إلى المدينة ووشى به ! .

ووجد عمير يده تمتد إلى الصادق المصدوق مبايعا وقال فى انفعال وصدق :

أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله . . والله يا نبى الله هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله ما أنبأك به إلا الخبير العليم والحمد لله الذى هدانى إلى الإسلام .

ولما علم صفوان بن أمية بإسلام ابن عمه عمير بن وهب امتلأ صدره حزنًا وغيظًا . . وخرج يحرض القبائل لحرب محمد ﷺ لتثأر ليوم بدر . . فخرج مع جيش المشركين لأحد .

ويوم الخندق أسرع صفوان بن أمية مع الأحزاب .

وجاء محمد ﷺ وأصحابه معتمرين فقام صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى الحكم وسهيل بن عمرو وأشراف قريش وصدوهم عن المسجد . . فكان صلح الحديبية .

ولما قدم محمد ﷺ والمسلمون لأداء عمرة القضاء خرج صفوان وسادات قريش من مكة حتى لا يرونهم وهم يطوفون حول الكعبة . . ولما عادوا إلى المدينة رجع صفوان وأشراف قريش إلى مكة .

ولقى خالد بن الوليد صفوان بن أمية فقال له :

يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه ؟ إنما نحن كأضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم فلو قدمنا على محمد واتبعناه فإن شرف محمد لنا شرف ؟ .

فأبى صفوان بن أمية أشد الإباء وقال :

لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدا .

كيف يتبع محمدا ﷺ وقد قتل أخوه وأبوه ببدر ؟ .

ورجع صفوان إلى بيته فأخبر زوجته فاختة بنت الوليد بخبر أخيها خالد بن الوليد فقالت فى حزن :

لقد علمت أن عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة قد خرجا معه إلى المدينة .

فقال صفوان بن أمية :

واللات والعزى لو كان الوليد بن المغيرة حيا لما حدث ذلك .

ومشى بعض سادة بنى بكر إلى أشراف قريش يسألونهم أن يمدوهم بالرجال والسلاح عن خزاعة فأمدوهم بالسلاح وخرج صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى الحكم وسهيل بن عمرو وشيبة بن عثمان وحويطب بن عبد العزى ملثمين وظنوا أنهم لم يعرفوا وهبرت سيوف بنى بكر خزاعة وكان أهلها آمنين. . وذاع فى مكة أن صفوان وسهيل بن عمرو وعكرمة وحويطب وشيبة قد اشتركوا مع بنى بكر فى الغدر بخزاعة فاستغلظت العداوة التى كانت قد نامت بين قريش ومحمد ﷺ منذ صلح الحديبية . . وأقبل محمد ﷺ ومعه عشرة آلاف من أصحابه ودخل مكة . . ففر صفوان بن أمية.

وجاء عمير بن وهب النبى ﷺ فقال له :

يا نبى الله صفوان أمية سيد قومى وقد هرب ليقذف نفسه فى البحر - يذهب إلى الحبشة - فأمنه فإنك أمنت الأحمر والأسود .

فقال نبى الرحمة ﷺ :

« دونك ابن عمك فهو آمن » .

فقال عمير بن وهب :

أعطنى آية يعرف بها أمانك .

فأعطاه أبو القاسم ﷺ عمامته التى دخل بها مكة . . فانطلق عمير بن وهب على ظهر حصانه حتى أدرك صفوان وهو يريد أن يركب البحر فلما رآه صفوان قال له :

اغرب عن وجهى لا تكلمنى .

فقال عمير بن وهب :

أى صفوان فداك أبى وأمى جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك .

فقال صفوان بن أمية :

إنى أخاف على نفسى .

فقال عمير بن وهب :

هو أحلم من ذلك وأكرم .

فرجع صفوان مع عمير بن وهب .

بايع رسول الله ﷺ الرجال . .

ثم جاءت هند بنت عتبة وفاختة بنت الوليد ونساء من قريش فبايعن النبى عليه الصلاة والسلام . .

ووقف صفوان بن أمية على رسول الله ﷺ فقال وهو يشير نحو عمير بن وهب:

إن هذا يزعم أنك أمنتنى .

فقال أبو القاسم ﷺ :

« صدق » .

فقال صفوان بن أمية :

يا محمد أمهلني بالخيار شهرين .

إن الله عز وجل يقول : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٥٦] فقال رسول الله ﷺ :

« **أنت بالخيار أربعة أشهر** » .

وراحت فاختة بنت الوليد تدعو زوجها صفوان بن أمية إلى الإسلام ولكنه أعرض عنها وقال لها :

هل أنت خير منه ؟ لقد قلت له أمهلني شهرين فأمهلني أربعة .

وبعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا يدعو لله عز وجل . . فترامى إلى مسمعه أن مالك بن عوف النصرى قد جمع هوازن وبنى سعد وجموعا من العرب لحربه . .

وكان قد ذكر لرسول الله ﷺ أن عند صفوان بن أمية أدرعا له وسلاحا فأرسل إليه فقال :

يا صفوان أعرنا سلاحك هذا حتى نلق فيه عدونا غدا .

فقال صفوان بن أمية ك

أغصبا يا محمد ؟ .

قال رسول الله ﷺ :

« **بل عارية ومضمونة حتى نؤديها إليك** » .

فقال صفوان بن أمية :

ليس بهذا بأس .

فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح .

فطلب رسول الله ﷺ أن يكفيهم حملها . . فحملها صفوان وخرج مع جيش

المسلمين إلى حنين فلما استقبل المسلمون وادى حنين وانحدروا من أودية تهامة وانحدروا انحدارا فما راعهم وهم منحطون إلا كتائب مالك بن عوف النصرى قد شدوا عليهم شدة رجل واحد فى عماية الصبح . . فانتشر المسلمون راجعين لا يلوى أحد على أحد . وكان الطلقاء ـ كانوا ألفين ـ أهل مكة أول من انهزم فقال بعضهم لبعض :

أخذلوه هذا وقته .

وقال أبو سفيان بن حرب :

لا تنتهى هزيمتهم ـ المسلمين ـ دون البحر .

وكانت الأزلام لا تزال معه فى كنانته وصاح كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية :

ألا بطل السحر اليوم .

فقال صفوان بن أمية :

أسكت فض الله فاك ـ أسقط الله أسنانك ـ فوالله لا يربنى ـ يملكنى ـ رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن .

وثبت مع رسول الله ﷺ نفر من أهل بيته ونادى العباس بن عبد المطلب :

يا معشر الأنصار . . يا معشر أصحاب السمرة وبيعة الرضوان .

فارتفعت أصوات الأنصار :

لبيك . . لبيك .

وحملوا على المشركين حملة رجل واحد . . فهزموهم وفر مالك بن عوف ومن معه إلى الطائف .

فسار جيش المسلمين إليهم . وحاصر رسول الله ﷺ الطائف . . ثم رجع إلى

الجعرانة فأحصى السبى والإبل . . وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل .

يقول صفوان بن أمية :

ما زال رسول الله ﷺ يعطينى من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إلى حتى ما خلق الله شيئًا أحب إلى منه .

فرحت فاختة بنت الوليد بن المغيرة بإسلام زوجها وفرق الإسلام بينه وبين زوجتين من زوجاته الست فطلق أم وهب بنت أبى أمية وكانت قد آمنت وفاختة بنت الأسود وكان أبوه أمية بن خلف تزوجها فخلف صفوان عليها .

يقول صفوان بن أمية :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **تجدون الناس معادن فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا رشدوا ـ فقهوا ـ** » [أخرجه البخارى] .

وقال :

قال أبو القاسم ﷺ : « **انهسوا ـ النهس أخذ اللحم بأطراف الأسنان والنهش الأخذ بجميعها ـ اللحم نهسا فإنه أهنأ وأمرأ** » .

وخرج صفوان بن أمية إلى الجهاد فى سبيل الله فكان على كردوس يوم اليرموك .

* * * *

ميمونة بنت الحارث

أتقى أمهات المؤمنين وأوصلهن للرحم

هى ميموة بنت الحارث بن حزن الهلالية

كانت تحت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفى فى الجاهلية ، ثم فارقها فخلف عليها أبو رهم بن عبد العزى فتوفى عنها

هى أخت لبابة الكبرى ـ أم الفضل ـ إمرأة العباس بن عبد المطلب

فهى خالة عبد الله بن عباس

وخالة خالد بن الوليد

كانت من سادات النساء

* يوم عمرة القضاء

لما قدم إمام الخير ﷺ أم القرى عام القضية ـ عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة ـ فى ذى القعدة ، ذهب إلى الأبطح وجلس ليستريح فدخل عليه عمه العباس بن عبد المطلب ، فأقضى إلى ابن أخيه ﷺ بأمنية برة بنت الحارث الهلالية أن تكون زوجة لرسول الله ﷺ ، فبعث المبعوث للناس كافة ﷺ ابن عمه جعفر بن أبى طالب إليها ليخطبها .

ولما خرج جعفر بن أبى طالب من عند برة بنت الحارث استخف بها الطرب فركبت بعيرها وانطلقت إلى الأبطح حيث قبة صاحب الخلق العظيم ﷺ ، وعندما قدمت إليه قالت :

ـ البعير وما عليه لله ولرسوله

وتحدث بعض الناس ـ من المنافقين ـ عما فعلت برة بنت الحارث وقالوا :

ـ إنها لم تستطع الانتظار فجاءت تهب نفسها لله ولرسوله

وسماها المبعوث رحمة للعالمين ﷺ **ميمونة**

يقول مجاهد :

ـ كان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ ميمونة [أخرجه الحاكم] .

ويقول عكرمة مولى ابن عباس :

ـ ميمونة وهبت نفسها للنبى ﷺ [رواه عبد الرزاق] .

ولما وجد المنافقون نهزة ـ فرصة ـ للغمز واللمز فأنزل السميع البصير ﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ٥٠] .

*** آخر امرأة تزوجها أبو القاسم ﷺ**

كانت ميمونة بنت الحارث آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ

فقد نزل قوله تعالى ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ٥٢] .

وقد أعرس النبى ﷺ بميمونة بنت الحارث الهلالية بسرف ـ موضع يبعد عن مكة ستة أميال ـ

*** الأخوات الأربع :**

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ الأخوات الأربع : ميمونة وأم الفضل وسلمى ـ بنت عميس كانت تحت حمزة بن عبد المطلب ـ وأسماء بنت عميس مؤمنات [رواه النسائى والحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عباس] .

*** كان أعظم لأجرك .**

أعتقت ميمونة بنت الحارث وليدة لها ـ جارية ـ ولم تستأذن النبى ﷺ ، فلما كان

يومها الذى يدور عليها فيه قالت :

ـ أشعر يا رسول الله أنى أعتقت وليدتى ؟

قال نبى الرحمة ﷺ :

ـ أو فعلت ؟

قالت ميمونة بنت الحارث :

ـ نعم

قال صاحب الخلق العظيم ﷺ **مرغبا فى صلة الرحم :**

ـ **أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك** [رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى] .

*** يوم تبوك**

خرجت ميمونة بنت الحارث يوم غزوة العسرة لتسعف الجرحى ، وتواسى المرضى، وتسقى المجاهدين فى سبيل الله .

ويقال :

إنها أول امرأة ألفت جماعة نسائية لإسعاف الجرحى والقيام بواجبات المجاهدين فى ساحة القتال ، ولقد أصابها سهم غرب من سهام الأعداء وهى تحمل الماء للمصابين فكاد يقتلها لولا عناية الله ولطفه .

تقول أم المؤمنين عائشة :

ـ أتقانا لله ، وأوصانا للرحم ميمونة بنت الحارث .

* لن أفتح لك الباب

بلغت ميمونة بنت الحارث من العمر عتيا ، ولم يعد للهوى والشهوة مكان منذ أن تزوجت خاتم النبيين ﷺ وإنما تزوجته لتحظى بشرف أمهات المؤمنين .

وذات ليلة خرج طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ من عند ميمونة بنت الحارث فأغلقت دونه الباب ، فجاء يستفتح فأبت أن تفتح له فقال ﷺ :

ـ أقسمت إلا فتحته لى

فقالت ميمونة بنت الحارث :

ـ تذهب إلى زوجاتك فى ليلتى هذه ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ ما فعلت ولكن وجدت حقنا فى بولى

ففتحت له الباب

* طعام أهل الجنة

سألت ميمونة بنت الحارث معلم البشرية ﷺ ذات يوم عن طعام وشراب **أهل الجنة** فقال :

ـ إن الرجل ليشتهى فى الجنة فيجئ مثل البختى حتى يقع على خوانه ـ سريره ـ لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير [رواه ابن أبى الدنيا عن ميمونة بنت الحارث] .

*** وفاتها**

خرجت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث مع ابن أختها عبد الله بن عباس فى عهد معاوية بن أبى سفيان للحج ، وبعد أن قضت مناسك الحج شاء العلى القدير أن تموت فى المكان الذى بنى فيه المبعوث للناس كافة ﷺ بها فدفنت هناك ـ **بسرف** ـ وكان ذلك فى سنة إحدى وستين من الهجرة فصلى عليها عبد الله بن عباس .

وقد أوصت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بحجرتها لابن أختها عبد الله بن عباس فاتخذها ترجمان القرآن كمدرسة لنشر العلم بين المسلمين .

كبيشة بنت معن

كان أبو قيس صيفى بن الأسلت الأنصارى شاعراً يتأله ويدعى الحنيف فلم يكن أحد من الأوس والخزرج أوصف لدين الحنيفية ولا أكثر مساءلة عنها من أبى قيس بن الأسلت . فكان يسأل أهل الكتاب ـ اليهود ـ عن دينهم فكان يقاربهم ثم يخرج إلى الشام فنزل على آل جفنة فأكرهوه ووصلوه وسأل الرهبان والأحبار فدعوه إلى دينهم فامتنع فقال له راهب منهم : يا أبا قيس إن كنت تريد دين الحنفية فهو من حيث خرجت وهو دين إبراهيم .

ثم خرج أبو قيس إلى مكة معتمراً فبلغ زيد بن عمرو بن نفيل فكلمه فكان يقول : ليس أحد على الحنفية ـ دين إبراهيم ـ إلا أنا وزيد بن نفيل .

وكان أبو قيس يذكر صفة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإنه يهاجر إلى يثرب .

وشهد أبو قيس وقعة بعاث التى كانت بين الأوس والخزرج .

ولما هاجر رسول الله ـ ﷺ ـ من مكة إلى يثرب قابله أبو قيس الأسلت وسأله : إلام اللام تدعو ؟

فذكر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ له شرائع الإسلام فقال أبو قيس : ما أحسن هذا وأجمله . أنظر فى أمرى وأعود إليك .

ولقى عبد الله بن أبى بن سلول أبا قيس بن الأسلت فقال له : بلغنى أنك قابلت صاحبك ـ يعنى النبى عليه الصلاة والسلام ـ

فقال أبو قيس بن الأسلت : إنه يدعو إلى مكارم الأخلاق .

فقال عبد الله بن أبى سلول : لقد لذت من حزبنا كل ملاذ تارة تحالف قريشاً وتارة تتبع محمداً .

وماتت زوجة أبى قيس وتركت له ولداً ـ قيساً ـ فذهب أبو قيس إلى قوم امرأته

وطلب منهم أن يعيش معهم ولكنهم قالوا له : انكح زوجة أخرى .

وشرطوا عليه أن تحسن تلك الزوجة معاملة ابنه قيس وأسلم أبو قيس بن الأسلت عام الفتح . وتزوج أبو قيس كبيشة بنت معن وعاشت معه فى سراء الحياة وضرائها . ولم يرزق الله عز وجل كبيشة الولد فاتخذت ابن زوجها ولدًا .

وذات يوم اشتكى أبو قيس بن الأسلت فجلست كبيشة بجانبه تمرضه .. ولكن اشتد به المرض ولم يكن يفكر فى شئ سوى ابنه فقال لها : أوصيك خيرًا بابنى ،

فقالت كبيشة بنت معن : سوف أرعاه فإنه منى بمنزلة الابن .

ومات أبو قيس بن الأسلت وهو على يقين أن امرأته سوف ترعى ابنه خير رعاية .

وأقبل قوم الابن وهمسوا فى أذنه بكلمات .. فألقى عليها ثوبًا - كانت المرأة فى الجاهلية إذا توفى عنها زوجها فجاء رجل فألقى عليها ثوبًا كان أحق بها أى ورث نكاحها أو حبسها تموت فيرثها - وخطب ابن قيس بن الأسلت كبيشة بنت معن .

كيف ترث المرأة ولا تتزوج ؟ هل صارت حبيسة البيت لا يسمح لها أهل زوجها بالخروج ؟ لقد جاء الإسلام ليرفع عن كاهل المرأة الكثير من الظلم الذى حاق بها . كانوا يئدون البنات فحرم الإسلام ذلك وبشر الصادق المصدوق - ﷺ - المسلمات والمؤمنات بفضل الله .. إنها على يقين أن الله سبحانه وتعالى سيجعل لها مخرجًا من ذلك الظلم الذى حاق بها .

لا سبيل لها إلا أن تذهب إلى طبيب القلوب وتشكو إليه أمرها .. فقالت : إنما أعدك ولدًا وأنت من صالحى قومك ولكن آتى رسول الله - ﷺ - فأستأمره .

وانطلقت كبيشة بنت معن إلى رسول الله - ﷺ - فقالت له : يا نبى الله إن أبا قيس قد هلك وإن ابنه قيسًا من خيار الحى خطبنى إلى نفسى فقلت : ما كنت أعدك إلا ولدًا وما أنا بالتى أسبق رسول الله - ﷺ - بشىء .

فسكت النبى - عليه الصلاة والسلام .. ثم قال : ﴿ ارجعى إلى بيتك ﴾ .

وسمع السميع العليم شكوى كبيشة بنت معن من فوق سبع سموات فنزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ [سورة النساء الآية : ١٩] .

ثم أنزل : ﴿ وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [سورة النساء الآية : ٢٢] .

* * * *

سمية بنت خباط

أول شهيدة فى الإسلام

كانت سمية بنت خباط مولاة أبى حذيفة بن المغيرة المخزومى

وقدم ياسر بن عامر بن مالك من اليمن ، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة فزوجه سمية بنت خباط فولدت له عمارا ، فأعتقه أبو حذيفة ، فصار عمار بن ياسر حليفا لبنى مخزوم

*** إسلامها**

لما بعث الله أبا القاسم ﷺ ، سمع ياسر بن عامر أهل مكة يذكرون محمد بن عبد الله ﷺ فطلب ياسر من ابنه عمار أن يذهب إلى دار الأرقم ابن أبى الأرقم ويسمع منه .

انطلق عمار بن ياسر إلى دار الإسلام فلقى صهيب بن سنان الرومى على باب الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى .

فسأله :

ـ ما تريد ؟

قال صهيب بن سنان :

ـ ما تريد أنت ؟

قال عمار بن ياسر :

ـ أردت أن أدخل على محمد فأسمع كلامه

قال صهيب بن سنان :

ـ فأنا ـ وأنا ـ أريد ذلك

فدخلا على الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فعرض عليهما الإسلام . وقرأ عليهما آيات من القرآن فأسلما

رجع عمار إلى أبيه وأمه وأخبرهما . . فنطقا بشهادة الحق .

* تعذيبها

أظهر آل ياسر إسلامهم . . فنال عمار وأبوه ياسر بن مالك وأمه سمية بنت خباط حظهم الوافر من العذاب على أيدى سادات بنى مخزوم .

خرج أبو جهل بن هشام بعمار وياسر وسمية بنت خباط إلى الرمل ـ الشديد الحرارة ـ فيمر عليهم نبى الرحمة ﷺ وهم يعذبون ، وكان لا يملك من أسباب دفع الأذى عن أصحابه شيئا فيقول محييا صمود آل ياسر :

ـ صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة .

وكان أبو القاسم ﷺ يمر بآل ياسر وهم يعذبون بالنار فيقول :

ـ يا نار كونى بردًا وسلامًا كما كنت على إبراهيم

وجاء عمار بن ياسر النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

ـ لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ

فقال نبى الرحمة ﷺ :

ـ اللهم لا تعذب أحدًا من آل عمار بالنار

* وفاتها

أعطى أبو حذيفة بن المغيرة سمية بنت خباط لابن أخيه أبى جهل بن هشام فقال لها :

ـ لا تزالين هكذا حتى تكفرى بمحمد وتعبدى اللات والعزى

فتقول سمية بنت خباط :

ـ أنا لا أشرك بالله شيئًا

فقال أبو جهل بن هشام :

ـ إنك آمنت بمحمد إلا لأنك عشيقته لجماله

وطعنها فى قبلها ـ فرجها ـ حتى قتلها

فكانت أول شهيدة فى الإسلام

وصعدت روحها الطاهرة إلى السماء بعد أن روت بدمائها الذكية الأرض ، وأغمضت عينيها قريرة النفس . . ولم لا ؟ أليست من الأحياء الذين هم عند ربهم يرزقون ؟ لقد لحقت بزوجها ياسر بن مالك .

نظر عمار بن ياسر إلى أبويه بعنين دامعتين وهو لا يملك لهما من الأمر شيئا فقد كانت الحياة فى أم القرى بلا قانون يقتص من القاتل .

* * * *

زينب بنت جحش
زوجها الله عز وجل من فوق عرشه

* نسبها

هى زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبيرة - ضيرة - بن مرة بن كثير بن قم بن دودان بن أسد بن خزيمة

أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ

* إسلامها

أسلمت برة بنت جحش هى وأخواتها : عبد الله ، وعبد بن جحش ، وعبيد بن جحش وامرأته رملة بنت أبى سفيان

فبرة بنت جحش وأخواتها من السابقين الأولين إلى الإسلام .

* زواجها من زيد بن حارثة

زوج النبى عليه الصلاة والسلام برة بنت جحش لزيد بن محمد ﷺ

ولكن برة بنت جحش كانت تعتز بجمالها وشبابها وحسبها وقرابتها للنبى الخاتم ﷺ ولم تنس برة بنت جحش أنها الشريفة التى ليس لشابة حسناء شرفها وجمالها ، فكيف تكون تحت مولى - خادم - كزيد بن حارثة دخل بيت النبى عليه الصلاة والسلام رقيقًا فأعتقه نبى الرحمة ﷺ ، بل خلع عليه اسمه ﷺ فصار زيد بن محمد .

* زيد يشتكى للنبى عليه الصلاة والسلام

شكا زيد بن محمد ﷺ للنبى الخاتم ﷺ أكثر من مرة ما يجد من سوء معاملة برة بنت جحش فكان صاحب الخلق العظيم ﷺ يقول له :

- **أمسك عليك زوجك واتق الله** [رواه البخارى ، والإمام أحمد ، وأخرجه الترمذى . والحاكم فى المستدرك عن أنس] .

فقال زيد بن محمد :

ـ يا رسول الله أفارقها ؟

قال إمام الخير ﷺ :

ـ **احبس عليك زوجك**

*** الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ يتزوج زينب بنت جحش**

لم يستطع زيد بن محمد أن يصبر على سوء معاملة برة بنت جحش ، ولم يستطع أن يمسك عليه زوجه . . ففارقها

وذات ليلة كان السراج المنير ﷺ جالسًا يتحدث مع الصديقة بنت الصديق فأخذته غشية ، فلما سرى عنه تبسم وقال عليه الصلاة والسلام :

ـ من يذهب إلى برة يبشرها أن الله تعالى زوجنيها فى السماء ؟؟[رواه الحاكم فى المستدرك عن محمد بن يحيى بن حبان مرسلا] .

وتلا الصادق المصدوق ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾[سورة الأحزاب الآية : ٣٧] .

تقول أم المؤمنين عائشة :

ـ فأخذنى ما قرب وما بعد لما يبلغنا ـ زوجات الرسول ﷺ ـ من جمالها وأخرى هى أعظم الأمور وأشرفها ما صنع لها زوجها الله من السماء .

فخرجت سلمى خادمت رسول الله ﷺ تسرع فى المشى ، فلما دخلت على برة بنت جحش

قالت لها :

ـ أبشرى

فتساءلت برة بنت جحش :

ـ ما وراءك ؟

قالت سلمى :

ـ الخير كله

وحدثتها بما قال الصادق المصدوق ﷺ

فقامت برة بنت جحش إلى مسجدها ـ كان لها مسجد فى منزلها ـ وسجدت لله رب العالمين شكراً

ثم قالت برة بنت جحش:

ـ إياى جعلت لله على صوم شهرين

وتزوجها السراج المنير ﷺ

الله المزوج وجبريل الشاهد [رواه الحاكم فى المستدرك عن زينب بنت جحش] .

*** زينب**

سماها أبو القاسم ﷺ زينب فقالت :

ـ يا رسول الله بدل اسم أبى فإن البرة حقيرة

فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ لو كان أبوك مؤمنًا سميناه باسم رجل منا أهل البيت ولكنى قد سميته جحشًا والجحش من البرة [رواه الدار قطنى] .

وأولم إمام الخير ﷺ على زينب بنت جحش ودعا المساكين والناس بعد ارتفاع النهار وجلس طوائف منهم يتحدثون فى بيت السراج المنير ﷺ وزوجته زينب مولية وجهها إلى الحائط فثقلوا على صاحب الخلق العظيم ﷺ .

يقول أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ :

ـ فما أدرى أأنا أخبرت النبى ﷺ أن القوم قد خرجوا أو أخرجنى ؟

وانطلق نور الظلمة ﷺ حتى دخل البيت فذهب أنس معه فألقى الستر بينه وبين أنس

ونزل الحجاب وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ٥٣] [رواره البخارى عن أنس] .

وذاع فى المدينة قول المنافقين :

ـ محمد يحرم بنت الولد وقد تزوج امرأة ابنه

فأنزل العليم الخبير : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ٤٠] .

* يوم الخندق

خرجت أم سلمة وزينب بنت جحش وعائشة مع جيش النبى ﷺ فضربت قبة من آدم لخاتم النبيين ﷺ ، يعقب فيها بين ثلاث من نسائه : عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش فتكون عائشة عنده أيامًا

وكان طعام القوم أيسره ، وكانت كل زوجة تحاول أن تبعث إلى زوجها بما يقوم به أوده وهو يحفر الخندق .

* زوجنيك الله من السماء

كانت زينب بنت جحش تقول للهادى البشير ﷺ :

ـ يا رسول الله ما أنا كأحد من نسائك ، ليست امرأة من نسائك إلا زوجها أبوها أو أخوها وأهلها غيرى زوجنيك الله من السماء .

وكانت زينب بنت جحش امرأة صناع اليدين فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به فى

سبيل الله .

*** إنها أواهة**

ذات يوم كان رسول الله ﷺ يقسم ما أفاء الله عليه فى رهط من المهاجرين والأنصار فتكلمت زينب بنت جحش فانتهزها عمر بن الخطاب ، فدخل النبى عليه الصلاة والسلام ومعه الفاروق فإذا زينب بنت جحش تصلى وهى فى مصلاتها فقال أبو القاسم ﷺ لعمر :

[رواه الطبرانى فى الكبير عن راشد بن سعد] .

*** رسول الله ﷺ يستشير زينب بنت جحش**

لما كانت حادثة الإفك سأل السراج المنير ﷺ زينب بنت جحش :

- ماذا علمت أو رأيت ؟

قالت زينب بنت جحش :

- يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيرًا والله ما أكلمها - تعنى عائشة - ، وإنى لمهاجرتها وما أقول إلا الحق .

تقول الصديقة بنت الصديق :

- لم أر امرأة قط خيرًا من زينب بنت جحش فى الدين ، وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم ، وأعظم للصدقة وأشدنا ابتذالاً إلا فى العمل الذى يتقرب به إلى الله .

*** إذا كثر الخبث**

دخل خاتم النبيين ﷺ على زينب بنت جحش ذات يوم فزعا وهو يقول :

- لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه .

وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها

فتساءلت زينب بنت جحش :

ـ يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ **نعم إذا كثر الخبث** [رواه البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش] .

*** يوم حجة الوداع**

خرجت زينب بنت جحش مع نساء النبى ﷺ فشهدت مع النبى عليه الصلاة والسلام مناسك حجة الشرائع ـ حجة الوداع ـ

*** مع الفاروق**

لما قسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب غنائم المدائن ـ مستقر كسرى ـ أعطى زينب بنت جحش اثنى عشر ألف درهم فجعلت تقول :

ـ اللهم لا يدركنى هذا المال من قابل فإنه فتنة

ثم قسمت المال فى **أهل رحمها وفى أهل الحاجة** ، فلما بلغ ذلك الفاروق قال :

ـ هذه امرأة يراد بها خير

فوقف عليها وأرسل بالسلام وقال :

ـ بلغنى ما فرقت فأرسل بألف درهم تستبقيها

ولكن زينب بنت جحش لم تبق من الألف درهم درهما ، فقد وزعته على المساكين.

*** وفاتها**

ماتت أم المؤمنين زينب بنت جحش سنة عشرين من الهجرة

فصلى عليها الفاروق وشيعها إلى البقيع

ولما علمت الصديقة بنت الصديق نعى زينب بنت جحش قالت :

ـ **لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل** .

شراف بنت خليفة

هى أخت الصحابى الجليل دحية بن خليفة الكلبى شبيه جبريل ـ عليه السلام ـ

خطب رسول الله - ﷺ - خولة بنت الهذيل التغلبية فماتت فى الطريق قبل أن تصل إليه من الشام .

وكان دحية بن خليفة الكلبى رجلاً جميلاً وكان يضرب به المثل فى حسن الصورة وكان يقدم بتجارة إلى المدينة . . فبينما كان رسول الله - ﷺ - يخطب الجمعة عقب بدر قدم دحية الكلبى بتجارة ومعها طبل فانصرف المسلمون ـ كانوا حديثى عهد بالإسلام ـ إليها ولم يبق مع رسول الله - ﷺ - إلا اثنتا عشرة رجلا فنزل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سورة الجمعة الآية : ١١]

وأسلم دحية بن خليفة وشهد مع رسول الله - ﷺ - أحدًا وأسلمت أخته خولة بنت الهذيل وشراف بنت خليفة .

قال رسول الله - ﷺ - : « **كان جبريل يأتينى على صورة دحية الكلبى** » .

وأهدى دحية بن خليفة الكلبى رسول الله - ﷺ - خفين فلبسهما ، وأهدى رسول الله - ﷺ - قبطى فأعطى منها قبطية لدحية بن خليفة ، وقال دحية للنبى يومًا : يا رسول الله ألا أحمل لك حمارًا على فرس فينتج لك فتركبها ؟

قال رسول الله - ﷺ - : « إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون » [رواه أبو داود ، والنسائى عن على] .

وخرج رسول الله - ﷺ - على أصحابه عقب عودته من الحديبية فقال : « **أيها الناس إن الله بعثنى رحمة وكافة فأدوا عنى رحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ** . فقال الصحابة :

وكيف اختلف الحواريون على عيسى - عليه السلام - يا رسول الله ؟

قال إمام الخير - ﷺ - :

دعاهم لمثل ما دعوتكم له فأما من بعثه مبعثًا قريبًا فرضى وسلم وأما من بعثه مبعثًا بعيدًا فكره وأبى » .

وبعث رسول الله - ﷺ - إلى ملوك الآفاق وكتب إليهم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى دخول فى دين الإسلام فى آخر سنة ست فى ذى الحجة فبعث دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر فلما قدم دحية بن خليفة كتاب رسول الله - ﷺ - إلى هرقل الروم قال : والله إنى لأعلم أن صاحبك نبى مرسل وإنه الذى كنا ننتظر ونجده فى كتابنا ولكنى أخاف الروم على نفسى ولولا ذلك لاتبعته .

فأخبر دحية الكلبى رسول الله - ﷺ - أن قيصر آمن به وأبت بطارقته أن تؤمن فقال أبو القاسم - ﷺ - : « **ثبت الله ملكه** » .

ولما ماتت خولة بنت الهذيل تزوج رسول الله - ﷺ - شراف بنت خليفة أخت دحية الكلبي . . وبعث النبى - عليه الصلاة والسلام - عائشة بنت أبى بكر تنظر إليها فذهبت ثم رجعت فقالت :

يا نبى الله ما رأيت إلا طائلاً ،

فقال لها نبى الرحمة - ﷺ - : « **أقد رأيت خالاً - خالاً بخدها - عندها اقتشعرت كل شعرة منك ؟** » .

قالت عائشة : ما دونك سر .

ولم يدخل رسول الله - ﷺ - بشراف بنت خليفة فقد هلكت قبل أن تصل إليه .

سودة بنت زمعة

أحب أن أبعث فى نسائك

هى أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية

كانت عند السكران بن عمرو

هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فأغضبت أهلها بهذه الهجرة

توفى السكران بن عمرو لما عادا من هجرتهما فصارت سودة من غير ناصر ولا عائل

كان عمرها آن ذاك خمسا وخمسين سنة

أول من تزوج النبى عليه الصلاة والسلام بعد خديجة

لما ماتت الطاهرة سعت خولة بنت حكيم إلى أبى القاسم ﷺ فقالت :

ـ يا رسول الله كأنى أراك قد دخلت خلتك ـ خلة : حاجة أو خليل ـ لفقد خديجة ؟

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ أجل كانت أم العيال وربة البيت

فقالت خولة بنت حكيم :

ـ لم لا تتزوج يا نبى الله ؟

فتساءل نبى الوفاء ﷺ :

ـ من . . بعد خديجة ؟

قالت خولة بنت حكيم :

ـ إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا ـ المرأة التى كان لها زوج ـ

فعاد السراج المنير ﷺ يتساءل :

ـ فمن البكر ؟

قالت خولة بنت حيكم :

ـ بنت أحق خلق الله بك . . بنت أبى بكر أول من صدقك وآمن بك

فقال إمام الخير ﷺ :

ـ ومن الثيب ؟

قالت خولة بنت حيكم :

ـ سودة بنت زمعة . قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول

فقال نبى الرحمة ﷺ :

ـ فاذهبى فاذكريهما ـ عائشة وسودة ـ على

فذهبت خولة بنت حكيم إلى دار زمعة بن عبد شمس ودخلت على سودة فقالت لها :

ـ ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟

فقالت سودة بنت زمعة :

ـ وماذا يا أم شريك ؟

قالت خولة بنت حكيم :

ـ أرسلنى رسول الله ﷺ أخطبك عليه

فدخلت أم شريك على زمعة بن قيس وكان شيخاً كبيراً فتساءل :

ـ من هذه ؟

قالت خولة بنت حكيم :

ـ أم شريك

فعاد زمعة بن قيس يتساءل :

- فما شأنك ؟

قالت أم شريك :

- أرسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة

فقال زمعة بن قيس :

- كفء كريم

ثم عاد يتساءل :

- ما تقول صاحبتك - سودة - ؟

قالت خولة بنت حيكم :

- تحب ذلك

فقال زمعة بن قيس :

- ادعيها إلى

فدعت أم شريك سودة بنت زمعة فقال لها أبوها :

- أى بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم ، أتحبين أن أزوجك له ؟

فقالت سودة بنت زمعة :

- نعم

فقال زمعة بن قيس لأم شريك :

- ادعيه

فجاء أبو القاسم ﷺ فقالت سودة بنت زمعة :

- أمرى إليك يا رسول الله

فقال السراج المنير ﷺ :

ـ مرى رجلاً من قومك يزوجك

فأمرت سودة بنت زمعة حاطب بن عمرو بن عبد شمس فزوجها

وأصدقها صاحب الخلق العظيم ﷺ أربعمائة درهم

وكانت سودة بنت زمعة أول امرأة تزوجها خاتم الأنبياء ﷺ بعد خديجة وكان ذلك فى رمضان سنة عشر من البعث

ودخل بها أبو القاسم ﷺ بمكة

اختلفت سودة بنت زمعة وعائشة بنت أبى بكر . . وبدا لرسول الله ﷺ أن يطلق سودة بنت زمعة ، وبعث إليها بطلاقها ، فجلست على طريقه وقالت :

ـ أنشدك بالذى أنزل عليك كتابه ، لم طلقتنى ؟ الموجودة ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

ـ لا

قالت سودة بنت زمعة :

ـ فأنشدك الله لما راجعتنى ، فلا حاجة لى فى الرجل ، ولكنى أحب أن أبعث فى نسائك

فراجعها نبى الرحمة ﷺ

فقالت سودة بنت زمعة :

ـ فإنى قد جعلت يومى لعائشة

فكانت عائشة لا تنسى لها هذا الصنيع

وفاتها

توفيت سودة بنت زمعة فى زمن الفاروق

أم طـــارق

هى مولاة ـ خادم ـ سعد بن عبادة بن الصامت سيد الخزرج .

كان الصحابى الجليل سعد يكنى أبا ثابت . . شهد العقبة وكان أحد النقباء . وكان سيدًا مقدمًا وجيهًا له رياسة وسيادة يعترف قومه له بها .

أقبل أبو عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب يومًا على بيت سعد بن عبادة فقالا : عزمنا عليك ألا تنحر .

فلم يلتف سعد إلى قومه ونحر . . وبلغ النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذلك فقال : **إنه بيت جود .**

وكان سعد بن عبادة مشهوراً بالجود هو وأبوه وجده وولده ـ قيس بن سعد وكان لهم أطم ينادى عليه كل يوم : من أحب الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة ـ جد سعد بن عبادة ـ

كانت جفنة ـ مائدة ـ سعد بن عبادة تدور مع النبى ـ ﷺ ـ فى بيوت أزواجه . . وكان أهل الصفة ـ فقراء المسلمين الذين ليس لهم مأوى إلا مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ إذا أمسوا إنطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة فأما سعد بن عبادة فكان ينطلق بثمانين من أهل الصفة.

استأذن رسول الله ـ ﷺ ـ على سعد بن عبادة يومًا فقال : **السلام عليك ورحمة الله .**

فقال سعد بن عبادة : وعليكم السلام ورحمة الله

وكان رده خافتًا فلم يسمعه رسول الله ـ ﷺ ـ فعاد يقول : **السلام عليك ورحمة الله .**

وكان الرد خفيًا فلم يسمعه النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال : **السلام عليك**

ورحمة الله .

فقال سعد بن عبادة : وعليك السلام ورحمة الله

ولم يسمع أبو القاسم ـ ﷺ ـ . . فرجع رسول الله ـ ﷺ ـ فقال قيس بن سعد لأبيه : ألا تأذن لرسول الله ؟

قال سعد بن عبادة : دعه يكثر علينا من السلام .

وقال سعد بن عبادة لأم طارق :اتبعى رسول الله ـ ﷺ ـ وقولى له : يا نبى الله ما سلمت تسليمة إلا وهى بإذن سعد بن عبادة ولقد رد عليك ولم يسمعك وأراد أن يستئكر من سلامك ومن البركة .

ولحقت أم طارق برسول الله ـ ﷺ ـ . .

وعاد معها ودخل بيت سعد بن عبادة فأحضرت أم طارق ماء فأغتسل رسول الله ـ ﷺ ـ وناوله سعد بن عبادة خميصة بزعفران أو ورس فأشتمل بها . . ثم رفع النبى عليه الصلاة والسلام يده وهو يقول : **اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة .**

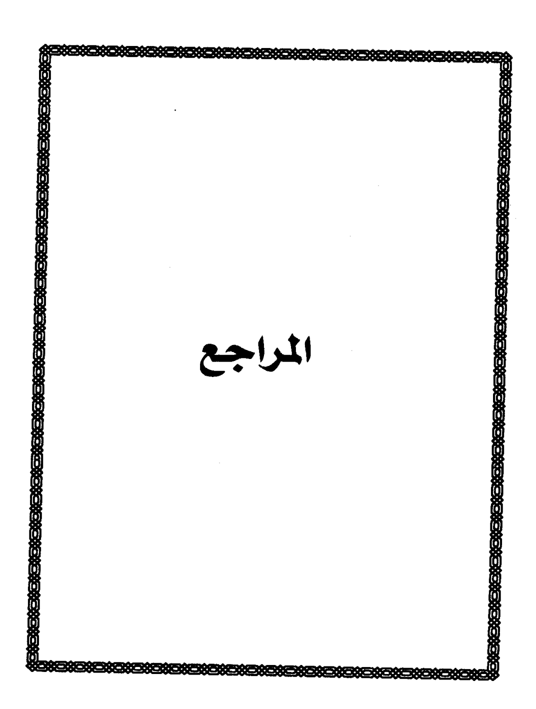
ثم قدم سعد بن عبادة إلى أبى القاسم ـ ﷺ ـ زبيبًا فأكل نبى الله فلما فرغ قال : **أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وأفطر عندكم الصائمون .**

ولما أراد رسول الله ـ ﷺ ـ الانصراف قرب إليه سعد بن عبادة حمارًا قد وطئ عليه بقطيفة ، فركب النبى – علية الصلاة والسلام ـ . فقال سعد لابنه قيس : يا قيس اصحب رسول الله .

فقال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : اركب .

فأبى قيس بن سعد . . فقال أبو القاسم ﷺ : إما أن تركب واما أن تنصرف .

فانصرف قيس بن سعد بن عبادة.

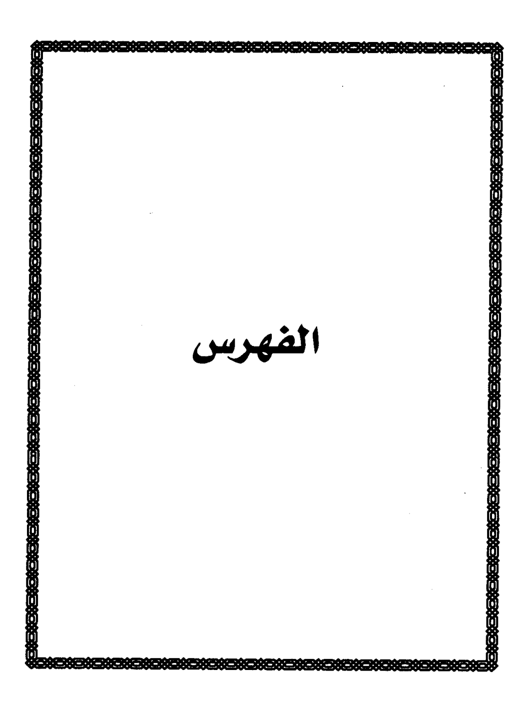


المراجع

المـراجـــــع

* القرآن العظيم
* تفسير القرآن العظيم — ابن كثير
* تفسير الطبرى
* الجامع لأحكام القرآن — القرطبى
* فى ظلال القرآن — سيد قطب
* صحيح البخارى
* صحيح مسلم
* الجامع الصحيح — الترمذى
* سنن أبى داود
* سنن ابن ماجه
* شعب الإيمان — البيهقى
* كنز العمال — الهندى
* سنن الدارقطنى
* مسند الإمام أحمد
* الإصابة فى تمييز الصحابة — ابن حجر العسقلانى
* أسد الغابة فى معرفة الصحابة — ابن الأثير
* الاستيعاب فى معرفة الأصحاب — ابن عبد البر
* فتح البارى — ابن حجر العسقلانى

* نساء الصحابة	عبد العزيز الشناوى
* المستدرك على الصحيحين	الحاكم النيسابورى
* كنوز القرآن وبيان الفرقان	عبد العزيز الشناوى
* الطبقات الكبرى	ابن سعد كاتب الواقدى
* المصنف	ابن أبى شيبة
* زوجات الرسول ﷺ	عبد العزيز الشناوى
* سنن النسائى	السيوطى


الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة